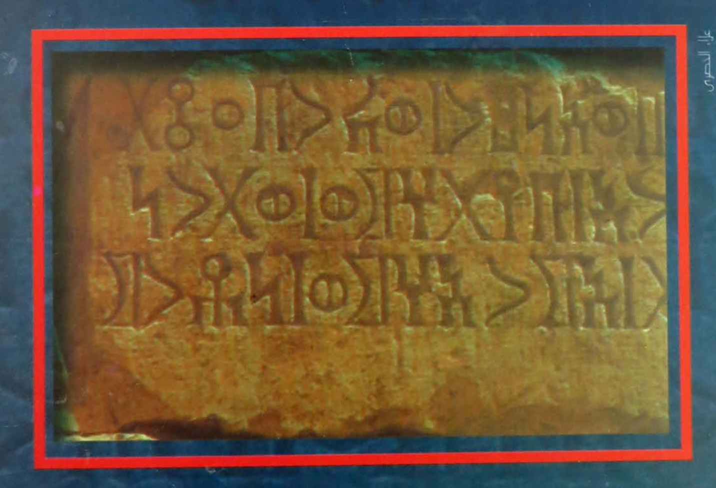
دراسات في

التاريخ الحضاري لليمن القديم

أ.د. أسمهان سعيد الجرو





دار الكتاب الحديث

دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم

أ. د. أسمهان سعيد الجرو
أستاذ التاريخ القديم
كلية الآداب – جامعة عدن

دار الكتاب الحديث



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 2752990 (202 00) فاكس رقم : 2752992 (202 00) بريد إلكتروني : **Dkh_cairo@yahoo.com**
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria B. P. No 061 – Draria Tel(21)354105 E-mail Tel&Fax(21)353055 **dkhadith@hotmail.com**
الإمارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص.ب 24393 دبي هاتف/فاكس 2737996 (04) – متحرك (050)5932613 شارع الخليج – بناية العيدروس – دبي إ.ع.م. **alaidaroosgp@hotmail.comwww.alaidaroosbook.com**–بريد إلكتروني
اليمن	دار العيدروس للكتاب الحديث **alaidaroosgp@hotmail.com**– بريد إلكتروني **www.alaidaroosbook.com** مدينة السيئون – حضرموت

رقم الإيداع	2002 / 17136
I.S.B.N.	977-350-040-3

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يبحث هذا الكتاب عددا من المواضيع الخاصة بالتاريخ الحضاري لليمن القديم. لقد لازمت هذه المواضيع تفكيري لسنوات طويلة، واستأثرت بكثير من قراءاتي وتأملاتي، فبعد أن انتهيت من تأليف كتاب موجز التاريخ السياسي لليمن القديم وجدت انه من الضروري أن استكمل ما بدأت به، وأن أقوم بتأليف كتاب يبحث في التاريخ الحضاري لليمن القديم، فالحضارة هي الحلقة الرئيسة التي تنبثق منها وتنتظم فيها مختلف القضايا الإنسانية.

لقد اهتم الباحثون، العرب والمستشرقون، بالتاريخ السياسي لليمن القديم، وافردوا له صفحات وصفحات، ولكنهم لم يوجهوا عناية كافية إلى التاريخ الحضاري إلا بالنزر اليسير وذلك لأسباب عديدة ربما أهمها يعود إلى نقص حاد وملحوظ في الدراسات الخاصة بالتاريخ الحضاري لليمن القديم. وإسهاما مني في سد هذا النقص شرعت في البحث والدراسة حتى تجمعت لدي مادة علمية نقشية وأثرية جديرة بأن تشكل خلفية مرجعية، وأساس لكتاب علمي يدرس التاريخ الحضاري اليمن القديم، وكنت منذ فترة قريبة قد قمت بنشر بعض هذه الدراسات في عدد من المجلات العلمية، وشاركت ببعض منها في ندوات علمية في الداخل وفي الخارج، وارتأيت تعميقا لهذه المساهمة، أن أقوم بإعادة النظر فيها من خلال إعادة صياغتها معتمدة على ما استجد من معطيات أثرية ونقشية جديدة، وعلى حصيلة مساهمات الباحثين السابقين في الموضوع ذاته، من علماء عرب و مستشرقين، فهذه الدراسات المتنوعة محاولة تأليفية تخرج ولأول مرة في كتاب واحد يبحث التاريخ الحضاري لليمن القديم، وكلي أمل أن يكون هذا الكتاب مبعثا لبحوث ودراسات مستقبلية للباحثين ولطلاب الدراسات العليا.

فتاريخ الحضارة سجل لتطور الإنسان يعكس مدى فعالية قواه العقلية وطاقاته المعنوية في مختلف مناحي الحياة، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحربية، والثقافية والفكرية، و ما أبتدعه من وسائل إنتاج، وفنون مختلفة، ومعتقدات دينية، وأساطير، وعلوم وآداب متنوعة.

فحضارة أي شعب من الشعوب هي بهذا المعنى مجموع القيم التي يسعى ذلك الشعب إلى تحقيقها والتي تتمثل في مختلف نشاطاته وإنجازاته، فمن خلال دراسة حضارة ما ومقابلتها بحضارة أخرى معاصرة لها نستطيع أن نستكشف نوع القيم التي حققتها هذه الحضارة أو تلك أو طمحت إلى تحقيقها والتي تجسدت في سلوك أبنائها وفي ما أنتجوه في شتى حقول الفكر والعمل.

ففي كل حضارة بذرة بقاء هي الإرث الحضاري الذي تتركه وراءها، وهذا الارث مشاع للإنسانية جمعا، كونه إبداع إنساني يمكن لكل أمة أن تتزود منه.

والحضارة اليمنية القديمة ــ موضوع دراستنا ــ واحدة من تلك الحضارات المنفتحة على العالم، إنها من الحضارات الأصيلة التي أثرت وتأثرت، وأدلت بدلوها في المسار التاريخي للحضارة البشرية.

يحتوي الكتاب على مقدمة وخمسة فصول :

يتناول الفصل الأول عدة قضايا خاصة بالزراعة في اليمن القديم كالتوزيع الزراعي الإقليمي وما تحتويه من أودية خصبة شهدت حركة زراعية منتعشة. كما يتطرق إلى نظام الري القديم وأنماطه المختلفة، و ملكية واستثمار الأراضي الزراعية والقوانين المنظمة لها، و المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها الاستهلاكية منها والنقدية. وبما أنه لا يمكن دراسة الحياة الزراعية في مجتمع ما ما لم تتم دراسة ثروته الحيوانية، فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى أنواع الحيوانات التي كانت تعيش في اليمن القديم المستأنس منها، والبري، لما لذلك من أهمية بالغة من حيث التكامل الاقتصادي الذي كان قائماً بين الثروة الحيوانية والحياة الزراعية، كما حاولنا في هذا الفصل تسليط الضوء على القواعد الزراعية، والحسابات الفلكية التي اعتمدها اليمنيون قديما في حياتهم الزراعية.

الفصل الثاني : يبحث الحياة التجارية في اليمن القديم وقد شمل الحديث مصادر النشاط التجاري، والسلع التجارية الصادرة والواردة من وإلى اليمن قديما، والطرق التجارية البرية والبحرية والتي كانت بمثابة الشريان الذي ربط العالم القديم بعضه بالبعض الآخر، فموضوع الطرق التجارية جرنا إلى الحديث عن العلاقات التجارية بين اليمن والعالم القديم، فالسؤال الذي بحثناه : منذ متى نشأت تلك العلاقات وما هي تأثيراتها ؟ كما حاولنا في هذا الفصل الإجابة على الافتراض القائل بأن أصل الفن العربي الجنوبي يعود إلى تأثيرات إغريقية، وهلنستية.

الحديث عن التجارة يلزم الدارس بالبحث في ماهية النظم التجارية والقوانين المنظمة لها، فما هي النظم التجارية التي عرفها اليمنيون قديماً ؟ وما نوع نظام الدفع في المعاملات التجارية ؟ للإجابة على هذا السؤال قمنا بدراسة عدد من العملات كنموذج للعملات اليمنية القديمة. وأخيراً تحدثنا بشيء من الإسهاب عن الأطماع الدولية والعوامل التي أدت إلى انهيار التجارة في اليمن القديم.

الفصل الثالث : يتناول هذا الفصل ــ بالدراسة والتحليل ــ موضوع الفكر الديني عند قدماء اليمنيين منذ الألف الأول قبل الميلاد، وحتى القرن الرابع الميلادي ... وأبرز ما جرى عليه البحث في هذا الموضوع : أسماء الآلهة الفلكية التي عبدها اليمنيون قديماً، وما كان لها من ألقاب، ونعوت، كما شمل الحديث معابد تلك الآلهة من دور وبيوت، وفئة الكهان التي كانت تقوم بالإشراف على إدارة تلك المعابد، وقد قمنا في هذا الفصل من خلال الدراسة المتأنية لمظاهر بعض طقوس العبادة بإثبات أن العقيدة الدينية عند قدماء اليمنيين كان لها أثر بالغ الأهمية في حياتهم الروحية والمادية في آن معاً، وأنه بتطور الديانات الفلكية لديهم ؛ تمهدت الطريق أمامهم للتفكير بأسلوب تجريدي عميق

شكل في نهاية المطاف الخطوة الأولى للوصول إلى الوحدانية، والإيمان بإله واحد ؛ رب السموات والأرض.

الفصل الرابع : يبحث هذا الفصل أنماط من فن العمارة اليمنية القديمة، حيث تطرقنا فيه إلى نماذج من فن العمارة المدني كالمنازل والقصور، والديني كالمعابد والقبور، ودرسنا عددا من المنشآت الاقتصادية، كمنشآت الري، و هندسة الطرقات ...، والمنشآت الدفاعية، وقد حرصنا خلال هذا الفصل على أن نبرز ـ قدر الإمكان ـ ما حققه الإنسان اليمني منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، من ابداع في مجال الفن الهندسي الخلاق.

الفصل الخامس : وفيه تناولنا المناخ الاجتماعي الذي عاشه الإنسان صانع تلك الحضارة إذ أن الحديث عن مختلف أشكال التحضر يظل مبتورا ما لم نتحدث عن هذا الجانب، وفي هذا السياق حاولنا الإجابة على أبرز الأسئلة منها : كيف تشكل المجتمع اليمني القديم ؟ وكيف تطورت الصيغة الاتحادية بين القبائل لتصبح وحدة شاملة، وأساس لنشوء دولة مركزية مترامية الأطراف.

في الختام أرجو أن أكون قد وفقت في ابراز ملامح جوانب من تاريخنا الحضاري، كما أتمنى أن يجد الدارس في هذا الكتاب عوناً ما على فهم ولو النزر اليسير مما ترك لنا أسلافنا من تراث حضاري هو مصدر فخرنا واعتزازنا.

والله ولي التوفيق.

أ. د. أسمهان سعيد الجرو

عدن

الفصل الأول
النـهضة الزراعيـة في اليمن القديم

أولاً: التوزيع الإقليمي الزراعي في اليمن القديم.

ثانيـــــــاً: نظام الري القديم.

ثالثــــــــاً: ملكية الأراضي الزراعية

رابعـــــــاً: استثمار الأراضي الزراعية والقوانين المنظمة لها .

خامساً : المحاصيل الزراعية.

سادساً : الثروة الحيوانية.

سابعـــاً : قواعد زراعية، وحسابات فلكية.

نقـل لـنا الكتاب الكلاسيكيون منذ القرن الخامس ق. م، صورة براقة لليمن القديم، عـندما تحدث (ثيوفراستس Theophrastus) عن الزراعة وبالذات زراعة اللبان ، إذ ذكـر أنــه يـزرع فـي جـبال شـامخة تغطـيها الغابـات. وتحـدث (ايراتوستينس Eratosthenes) عن خصوبة البلاد ووفرة ما يزرع فيها من فواكه[1].

وذكـر القـرآن الكريم تلك الحقيقة في أجمل صورها ووصف أرض سبأ بالجنتين، ويعدّ هذا الوصف أبلغ تعبير لحقيقة ما كان واقعاً. حيث قال تعالى :

﴿ لقـد كـان لسـبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ . (سورة سبأ الآية 15)

ثـم جاءت بعثات الآثار إلى اليمن منذ منتصف القرن العشرين، وأجرت العديد من التنقيـبات الأثرية، فكانت نتائجها مطابقة لما سبق ذكره عن اليمن القديم وعن خصوبة أرضـه، حيـث كشفت لنا التنقيبات عن منشآت ريّ ضخمة أقامها اليمنيون من سدود وقـنوات ... توضّـح حجم المساحة المروية، وما زالت آثار تلك المنشآت قائمة على الرغم من أنّ الرمال قد دفنت أجزاء كثيرة منها، وطمرتها نهائيًا في بعض الأقاليم .

وفـي هذا المجال تحدثنا النقوش عن القوانين الخاصة بالضرائب وتوزيع الأرض، والمياه، وما إلى ذلك...

أولاً : التوزيع الإقليمي للنشاط الزراعي :

لقد تركز النشاط الزراعي في اليمن القديم في إقليمين رئيسيين :

الإقلـيم الأول : الأراضي المحيطة بمفازة صيهد (رملة السبعتين)، وهو الإقليم الذي قامـت علـيه المراكـز الحضارية منذ فجر التاريخ ؛ أي منذ مطلع الألف الأول قبل المـيلاد وحتى أواخره، ويشمل الأودية التي قامت عليها المراكز الحضارية، والسهول الساحلية الجنوبية.

الإقلـيم الثانـي : ويشمل الهضبة الوسطى وهو الإقليم الذي انتقل إليه الثقل السياسي والحضـاري مـنذ مطلع الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي، ويمتد هذا الإقليم حتى السهول الساحلية الغربية.

أ- الإقليم الأول : الأراضي المحيطة بمفازة صيهد (رملة السبعتين) ومنشآت الري فيها :

مفازة صيهد عبارة عن سهل رملي ملحي، وهو يشكل منخفضا انكساريا من الناحية الجيولوجـية، ويسـتقبل العديـد من الأودية، (انظر خريطة رقم 1) ويشمل المناطق التالية :

1- أراضي دولة معين (وادي الجوف) :

يسـتقبل وادي الجـوف أكـثر من أحد عشر رافدا، تتفاوت تلك الروافد من حيث الأهمـية، وأبـرزها : رافـد (الخـارد)، و(مـذاب)، و(همدان)، و(شبلم)، و(ريده)،

و(حوث)، [2] وجميعها قادم من المرتفعات الغربية من كتلة (النبي شعيب)، ومن شرق صــعدة (العمشــيه) ومــن الجنوب : من ناحية جبل (اللوذ) بخولان وديار قبائل (بني بهلول) الواقع جنوب مدينة (عمران) و(ريده). [3]

وتــبلغ مســاحة تلك المساقط (مساقط المياه) التي تمدّ وادي الجوف بالسيول حوالي 2700كــم^2، ودائمًــا مــا تكون تلك السيول محملة بالطمي (الغرين) الذي يزوّد التربة بالخصــوبة، ويســمح بــزراعة أنواع مختلفة من المنتوجات الزراعية. [4] وقد استغل أهالــي الجوف تلك الهبة الإلهية من مياه وتربة خصبة ؛ فأنشأوا شبكات ري متنوعة، كشفت بعثات الآثار – التي زارت الجوف – النقاب عنها، أهمها : سد الخارد الذي أقيم على وادي الخارد. [5]

ويمكنــنا أن نرسم صورة واضحة المعالم لمنشآت الري على ذلك الوادي المنبسط، مــن خــلال نقش النصر Glaser 1000 = RES 3945 الذي خطه المكرب السبئي (كــرب إل وتــر) في القرن السابع قبل الميلاد أثناء الحرب التي خاضها ضد عدد من مدن الجوف، يقول في السطر (18) من النقش :

"و يوم قهرَ – هذا المكرب – قبائل – (سبل)، و(هرم)، و(فنن)، [6] واستولى على منشآتها المائية، وأحرق مدن (سبل) ومدن (هرم)، ومدن (فنن)، وقتل منها ثلاثة آلاف (3000) وقــتل ملوكهــا، وأسر منها خمسة آلاف (5000) وغنم مائة وخمسين ألف (150,000) مــن مواشــيها، وفرض عليهم جزية للمقة ولسبأ أخذاً بثأر أحرار (سبأ) و (ضهر) ممن كانوا في حمى (كرب إل) ..." [7]

يــتحدث الــنص عن الأعداد الكبيرة من الأسرى والقتلى وألوف المواشي، كل ذلك يوحــي بالكــثافة السكانية التي احتضنتها مدن الجوف، والثروة الحيوانية الكبيرة التي كانــت تقتنيها. ولم يذكر هذا النقش (معين) كدولة آنذاك في القرن السابع قبل الميلاد، بل يذكر مدن الجوف التي عاقبها (كرب إل) لتمردها، وهذا

يدلــنا على أنّ تلك المدن إنما كانت خاضعة للسيادة السبئية، وبعد ذلك تبرز (معين) كدولــة لهــا كيانها السياسي المستقل، وتبسط نفوذها على إقليم الجوف كله وتمتد حتى نجران شمالاً.

خريطة رقم (1) المراكز الحضارية حول رملة السبعتين

ورث المعينيون تلك المنشآت الزراعية وطوروها، فتطورت الزراعة بشكل كبير، ويذكر (محمد توفيق) المساحة الزراعية التي استصلحها المعينيون بحوالي 80كم طولا و 25كم عرضا.[8]

2- أراضي دولة سبأ (وادي أذنة :

يعد وادي أذنة من أهم الأودية السبئية وأكثرها خصوبة، فعلى ذلك الوادي أقام السبئيون عاصمتهم التاريخية (مارب). ويستقبل هذا الوادي العديد من الروافد القادمة من المرتفعات الغربية، أهمها : (جهران)، و (يبنون)، و (رداع) [9] ويشق وادي (أذنة) جبل بركاني واقع ضمن مرتفع واسع يسمّى جبل (بلق) - يفصل بين الصحراء والمرتفعات الجبلية، ويتراوح اتساع الفتحة التي شقها الوادي في بعض أجزائها ما بين (190م) و (500م) وذلك بمتوسط اتساع وقدره (230م)، وعند تلك الفتحة الضيقة أقام مكارب سبأ سد مارب الشهير، ففي البداية شرعوا بتشييد جسر ضخم من الرديم، وكسوا واجهته بالأحجار لمواجهة تيار الماء، ثم أعيد بناؤه بأحجار جديدة في عهود تالية، أي أنّ السد لم يبن في زمن واحد، بل استغرق إنشاؤه عهوداً متوالية، كما تحدثنا بذلك النقوش، وقد أثبتت أخر دراسة للسد قام بها (اولي برونر Von Ueli Brunner) أنّ أسس سد مارب يعود تاريخها إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد على أقل تقدي.[10]

وإلى جانب السد بنى السبئيون شبكة ري متناسقة لتنقل المياه إلى الحقول، تمثلت تلك بالمصرفين الكبيرين الذين يصرّفان المياه المندفعة والخارجة من جانبي السد، ثم القناتين الرئيسيتين اللتين تربطان المصرفين بالجنتين الواقعتين إلى جانبي السدّ، ويليها مقاسم المياه وهي عبارة عن سدود تحويلية صغيرة تقوم بتوزيع المياه التي تصلها من القناتين الرئيسيتين في شبكة الري، والمؤلفة من القنوات الفرعية التي تروي الحقول.

وتقدر مساحة مساقط الماء - التي كانت تغذي وادي أذنه بالمياه _ حوالي (10,000) عشرة آلاف كم^2، وهي - ولا ريب -مساحة شاسعة ؛ لهذا نجد أنّ بحيرة السد تقدّر مساحتها بحوالي 8 كم^2، أما سعتها الإجمالية فتصل إلى حوالي 55 مليون متر مكعب، وتقدر طاقة القناتين الرئيسيتين بحوالي 60 متراً مكعبا في الثانية.[11]

أمّا المساحة الزراعية التي كان يرويها السد فقد وصلت إلى حوالي (9600) تسعة آلاف وستمائة هكتار، وهي تكفي ما بين30,000 إلى 50,000 نسمه تعيش في منطقة مارب، ولقد كانت المزارع تكتفي بكمية من الماء تصل في ارتفاعها إلى أكثر من ½ متر ؛ كي تنمو الحبوب التي يتم زراعتها بعد عملية الري، إذ كانت هذه الطريقة في الري تعطي خصوبة عالية للتربة ذات الرواسب السلتية الثقيلة التي تحملها السيول السنوية وتراكمها في الأحواض المائية[12].

وبالإضافة إلى سد مارب العظيم راح السبئيون - في عهود متفرقة ولاحقة - يقيمون سدوداً أخرى، منها سد (الجفينه) الواقع إلى الشمال من سد مارب[13].

لقــد حقق ملوك سبأ ببنائهم سدّ مأرب ومنشآت الريّ الأخرى أعظم إنجاز هندسي للـــريّ عرفته شبه الجزيرة العربية في تاريخها الطويل، فبلغت الزراعة قمة تطورها، وظــل سدّ مأرب يقوم بوظيفته لأكثر من ألف عام، تعرض خلالها للتهدّم أكثر من مرة، وســاهمت الممالك اليمنية كافة في إعادة ترميمه. ولدينا أهم نقشين يتحدثان عن ترميم هذا السد، أحدهما : نقش للملك الحميري (شرحبيل يعفــر بن أبي كرب أســعد CIH 540)، ونقش لأبرهه (CIH 541)، إلا أنّ السدّ انهار نهائيا عام 575م، وكان من نــتائج خرابه وانهياره هذا أن تتشرد السبئيون، وتشتت قبائلهم شذر مذر، حتى قيل في المــثل السائر : "تفرّقت أيدي سبأ" وعلى أثر ذلك آلت أرض الجنتين إلى أرض قاحلة موآتة شبه صحراوية.

3- أراضي دولة قتبان ووادياه :

- وادي بيحان
- وادي حريب

وادي بيحان :

عــرف وادي بيحان ـــ أو وادي (أخر) كما جاء في النقوش ـــ منذ القدم بخصوبته وكــثرة مــياهه وبســاتينه، فهو ينبع من مرتفعات : (البيضاء) و (المصعبين) من بلد (الرصاص)، [14] ثم يتجه نحو الشمال الشرقي بطول (65كم) تقريبا، وباتساع يتراوح مــا بيــن 100 إلــى 200 متر، ويصبّ في هذا الوادي عدة روافد، تتصف بأنها أقل انحدارا مقارنة بالأودية الغربية[15].

وســيول وادي بيحان غير منتظمة، كما يتسرب جزءٌ كبير منها إلى الرمال (رملة السبعتين)، وتبلغ مساحة حوض الوادي حوالي 450كم^2 [16]، وفي الطرف الشمالي من الــوادي أقــام القتبانــيون عاصمتهم (تمنع) (هجر كحلان) حاليا، كما أقاموا العديد من منشــآت الري، كشفت عنها البعثات الأثرية وبالذات البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان، التــي زارت بــيحان عــام 1952م – 1953م، وقــد قدم أحد أعضاء البعثة ويدعى (ريتشــارد باون R.Bowen) دراسة قيّمة عن "أصول وتكنيك الري في وادي بيحان"، وتوّصــل إلى نتائج جيدة من خلال فحصه لترسبات الطمي الذي يتراوح عمقه من 15 إلى 18متر، كما كشف عن وجود قناة رئيسة عند (هجر بن حميد) يبلغ طولها 1200م، أقيمــت علــيها حواجــز ذات فــتحات لتوزيع المياه على جانبها، أي على الأراضي المنخفضة عنها، ثم أقيمت قنوات أخرى فرعية منخفضة في مستوى الحقول التي كانت تســتفيد مــن الــريّ فــي الــوادي، وكانت منتظمة في أشكالها، ويغلب عليها الشكل المســتطيل، أما مجاريها فكانت تتعامد في اتجاه القناة، المصدر الرئيسي للمياه، بحيث يمكن الحصول على ما يكفيها من الماء. [17]

كمــا قطع (باون Bowen) شوطا كبيرا في تحليله واستنتاجاته التي توصل إليها مــن خلال تلك النتائج : أثبت بأنّ عمليات الإرواء في المنطقة قديم جداً يرجع تاريخه

على الأقلّ إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، إضافة إلى ما أشار إليه من أن وجود الطمي الزراعي دليل قاطع على قيام حركة زراعية نشيطة وواسعة في وادي بيحان، إذ ربط بين بقايا الريّ القديم ومستوى الاستيطان الثاني في قمة (هجر بن حميد) التي تحتوي على بقايا أثرية، حدد المنقبون الأثريون تاريخها بحوالي (1000) سنه قبل الميلاد، أما الحقول الزراعية المحيطة بالمنطقة فقد وصل ارتفاعها إلى ستة أمتار فوق قاع الوادي خلال أكثر من (1200) سنه بفعل الطمي الزراعي، أي بمعدل متر واحد في كلّ (150) سنه للحقل الواحد، فالحقل يزيد – إذن – متراً واحداً كلّ (150) سنه، أي أنــه يزيد سنتيمتراً واحداً كل سنه ونصف، إنّ ذلك العمق، وتلك الكثافة من الطمي الزراعــي دليل قاطع على أنّ اليمنيين القدماء استخدموا الري خلال العصور الأثيلة المؤرخة وغير المؤرخة. [18]

- وادي حريب :

يقــع وادي حريــب على بعد 100كم جنوب مأرب، إلى الغرب من وادي بيحان، يصــل بيــنهما وادي مــبلقه عبر الجبال، أما منابعه ومنابع روافده فتبدأ من مرتفعات (خــولان الطــيّال)، [19] وتنتهــي فــي صحراء (رملة السبعتين). ويمتاز هذا الوادي باتساعه مقارنة بوادي بيحان، ولكنه أقصر منه طولاً.

أسهم وادي حريب مساهمة عظيمة في تنامي اقتصاديات دولة قتبان، هذا ما يتضح لنا من عثور الباحثين على بقايا منشآت ريّ وآثار لقنوات عديدة على هذا الوادي، بينما غطــت الــرمال بعضًا منها، ولم تقتصر منشآت الري على الوادي الرئيس ؛ بل امتدت فروعه إلى وادي (العين) و(مبلقة)[20].

إلــى جانــب تلــك الشبكة من السدود والقنوات نجد أنّ القتبانيين بنوا الصهاريج، وحفــروا الأبــار، لغرض توسيع رقعتهم الزراعية، وخلق نوع من الرخاء والازدهار الاقتصــادي، ومما يؤكد هذا الأمر : تلك القوانين الخاصة التي سنّها ملوك قتبان لتنظيم الــري، وتوزيــع الأراضي، وتصريف المياه، وجباية الضرائب المفروضة على ريع الأراضي الزراعية.

4- أراضي دولة أوسان :

بســطت دولة أوسان نفوذها – منذ القرن السابع قبل الميلاد – على رقعة جغرافية واسعة غنية بالأودية، حيث امتدت أراضيها في القرن السابع قبل الميلاد نواحي (يافع)، (الحــج)، (دثينة)، و (أبين) (جبال الكور) وادي ميفعة وحجر ، وسيبان والسوط وميفع وجــردان وعرمه .. وكشفت لنا البعثات الأثرية عن بقايا منشآت ريّ في مجموعة من الأودية التابعة لها، ونذكر منها : وادي (مرخه)، ووادي (ضراء)، ووادي (شرجان).

- وادي مرخة :

يقــع إلى الجنوب من (قتبان)، وعلى هذا الوادي قامت دولة أوسان، حيث تم العثور على بقايا شبكات ري من سدود وقنوات[21].

- وادي شرجان :

يقـــع على بعد 10 أميال وراء جبل (امعاديه) شرقي (مكيراس) أما مجراه فيضيق بعــد مجاوزتــه قــرية (حسين). وفي هذا الوادي عثر على بقايا سد قديم بين مرتفعين صخريين، أما الجدران الحجرية القديمة للسد فما زالت قائمة، عدا جدار الجانب الغربي الـذي يحتوي على قناة تصريف، كما نلاحظ وجود بركة في أسفل السد، يرى (B. Doe) بأنهــا دليل على قوة الماء الذي كان يمر بالوادي أثناء السيول، كما توجد وراء البركة، القناة الرئيسية التي تتفرع منها المياه إلى الجانب الغربي للوادي، إضافة إلى ما هناك من قنوات عديدة لري الأراضي الزراعية شرقاً... [22].

- وادي ضراء :

يقـــع إلى الجنوب الغربي من منطقة (نصاب)، وفي أسفل (قرن الملاح) عثر على نقش (RES 4069) يتحدث عن ترميم منشآت ري في وادي (الجلم)، المجرى العلوي لــوادي (ضـــراء)، وفي الجهة الأخرى من الوادي عثرت بعثات التنقيب على موضع لتجمـــيع المياه ؛ مفتوح على قناة واسعة. [23] وعند هبوط مياه وادي ضراء، هناك منطقة زراعية قديمة مهجورة حاليا عثر فيها على بقايا قناة ري.

- وادي بنا :

يـــتزود وادي بـــنا مـــن روافده القادمة من مرتفعات (يريم)، ومن جنوب (رداع)، وأشهر تلك الروافد (المسقاة)، ورافد (دمث) ذو الينابيع الحارة، ويصب هذا الوادي في خليج عدن على مسافة 48كم[24].

-وادي تبن :

تــزوده مرتفعات جبل (ذي السفل) شمال (تعز)، ومصب هذا الوادي على هيئة دلتا لهــا فــرعان رئيسيان ؛ يشكل كل منهما حوضاً زراعيا كبيراً. وتبلغ مساحة مساقط وادي تبن (5900 كم^2) [25].

- وادي حجر [26] :

تــنحدر مـــياه وادي حجـــر من مرتفعات يبلغ علوها حوالي 1600م، لهذا نجد هذا الــوادي ينســـاب هـــبوطه بيسر، بعدها يجري في سهل يتسع شيئا فشيئاً حتى منطقة (نصـــاب)، حيث يلتقي بوادي (ضراء) ووادي (عبدان). وقبل أن يأخذ حجر بالاتساع راح الأقدمـــون يبنون سداً شمال (بير العوجه) في موقع يسمى (أم رحمة)، وهناك آثار لمنشـــآت ري مـــن الحجـــر، ولقناتين كبيرتين بنيت لهما جدران حجرية، فكانت المياه المـــندفعة من الجبال تتجمع فيها فتصبانها وراء السد، وترى الباحثة (بيرن Pirenne) أن هـــذه المنشـــآت المهمة كانت ذات علاقة بالزراعة في الوادي الواسع حيث لا تزال تنتشـــر العديـــد مـــن القـــرى الحديثة حتى (نصاب) مما يؤكد أنّ المنطقة كانت ذات خصوبة زراعية في العهد القديم[27].

5- أراضي دولة حضرموت :

يجب التذكير بأنّ نفوذ دولة حضرموت لم يقتصر على الوادي الذي يحمل اسم الدولة (وادي حضرموت) بل كانت تشمل مساحات واسعة، فكانت حدودها تمتد من مشارف قتبان غربا حتى حدود عمان شرقا شاملة (ظفار) أرض اللبان، وجنوبا حتى نطاق الجول الجبلي بما فيه من أودية متعددة تتسم بالخصوبة، حتى ساحل البحر العربي، كما تتبعها جزيرة سقطرة، أما شمالاً فتنتهي حدود دولة حضرموت في صحراء الربع الخالي.

- وادي حضرموت :

يسمّى في النقوش (س ر ر ن) سررن يبعد عن ساحل البحر العربي بحوالي (165كم)، يسير بخط متواز للشريط الساحلي مسيرة (200كم)، أما مساحته الكلية فتبلغ حوالي (2250 هكتار)، يمتاز وادي حضرموت بعمقه حيث يخترق الهضبة الشرقية الرسوبية ليشكل بذلك هضبتين جنوبية وشمالية.

عند الطرف الشرقي للوادي، حيث يتجه المجرى جنوب شرق ليصب في البحر هناك يمتدّ وادٍ آخر يطلق عليه (وادي المسيلة).

يتغذى وادي حضرموت خلال مسيرته من عدد من الأودية الجنوبية والشمالية، فالأودية الجنوبية تأتي من الهضبة الداخلية الكبرى، والتي يبلغ متوسط ارتفاعها حوالي (1350م)، أما مساحتها – ما بين وادي حضرموت والبحر – فتبلغ حوالي (200كم)، أهم أوديتها من الغرب إلى الشرق : وادي (دهر)، ووادي (رخيه)، ووادي (عمد)، ووادي (عينات)، ووادي (يبحر). وهناك أودية أخرى حتى وادي (برهوت) ووادي (سنا) شرقا[28].

أما الأودية الشمالية، فأقل عمقا وانكسارا، حيث تبدأ غربا بوادي (سر)، ووادي (هينن)، ووادي (نعلم)، ووادي (جعيمة)، ووادي (مدر)، ووادي (الذهب)، ووادي (ثبي)، ووادي (تريم)، ووادي (دمون)، ووادي (عويديد)، ووادي (العبراء)، ووادي (قسم)، ووادي (الخوت)، ووادي (عردة)، ووادي (عصم)، ووادي (نعم)، حتى وادي (ينهب) شرقا[29].

- وادي دوعن :

أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت، فعلى هذا الرافد، وعلى مسافة عدة أميال جنوب منطقة المشهد يمكن للمرء مشاهدة منشآت ري قديمه منتشرة على أرضية الوادي، فتبدو له على شكل روابي مغطاة بحجارة مختلفة الأحجام. من تلك المنشآت بقايا انقاض من المساقط المائية، وفتحات تصريف، وآثار لقنوات رئيسية وفرعية، كما يلاحظ أن هناك حواجز طينية تربط المنشآت بعضها ببعض، وعلى الرغم من تآكلها إلا أنها تركت آثارا واضحة على لون وسطح التربة، بيد أنّ معظم القنوات الصغيرة كانت

في الغالب تمتد بمحاذاة الأجزاء العليا من الحواجز الطينية هذه، حيث لم تكن هناك أي وسائل أخرى متطورة تربط مراكز التوزيع العديدة المبنية من الحجارة[30].

وفي أسفل وادي دوعن نجد مجموعة من المواقع الأثرية تحمل اسم (ريبون)، وفي إطـار دراسـة الـري القديم في وادي دوعن كشفت البعثة اليمنية - السوفيتية خلال الأعـوام 1983-1985م عـن شبكة ري رئيسية في منطقة(ريبون) القديمة تتغذى من مـياه الأمطار الموسمية، التي كانت تملأ الوديان، وتتدفق من منحدرات الجبال، وهي عـبارة عـن قنوات رئيسية ذات امتداد طويل تلتقي بشبكات أنظمة لتوزيع المياه، التي تحوّل بدورها المياه إلى الحقول المزروعة، وتؤمّن الاستفادة الكاملة من مياه الفيضانات لأغراض الريّ .[31].

وقد عثر على بقايا سدّ ضخم في تلك المنطقة، ومنشآت ري تقوم بحجز مياه السيول الجبلية وتوجهها نحو المدرجات التي أقيمت بمحاذاة المنحدرات الجبلية[32].

مـن خلال تلك الآثار البارزة لمنشآت الريّ، يبدو واضحاً أنّ منطقة (ريبون) كانت مستصلحة زراعياً استصلاحاً جيداً، فقد بلغت إجمالي الأراضي المروية حوالي(1500) هكتار .[33].

منشآت الريّ في شعب مراوح :

(شـعب مراوح) رافد صغير يصبّ في وادي (دوعن) بين قرية المشهد (الحالية) و (مـراوح)، وفـي أسفل الشعب نجده يتسع فجأة مكوناً مثلثاً كبيراً. ولايصب هذا الرافد (شـعب مـراوح) في وادي (دوعن)، وإنما نجده يلف حول جبال (مراوح) ليصب في وادي (العين)[34].

تبلغ مساحة الأرض الصالحة للريّ في هذا الشعب (75,5) هكتار توزّع كالتالي :

60 هكتار الجهة الغربية.

9 هكتار الجهة الشمالية.

6,5 هكتار الجهة الشرقية.

أما أبرز منشآت الري فنجدها ظاهرة في الرقعة الغربية، ومن أهمها :

أ -القناة الأساسية :

تستمد هذه القناة مياهها من وادي دوعن مباشرة، ومنها تتفرع ثماني قنوات فرعية، تذهـب مـياهها إلى قناة التوزيع في (شعب مراوح)، ومنها تصب عبر قنوات فرعية أخرى إلى الأراضي والحقول الزراعية. أما المياه الفائضة من وادي دوعن فتذهب عبر قناة التوزيع لتروي الأراضي الغربية في(شعب مراوح) وكذا القناة الجبلية[35].

ب- قناة التوزيع :

تقـع إلـى الشـرق من القناة الأساسية على بعد حوالي (200) متر، حيث تبدأ من مجرى (شعب مراوح) الذي يمتد إلى قناة التوزيع، حيث يبلغ طول القناة كيلومتر واحد،

ولم يتبق من آثارها إلا الجدار الغربي، أما الجدار الشرقي فلم يبق منه إلا جزءاً بسيطاً[36].

وتتغذى هذه القناة من مصدرين : -

أولهما : صخور جبال (الفيولر).

وثانيهما : السيول المارة بوادي (دوعن) حيث توجد القناة الأساسية الموازية لها.

ج- القناة الجبلية :

تقع هذه القناة بالقرب من سفوح جبال (الفيولر)، ومن الواضح أنها ترتبط بقناة التوزيع في (شعب مرلوح). وعلى الجدار الشمالي للقناة عونها بنى الأقدمون مخرجا للمياه، لتذهب عبره هذه المياه إلى إرواء الأراضي الزراعية. وما برحت هذه القناة تعمل حتى وقتنا الراهن وتروي جزءً من الرقعة الغربية، تقدر مساحتها بحوالي (9) هكتار.

أما اليوم فالريّ في وادي (دوعن) يتم كما كان سابقاً بمياه السيول، التي يتم التحكم بها بكميات قليلة أو كثيرة عبر القنوات الأصلية والقنوات الفرعية، وكانت الزراعة متفرقة في الوادي عموماً.

- وادي عمد :

أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت، وهو عبارة عن سهل رملي منبسط تغطيه طبقة غرينية تكونت بفعل الأرساب، أما سيول الوادي فتنحدر من قاع السيل الطبيعي بأعلى (حريضة)على بعد عدة كيلو مترات.

في عام 1937م زارت البعثة الانجليزية بقيادة (كاتن تومبسون Caton Thompson) وادي (دوعن)، حيث قامت بعمل حفائر في منطقة حريضة، وقد قدمت مهندسة البعثة (جاردنر Gardner) دراسة تناولت فيها مبادئ الريّ القديم في وادي عمد، وكشفت عن منشآت ريٍّ، متنوعة منها : قناة ترابية مرصّعة بالحجارة تنحدر من الوادي، عرضها حوالي أربعة أمتار. وتصل تلك القناة إلى ضواحي المدينة، ثم تتفرع شبكة من الجداول والقنوات الصغيرة ذات واجهه حجرية تروي الأرض الزراعية.[38]

في أعلى الوادي شاهدت (جاردنر) قاعا لقناة عرضها حوالي 30 متراً، وعلى الرغم من تعرض هذه القناة لعوامل التعرية، إلا أن آثارها ما برحت واضحة للعيان، كما لوحظ آثار لسد على شكل(V)عرضه (3,50) متر، وهو الموضع البارز في مجرى السيل، وله ذراعان ترتكزان على ضفتين مبنيتين من الحصى، والمسافة بين هذين الذراعين على طول الضفة (85م) طول أحدهما (63م) وطول الأخرى (40م) وتنتهي أطرافها على ضفة الوادي.[39]

من خلال تلك الدراسة يتضح أن منشآت الريّ في وادي (عمد) تتألف من القناة الأساسية المغذية التي يتراوح عرضها ما بين 20 إلى 30 متر، ويعتقد أنها تبدأ من 16

متراً، بأعلى الوادي ، ثم تتسع عند أسفل السد الحجري، وهناك قنوات فرعية تكون عمودية على القناة الأساسية، مهمتها القيام بتوزيع الماء على أراضي الحقل، يتراوح عرضها ما بين (4-8 م) وترتفع (2م) فوق مستوى الأرض تقريباً.(40)

إن ريّ تلك الحقول الواسعة على ضفتي الوادي يتم عبر القنوات الصغيرة التي هي عبارة عن قنوات ضيقة قصيرة عرضها لا يزيد عن متر واحد، تبدأ في الظهور عند زاوية حادة سواء في القنوات الأساسية أو القنوات الثانوية.

أما عن تاريخ تلك المنشآت فتقول (كاتن تومبسون) : " أن نظام الري في العربية الجنوبية لم يعرفه الأثاريون، ومن الصعب تحديد تاريخه، دون استنتاج أثاري، فالترميمات المتواصلة للسدود والحواجز الصخرية ، القنوات والروافد، واندماج الأعمال القديمة مع الأعمال الحديثة عبر الأجيال، كل ذلك طمس الشواهد التي يمكن من خلالها الاستدلال على تاريخ وماهية هذا النظام ".(41)

- وادي المعشار :

وادٍ صغير يمثل امتداداً لأودية (عرمة) و (العطف) يقع شمال غرب وادي حضرموت؛ ويصب في (رملة السبعتين). يعتبر هذا الوادي أحد الأودية القليلة المياه إذا ما قارناه بأودية : (جردان)، و (مرخه)، و (أذنة)، و (بيحان) ... التي تمتلئ بالمياه سنوياً.

وعلى وادي (المعشا) قامت (شبوه) حاضرة حضرموت، حيث أنشئت على مخرج شبكة المياه بالوادي، تلك الشبكة التي تستقبل كل مياه الأمطار الموسمية القادمة من المرتفعات الغربية.

أما آثار المدينة (شبوة) فمازالت متناثرة في تلك الهضبة (الباليوسيتية) (القاحلة اليوم). والسؤال الذي طرحه علماء الآثار : ما هي العوامل التي تفسر رخاء وازدهار هذه المدينة الواقعة على الصحراء؟

إن ازدهار هذه المدينة كغيرها من المدن الواقعة على حافة الصحراء إنما يعود إلى تحكمها بوسائل الري، فشبكة الري كما شاهدتها (جاكلين بيرن J. Pirenne) كانت هي العمود الفقري لانتعاش الحياة الاقتصادية، حيث عرف السكان الزراعة المروية المعتمدة على السيول الناشئة من الأمطار الموسمية.(42)

تقول (Pirenne) من خلال مشاهدتها لمدينة (شبوة) : " عندما صعدنا إلى الهضبة التي تحيط بالموقع من الجهة الشرقية، وعلى الرغم من الرمال التي غطت المنطقة، فقد استطعنا أن نشاهد قناة عريضة قديمة، ولو تتبعنا هذه القناة فإننا سنصل إلى منطقة واسعة تحيط بشبوة من جهة الشمال الغربي، فكانت على ما يبدو تروى بهذه القناة، ويمكن مشاهدة شبكة أخرى من القنوات تتفرّع من قناة عريضة قديمة أيضاً، إلا أنها متهدمة من عدة جوانب . إذن فنظام الري في (شبوه) كان يتم بواسطة تلك القنوات التي توزّع مياهها عبر بوابات خاصة. بهذه الطريقة يستطيع المرء السيطرة على مياه الوادي، حيث يوجد عند منبع المياه مغالق حجرية تسمح بإغلاق المجرى. وقد اكتشف

- علــى أحــد هذه المغالق الموجودة شرق (شبوة)- نقشان ملكيان يعودان إلى القرن الثاني قبل الميلاد. [43]

أما عن المساحة المروية في المنطقة فتقول (بيرن Pirenne) عند رؤيتها للمدينة مــن على متن طائرة هيلوكبتر : " عززت الرؤية الجوية ما كنا قد شاهدناه من قنوات ريٍّ علــى وجه الأرض، كانت المساحة المزروعة هائلة تتجاوز بدرجة كبيرة الحقول الحالــية المحيطة بالمدينة، كما أنها كانت تمتد حتى منطقة تبدو اليوم صحراء، أي أنّ المناطق المحيطة (بشبوة) من كل الجهات كانت في يوم ما أرضا زراعية خصبة"[44].

ويمكــن الإشارة إلى أنّ دولة حضرموت قد بسطت نفوذها على مساحات زراعية شاســعة، فالهضبة الجنوبية لحضرموت – التي تسمى(الجول) أو(السوط) كما جاء في الــنقوش (س و ط م)[45] إنمــا هي منطقة غنيةٍ بالأودية المتشعبة الغزيرة المياه، وقد كشــفت بعــثات التنقيب عن بقايا آثار لأعمال زراعية منتشرة في تلك الأودية، كما أنّ حضــرموت قــد اعتمدت في أغلب نشاطها الزراعيّ على الأرض التابعة لها، ومنها مــنطقة (ظفــار) الواقعة في سلطنة عمان حاليا، وهي المنطقة الرئيسة المنتجة لأفضل أنــواع اللــبان، وكذلك جزيرة سقطرى الغنية بمحاصيلها المرغوبة في تلك العصور. وكانــت حضرموت هي المنطقة الوحيدة التي أطلق عليها الكلاسيكيون بلاد اللبان في شبه جزيرة العرب.

ب- إقليم المرتفعات الوسطى والسهول الساحلية :

يعتــبر هــذا الإقليم من أغزر المناطق مطرا، وأفضل التربة خصوبة حيث أسهمت ســيول (الحمــم البركانية) (اللافا Lava) في تكوين تربة غنية بالمواد العضوية، التي تتصف بعمقها في المدرجات الجبلية والقيعان.

تســتقبل هــذه المرتفعات الأمطار وتقوم بتوزيع المياه في مختلف الاتجاهات نحو الغرب لتجري في السهول الساحلية باتجاه البحر الأحمر، ونحو الشرق صوب صحراء الــربع الخالي، ونحو الجنوب باتجاه خليج عدن، وهناك بعض الأودية المحدودة تنحدر شــمالا، لقد حفرت تلك الأودية لنفسها مجاري عميقة في الصخور الرسوبية والأركية للهضبة.

وأهــم الأوديــة التــي تصبّ في السهول الساحلية الغربية : وادي (مور)، ووادي (ســردد)، ووادي (ســهام)، ووادي (مــوزع)، وغيرها ... وقد ذكرت النقوش اليمنية القديمة أسماء بعض تلك الوديان. [46]

وقــد يتساءل المرء لماذا لم تقم المراكز الحضارية في الألف الأول قبل الميلاد في المرتفعات الوسطى التي كانت ولا تزال من أخصب الأقاليم اليمنية؟

إن السبب الرئيس في ذلك التمركز إنمّا يعود إلى الرغبة في السيطرة على الطريق الــبري طريق القوافل، التي تبدأ رحلتها التجارية من الموانئ الجنوبية : – كميناء (عــدن)، و (قنا)، و(موشا)، [47] متجة صوب (ميفعه)، و(شبوة)، و(تمنع)، و(مأرب)، و(قرناو)، و(نجران) وهي في طريقها إلى الشام حتى تصل إلى البحر المتوسط.

لكـــن بعد أن فقد الطريق البري أهميته وتحول النشاط التجاري إلى البحر منذ مطلع الميلاد : انـتقل الثقل السياسي إلى المرتفعات الوسطى حيث المياه الوفيرة والتربة الخصـبة، فقامت مدينـة(ظفار) عاصمة (حمير) على سفح جبل (ريدان) قرب ' قاع الحقـل '. وقامت صنعاء العاصمة الثانية لسبأ على سفح جبل (نقم) قرب حقل صنعاء، وشـبام أقيان على سفح جبل كوكبان وقرب سهل (شبام). وقرب قاع البون قامت مدن تاريخية هامة كمدينة (ريدة)، و(عمران)، و(ناعط) وغيرها .. كما ازدهرت : (البون)، و(جهران) و(نمار) و (رداع) غيرها. [48]

ثانياً : نظام الري القديم :

لقد اتضح جليا أنّ اليمنيين عنوا عناية فائقة بالزراعة، وبتوسيع أراضيهم الزراعية. ولـم يكـن ذلك ليتحقق لهم ما لم يتمكنوا من توفير المياه اللازمة لريّ تلك المساحات الشاسعة، ويمكن لنا أن نحصر مصادر المياه في اليمن عموما فيما هو آت :

1- الأمطار.

2- السيول.

3- المياه الجوفية.

وفـي سـبيل الاستفادة القصوى من هذه المصادر الثلاثة، سخّر اليمنيون طاقاتهم الفكـرية وقدراتهـم الإبداعـية لأجـل الاسـتغلال الدقيق والأمثل لتلك المياه ؛ لريّ الأراضي، وإنشاء شبكات ريٍّ واسعة، ومصارف لخروج المياه، وتوزيعها بانتظام على المـرتفعات والمنخفضـان مـن الأراضـي الزراعية. وقد كانت طبيعة هذه المنشآت ومسـتوى إنشـائها التكنيكي إنما يختلف وفقا لطبيعة المنطقة التضاريسية وكمية المياه المتدفقة والمتوافرة.

1- الريّ بواسطة الأمطار :

تشـكل الأمطار أهم مصدر للثروة المائية، وكما هو معروف فإنّ مناخ اليمن يمتاز بالتبايـن بيـن إقلـيم وآخـر وأحياناً يكون هذا التباين داخل الإقليم الواحد ؛ لهذا نجد الأمطـار ذاتها تتفاوت من منطقة إلى أخرى، فهناك موسمان مطيران : الموسم الأول صـيفيّ في الفترة ما بين (يوليو وحتى سبتمبر)، ثم موسم آخر ربيعي يمتد من (مارس وحتى مايو)، كما تهطل أمطار في فصلي الخريف والشتاء على بعض المناطق اليمنية خاصة المناطق الساحلية.

أمـا الأمطار الغزيرة فتتركز بشكل عام على المرتفعات الوسطى، حيث تتجه بعدها إلـى نـواح مخـتلفة مـنها لـتروي ما تصادفه من السهول الواقعة في أطراف تلك المرتفعات. بيد أنّ كثرة تلك الأمطار غالبا ما تهدد بعض المناطق التي تتجمع فيها مياه الوديـان، حينما تكون محملة بالسيول الغزيرة التي سرعان ما قد تملأ تلك الوديان في ساعات قليلة، وقد تجرف التربة والقرى معها، لذلك -ومنذ المراحل الحضارية الأولى- برزت هذه المشكلة، وفكّر اليمنيون في إيجاد حلٍّ لهذه المعضلة، والبحث عن إمكانية مثلى لاستغلال تلك المياه في فصل هطولها؛ من خلال السيطرة عليها أولاً، وتصريفها

إلـى الحقـول ثانـيا، حيث يتم ذلك بشكل متقن ومنظم، بدلا من أن تذهب المياه هباءً منثورا في رمال الصحراء هدرا، أو في البحر، جاءت فكرة بناء منشآت ريٍّ تنظم تلك العملية الإروائية.

فعلـى المرتفعات أقام الإنسان اليمني القديم نظام المدرجات التي تسمّى في النقوش "الجروب" (ج ر ب)، [49] أو (ح ي ق)، [50] أو (ك ل و ت). [51] وذلك لاستغلال مياه الأمطار في حينها للتو قبل أن تتلاشى من تلك المرتفعات، وتذهب سدى، دون الاستفادة مـنها ؛ من ناحية، ومنعا من أن تجرف تلك المياه الغزيرة المدرارة معها ما تتمتع به تلك المدرجات الهندسية من تربة غنية من ناحية أخرى. فلم يكن لتلك المياه الهائلة في ظـل هـذا الـنظام المبتكر - عندئذ - إلا أن تستقر في نواحي لتروي تربتها الخصبة تدريجـيا بإطـراد متناسـق، بحيـث تنساب منحدرة من المدرجات العليا إلى مثيلاتها السفلى، وهكذا دواليك ...

وقد حدثتنا العديد من النصوص النقشية عن بناء تلك المدرجات، ومنها(نقش RES 5085 Ry 340) الـذي عثر عليه في وادي (رخيله) من منطقة (عزان). وهذا النقش إنما يتحدث عن جماعات من عشائر : (يزن)، و(ذي كبرن) و(ذي يصب)، كانوا شيدوا مدرجـات حقولهـم العلـيا الواقعة في الوادي حتى مزرعتهم (حيفان)، وقد شيدوها، وسـوروها من أعلاها إلى أسفلها بالجير والحصى بعون الإله "صاحب السماء" وبعون أربابهم الملوك : حكام ريدان ... وبعون قبائلهم : (ضيفتن) و(رثحم) ، وبعون معاونيهم وصياديهم وحراسهم، كان ذلك في شهر (ذو سربان) من سنة (560 حميري) الموافق (445م). [52] وهناك نقوش أخرى تتحدث عن بناء المدرجات على المرتفعات الجبلية. [53]

2- الريّ المعتمد على السيول :

يعـتمد هذا النوع من الريّ - كما أشرنا آنفا- على إقامة أنظمة ريٍّ مختلفة، تمتاز بأحكامهـا التي تأتي منسجمة مع الشروط المكانية والمناخية للمنطقة، وطبيعة مصادر الماء ... ويمكن تقسيم وسائل الريّ بالسيول إلى قسمين من المنشآت والمؤسسات، هما على نحو ما هو آتٍ :

1 : منشآت السدود :

تعتـبر السـدود من أهم المنشآت الإروائية التي أقامها قدماء اليمنيين، وقد جاء في النقوش لفظ (عرم) بمعنى السد، كما جاء في سورة (سبأ الآية رقم 15) ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل ﴾.

وتتبايـن مواد بناء تلك السدود، فكان بعضها يبنى من الرمل أو الحصى أو الطين، وربما من أغصان الأشجار، وبعضها الآخر- وهو النوع الأكثر تطورا- كان يبنى من الحجارة الكبيرة الصلبة.. ويمكن تقسيم السدود إلى نوعين :

أ- سدود تحويلية :

ويمـــتاز هذا من النوع المدود ببساطتها، حيث تقام أساسا لهدف رفع منسوب مياه اسيول المتدفقة في المجرى على الأراضي الزراعية المحيطة، وليس للخزن. ويتوافر مثل هذه السدود أمكن الاستفادة من هطول الأمطار بشكل مباشر أولا بأول، حيث كان يتم صرف مياهها عبر قنوات جانبية.. ومازال هذا النوع من السدود منتشرا في اليمن حتى اليوم، ويسمّى (أعبارا) أو (عوارض).

ب- سدود خزن وتصريف :

يبـــنى هذا النوع من السدود من الأحجار المردمة، حيث تقام تلك السدود في أضيق مكان من الوادي ؛ أي في الموقع الذي يهدأ فيه اندفاع السيل، أما ما كان يتوخى من أهداف من بناء هذه السدود، فهو :

1. درء خطر السيول التي تنهمر بشدة، فتهدّم القرى والمزارع وتجرف التربة.
2. رفـــع منسوب المياه في مجرى الوادي إلى الحقول الزراعية بواسطة نظام إرواتيّ دقيق عبر شبكات منظمة.
3. الاستفادة القصوى من تلك المياه لريّ الأراضي في فترة الجفاف.

وكـــان أغلـــب هذه السدود يتّسم بضخامته وروعة هندسته، وخير مثال على ذلك : سدّ مـــأرب الشـــهير الذي يعدّ من أكبر المشاريع الهندسية للريّ في شبه الجزيرة العربية، حيـــث كان في وجوده رخاء لسكان المنطقة، ووفرة في اقتصادهم الزراعي. وبقي هذا الســـد العملاق قائما لأكثر من (1000) ألف عام، وتدل آثاره الباقية على أنه رمم لكثر من مرة، وفي عصور متفاوتة.. فنظام التخزين فيه أعد بحيث يسمح بوصول السيل إلى الأراضي الزراعية عبر مصرفين كبيرين على جانبي السد، ثم تتوزع المياه - بعـــد ذلك - عبر قناتين رئيسيتين، ثم قنوات فرعية.

أمـــا اليوم فلم يبق من السد سوى بعض أجزائه وقد قامت الدولة مؤخرا بإنشاء سدّ عظـــيم فـــي وادي (أدنة) في الجزء العلوي من مضيق جبل (بلق) على بعد ثلاثة كيلو مـــترات تقريبا من السد القديم، ليقوم مقامه ويعيد للحياة نظارتها، ويؤمّن الرخاء لسكان المنطقة[54].

ومـــن المعروف أنّ كميات الغرين التي يحملها السيل معه من الأعالي تتجمع خلف الســـدّ مـــع مـــرّ السنين، فيرتفع مستوى مجرى الوادي،ويصبح في مستوى الأراضي الزراعية، وفي هذه الحال يضطر الناس إلى إقامة حاجز (سد) جديد في مكان آخر من الوادي، كما حدث في كثير من الأودية،على أن هذا لا يحدث إلا في فترات متباعدة[55].

وقـــد ذكـــر لـــنا (الحسن الهمداني) عددا من السدود في اليمن، منها سدّ (الخانق) بصـــعده، الـــذي بـــنى - كمـــا يقول - في أيام سيف بن ذي يزن، وسد (ريعان) في همـــدان..." ثـــم يضـــيف قائلا : "لما خرب سدّ (ريعان) نقص غيل وادي (ضهر) إلى النصف، وسدّ (سيان) في جنوب شرق صنعاء، وسدّ (جيرة) في إقليم (عنس) (الحدا)،

وســد (بيت كلاب) في ظاهر همدان، وسدود (يحصب) في دولة حمير التي بلغ عددها ثمانين سداً". [56] كما ذكر ذلك شاعرهم في قوله :

وفي البقعة الخضراء من أرض يحصب • ثمانون سداً تقذف الماء سائلا

2- مؤسسات القنوات :

كشفت بعثات الآثار - في كثير من المدن التاريخية - عن بقايا لشبكات ريٍّ متنوعة، مــنها القنوات. وبفضل دقة هندسة هذه القنوات وحسن توزيعها ؛ أمكن ضمان وصول المــاء إلــى الحقول الزراعية. وهي إذ تختلف في أحجامها بما يتناسب مع كمية الماء المــتدفق إلــيها ؛ فهي أيضا تختلف في تنوع أشكالها، فهناك قنوات مكشوفة وأخرى مغطاة، تتدرّج تلك القنوات في تفرعها من قنوات رئيسية - تسمى (عبر) جمعها أعبار - إلــى قــنوات ثانوية، يسمى الواحد منها : (شرج) وجمعها (أشرج)[57] وجميعها تــتحكم فــي تصــريف الماء بكميات قليلة أو كثيرة حسب الحاجة، يتم ذلك من خلال فــتحات تصريف بعضها توزع المياه عبر قنوات أصغر إلى المنطقة الزراعية المراد ريهــا. فالقنوات الرئيسية تحول الماء من السدود ؛ وتحملها إلى الأراضي الزراعية، ثــم تتولى توزيعها إلى الحقول شبكة من الجداول المتداخلة وتظلّ تلك القنوات مفتوحة على الدوام، وبهذه الطريقة فإن السيل عندما يأتي فجأة في الليل أو النهار تتوزع مياهه تلقائــياً على المزارع، كما أن تلك الطريقة تسبب في تسرب كثير من الماء إلى باطن الأرض، فــيرتفع منسوب المياه الجوفية في الوادي، ويسهل بذلك الحصول على الماء عــن طــريق حفــر الأبار في ذلك المكان[58]. وهناك عدد من النقوش تتحدث عن بناء القنوات وتعميرها منها :

(RES 3911 , RES 3913 , RES 3915)

3- الري المعتمد على مياه الغيول :

تنتشر في اليمن العديد من الغيول خاصة في المناطق التي تتلقى أكبر كمية من مياه الأمطــار، والغــيول عبارة عن مجاري مائية تستمد مياهها من العيون، وتتصف هذه المجاري بكونها دائمة الجريان، ويتم توزيع مياه الغيول على المزارع عن طريق نظام (المحاصصة) الذي يقضي بأن يحصل المزارعون على مياه الغيل حسب مساحة الحقل المزروع، ويحسب ذلك بوحدة الزمان، ويخضع هذا النوع من الري للإشراف ؛ كجزء مــتمم لعملــية الــري المعتمد على الغيول حيث تنتشر ظاهرة إقامة الخزانات ؛ التي يتعاون على بنائها المزارعون المستفيدون منها، ويوزع منها الماء إلى الحقول المختلفة، وفق طريقة حساب الزمن. مازال هذا الأسلوب متبعاً حتى اليوم[59].

4- الري بواسطة المياه الجوفية :

لم تكن مياه الأمطار والسيول المصدر الوحيد لإرواء الأراضي الزراعية، بل هناك المــياه الجوفية المخزونة في باطن الأرض، التي تشكل مصدراً هاماً من مصادر المياه فــي اليمــن، لقــد ساعدت طبيعة التكوين الصخري لليمن على حفظها والحيلولة دون

تعرضها للتبخر. وتظهر تلك المياه الجوفية على شكلين : أما على شكل عيون وينابيع عذبة، وأما على شكل آبار يقوم بحفرها الإنسان.

تمثل الأرض المزروعة بواسطة المياه الجوفية المرتبة الثانية في نظم الري بعد الري المعتمد على السيول، فكثير من الأمطار تتسرب إلى الأعماق وتشكل مخزون المياه، فالبحيرة الجوفية توجد على عمق 40 متراً في بعض المناطق. واستنباط مياه الآبار قديم جداً، ففي النقوش نجد لفظة (ن ب ط)[60] نبط بئراً، أي حفرها، وقد تم العثور على مجموعة من النقوش تتحدث عن الآبار وتملكها، أما طريقة استخراج الماء من البئر فكان يتم بواسطة أداة تسمى (ث ق ل)[61] ربما شبيهه بالدلو، أما جلب الماء فيطلق عليها لفظ (ن ز ح)[62] التي غالبا ما نستخدم للدلالة على جلب الماء من البئر، ومازال هذا اللفظ سائداً في بعض المناطق من حضرموت، وبعض من القرى الأخرى في الريف اليمني. ومن اليسير أن يلاحظ المرء هنا : أن الجرائب الزراعية المعتمدة على المياه الجوفية أن تزرع باطراد طوال العام دون توقف.

5- الصهاريج أو الكريف : [63]

لقد تمكن اليمنيون قديما من التحكم بمياه السيول المنحدرة في الأودية ؛ عن طريق إقامة منشآت ري متنوعة يتم توزيعها على الأراضي الزراعية، كذلك تمكنوا ــ في المناطق التي تخلو من المياه العذبة ــ من حفظ مياه الأمطار داخل خزانات تحفر غالبا في الصخر، وتبطن بمادة لا تسمح بتسرب الماء من خلالها. وكان الهدف من خزن تلك المياه هو : أما أن تكون للشرب، وإما للاستعمال المنزلي.

وتنتشر الصهاريج في اليمن فوق المرتفعات الجبلية، مثال: مرتفعات لواء (إب)، كما نجد آثار تلك الصهاريج فوق الجبال التي كانت بها تحصينات للمراقبة على طول سواحل اليمن، وفي بعض الجزر المجاورة لها، وقد عثر الآثاريون على بقايا صهاريج كانت تستعمل في العصور القديمة كصهاريج (حصن الغراب) حيث موقع ميناء (قنا) المشهور قديما. لكن أكبر عدد من الصهاريج كان في وادي الطويلة من مدينة عدن، فقد حصرت عند الاحتلال البريطاني بقايا لأكثر من خمسين صهريجاً، ولا عجب في ذلك لأن مدينة عدن بصفتها ميناءً هاماً كانت موئلاً للتجار من جميع أنحاء العالم، وسوقا رائجا لتجارة الشرق والغرب، ومطمعا لكل من يرغب في الكسب الوفير، فكان من الطبيعي أن يزداد عدد سكانها فتزداد بالتالي الحاجة إلى الماء[64].

متى بنيت صهاريج عدن؟ من المعلوم أن هذه الصهاريج لم تبن في وقت واحد كما يعتقد بعض الناس، وإنما تكاثرت مع نمو المدينة وزيادة عدد سكانها، لذلك لا يصح أن ينسب بناؤها كاملاً لدولة من الدول التي سيطرت على عدن، ولا إلى أي عصر من العصور. ومما يؤكد ذلك التباين في البناء أن صهاريج الطويلة ترجع إلى عهود قبل الإسلام، وقد أيد هذا الرأي العديد من العلماء من بينهم العالم السوفيتي (شيرجي) وخبير الآثار الباكستاني (ميان عبد المجيد)[65] فهناك تشابه كبير بين صهاريج عدن القديمة وصهاريج (حصن الغراب) (بئر علي) حاليا بالقرب من مدينة المكلا.

6- كيفية الانتفاع بالماء :

حدثتنا بعض النقوش عن كيفية الانتفاع بالماء في اليمن القديم، منها نقش (CIH 615)و (CIH 570)و(RES 4907)(CIH 973) و (RES (3687) = (GL 423) ونستنتج من تلك النصوص النقشية أن المياه ملكية جماعية، فإذا توزعت الأرض بين الدولة والمعبد، والملاك من الأعيان وغيرهم، نجد الماء يظل دوما ملكية الجميع، ويوزع حسب نظم وأصول متبعة.

فالمالك ليس له سوى حق الانتفاع ببعض القنوات في أوقات معلومة وبقدر معلوم، ويتم التوزيع المؤقت والمنظم لجميع مياه السيول والفيضانات وفقا لنوع المحصول ولطبيعة الموقع، وتتعرض تلك النصوص النقشية أيضا للأطراف المشاركة في تقسيم الأرض. فالانتفاع بالماء يسجل بمرسوم صادر عن المكرب (الملك)، أو المعبد، أو مجلس الشيوخ كطرف أول ؛ أما الطرف الثاني فهو صاحب النقش الذي يباشر ويشهد على منح حق الانتفاع من الماء، ومعظم مؤلفي النصوص النقشية من الشخصيات الرسمية[66] وغالبا ما يوجد إشراف على تنظيم أمور الري، فمهام المشرف تتمثل في: تنظيم وتوزيع الماء إلى الحقول، وفض النزاعات الناجمة عن توزيع الماء[67].

ويسمى المشرف أو القائم بمهمة توزيع الماء — في عهد الحسن الهمداني (القرن العاشر الميلادي) — (الدائل). كما حدثنا الهمداني أيضا عن أسلوب تنظيم ري الحقول في وادي (ضهر) — كنموذج لعملية الانتفاع بالماء — وفقا لأصول تتابع السقي فيقول : " يتم ري الحقول حقلا يلي الآخر، ولا يجوز للسلطان (صاحب النفوذ) أن يظلم في ذلك لا اليتيم ولا أهل الذمة، وإذا حدث يوم من الأيام أنّ خدم السلطان ضخوا الماء إلى كرمه بلا علم (الدائل) قام بإتلاف دواليه كلها، دون أن يخاف غضب السلطان، وحتى إذا كان حقل إنسان ما ذا أرض غربنيةٍ أو غير مفلوحة، أو صاحبها في بلاد الروم أو في أي مكان آخر، فإنها تسقى عندما يحين دورها ؛ حتى وإن لم يكن بها شيءٌ، فيجري تتابع السقي من أسفل الوادي إلى أعلاه.."[68]

ثالثاً : ملكية الأراضي الزراعية :

عرفت اليمن بأراضيها الزراعية الشاسعة،فتلك الأراضي لابد لها من نظام تمليك ؛ ليسهل الحفاظ عليها، والعناية بها، لذا وضعت أسس منظمة لأشكال ملكية الأراضي الزراعية كان لها أثر كبير وفعال على النشاط الزراعي في اليمن القديم، وقد ذكرت لنا النقوش ثلاثة أنماط لملكية الأرض هي :

1- ملكية الدولة.

2- ملكية المعبد.

3- ملكيه خاصة، وتشمل :

أ- أراضي خاصة بالملك.

ب- أراضي خاصة بالأعيان.

ج- أراضي خاصة بالأفراد.

1- ملكية الدولة :

يمثل هذا النوع من الملكية الشكل الأول من أنماط ملكية الأرض الثلاثة، والأساسي للملكـية العامة، فالدولة في الغالب تستحوذ على أكبر وأوسع الأقاليم الزراعية وأكثرها خصـوبة، فهي أما ملكية الدولة بمدنها وأقاليمها أو ملك لمدينة وفقا للنظام الإقليمي، أو ملـك لقبـيلة فقـد أوضحت لنا النقوش أن لكل مدينه أو قبيلة مناطقها وجنّتها وعرها (جـبالها) وأوديـتها ومراعـيها. (RES 3945) وتضاف إلى تلك الأراضي الخاصة بالدولة أراضي جديده تكتسبها أما بحكم السلطة أو بعد انتصارات حربية حققتها، وخير مصدر أفادنا بمعلومات عن ذلك النوع من الملكية هو النقش أنف الذكر (نقش النصر)، الـذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، في هذا النقش يحدثنا المكرب (كرب إل وتر) عن انتصاراته الحربية الكبيرة على كثير من الأقاليم في جنوب وغرب وشمال اليمن القديم، وبفضل تلك الانتصارات الجبارة تمكن (كرب إل) من إخضاع أقاليم كبيره لنفوذه، وحدثنا أيضا عن كيفية توزيع تلك الأقاليم التي صادرها، فقد قام بتوزيعها على النحو التالي :

1- أقاليم زراعية شاسعة وخصبة لملكه الخاص.

2- أقاليم خصبة أيضا للمقه ولسبأ.

3-أقاليم قسمت على من حالفه في تلك المعارك.

ذكر هنا الأقاليم التي صودرت وآلت للدولة (المقه وسبأ) ودخلت ضمن ملكيتها : في سطر 8 : "سلم دهس (يافع) وتبن ودثنت (دثينه) إلى المقه و سبأ".

السطر (9-13) "كما سلم (يزحم) و (قسعه) و (أنمه)[69] ومنطقته وأعر أره وأوديته ومراعـيه إلـى المقـه و سبأ" .. كما أخذ (كرب إل) كل (قسط كحد) أحرارا وعبيدا وأولادهـم وأموالهم ورجالهم من (يلاي) و (شيعان) و (عبره) وأولادهم وأموالهم ملكا خاصا للمقه وسبأ".

سـطر (14-15) "كمـا استولى على أرض (نشن) ومنطقتها للمقه ولسبأ .. وهزم (سمه يفع)(70) و (نشن)، وأعاد المناطق التي وهبها له ملك سبأ إلى المقه و سبأ".

هذا نموذج من الأراضي التي يمكن أن تحصل عليها الدولة وتدخل ضمن ملكيتها، أي تصـبح ملكـية عامه، ومن الملاحظ أن تلك الأراضي عندما تصادر؛ تسجل باسم الدولـة وإلهها. وبمـا أن الملـك خليفة الإله على الأرض، فله حق الإشراف عليها واسـتغلالها واسـتثمارها ذلك ما يؤكده لنا النقش القتباني الذي سجله ملك قتبان (شهر يجـل) الـذي يعود عهده إلى القرن الثاني قبل الميلاد تقريبا (RES 3688) يقول الـنقش : "الأرض ملـك الإله (عم) وعلى كل الرعايا أن يعتصموا بحبله، وملك قتبان (شهر يجل) له كل الحق في أن يشرع باسمه ويعين الرجال (أرباي) ملاكا على أرض (عم) وفق وثيقة سواء كانت الأرض عامر أم غامر"[71].

بـــرغم تلك الامتيازات التي يحصل عليها الملك فيما يخص أراضي الدولة، إلا أننا نجـــد أن قـــرار الانتفاع بتلك الأراضي بيد مجلس الشيوخ، حيث يتم ذلك بعقد اجتماع لرؤساء القبائل وأعيان المملكة يتداولون فيه الرأي في استثمار الأرض، وتقسيمها على القـــبائل والعشـــائر والفلاحيـــن، وبعد أن يتفقوا على الأسس، يرفعونها إلى الملك الذي بدوره يقوم بالمصادقة على ذلك القرار[72].

وفـــي قتبان منح الملك إدارة المعبد حق استغلال أراضي الدولة ؛ كنوع من توثيق الـــترابط بيـــن المعبد والسلطة، وبفضل هذا الحق حصلت الإدارة على جزء من دخل الأراضي، وشرعت التشريعات الخاصة بذلك[73].

☜ أمـــا المـــلاك فهم جميع المواطنين الأحرار الذين يتمتعون بكامـــل حقوقهـــم ؛ كما جاء في النقوش التالية : (RES 590 , 911 , 942) (Ja 540).

2- ملكية المعبد :

تمـــثل ملكـــية المعـــبد الشكل الثاني من أشكال ملكية الأرض، إذ يتحصل المعبد على الأرض عـــن طـــريق الانتصـــارات العســـكرية للدولة، وعن طريق الهبات والنذور والأوقـــاف ؛ حيث كان للمعابد أوقاف حبست عليها. وتمتاز أراضي المعبد بخصوبتها، وكثرة منشآتها الإروائية ... فمن الامتيازات التي تحصل عليها أراضي المعبد إعفاؤها مـــن الضـــرائب ؛ لهذا نجد الإقبال على استثمار أراضي المعبد كبيراً، والمعروف أن هـــناك أســـراً معينة متصلة دوماً بالمعبد، أي تقوم بإدارة المعبد وتستثمر أراضيه، إلى جانبها نجد سادة العشائر من المنتفعين بأراضي المعبد وعليهم تسري أحكام وثيقة (و ت ف)[74] ومـــا يؤكد ذلك تلك النقوش التي تتحدث عن الأملاك الواسعة لمعابد الإله المقه في سبأ.

3 - الملكية الخاصة :

هناك عدة أشكال للملكية الخاصة للأراضي الزراعية ؛ أبرزها شكلان ؛ هما :

أ- أراضي خاصة بالملوك والأعيان .

ب- أراضي خاصة بالأفراد .

أ- أراضي خاصة بالملوك والأعيان :

إلى جانب أراضي الدولة – التي يقوم الملوك بمهمة الإشراف عليها والتصرف بها – هناك أراض خاصة بالملوك والأعيان مسجلة بأسمائهم، يتم التصرف بها بشكل مباشر وبشروط بسيطة، ثم يؤجرونها لمن هم دونهم بشروط أكثر تعقيداً، وقد تؤجرها الملوك لقبـــيلة ما، وتكون القبيلة مسئولة كلها أمام الملك على الأرض. وفي الغالب نجد سادات القبائل هم الذين يتصرفون بالأرض المستأجرة، فيؤجرونها على أتباعهم بشروط معقدة.[75] أمـــا ملكـــية الأعـــيان أو كبار سادات القبائل فنجدها تتوسع بشكل كبير منذ مطلع المـــيلاد، في فترة أشتد فيه بأسهم واصبحوا في مكانة الملوك، فأملاكهم تشمل الحقول والبساتين والينابيع والقنوات والجبال والأودية ... [76]

وبيئـن نقش عثر عليه في قصر (حدقان) بالرحبة،[77] عن هبة قدمها الإله (تألب) إلـى ملـك (سمعي)، ومنه يتضح ما تركه من ممتلكات سواء كانت ميراثًا أم شراءً أم إيجـارًا أم دخـلاً ؛ طالمـا يمنحه أيّاها الإله الخاص بسمعي، والملاحظ أنّ بعض زعماء القبائل كانوا يمتلكون أراضي خارج نطاق مناطقهم.[78]

ب- أراضي خاصة بالأفراد :

تأتـي ملكـية الأفراد في المرتبة الأخيرة، فالمالك من الرعايا البسطاء يمتلك قطعة أرض ؛ يحصـل علـيها إمّـا مـن الدولة، وإمّا من سادة القبائل أو من المعبد. وتقع الأراضي الخاصة بالأفراد غالبا في منطقة أقلّ خصوبة من الأراضي السابقة، كما تتسم بصغر مساحتها. ويطلق على فئات صغار الملاك (ق س ط)[79].

وهناك نقش قتباني (RES 3856) عثر عليه في موقع (أم مرجلة) وادي (ضراء)، كـان قـد دوّنه شخص من قبيلة (قسم)، قام بأعمال ري زراعي، وراح يحدد في هذا النقش ما يملكه من أرض، كما يشهد على شرعية الملكية أشخاص من قبيلة. [80]

رابعاً : استثمار الأراضي الزراعية والقوانين المنظمة لها :

ظاهـرة استثمار أراضي الدولة، أو المعبد أو الملك أو الأعيان، ظاهرة بارزة، بل وأساسـية فـي مجال النشاط الزراعي لليمن القديم، فقد حدثتنا النقوش عن عدة أشكال لاسـتثمار تلـك الأراضـي التـي تـتم وفقًا لقوانين تسنها الدولة، وتناقشها المجالس التشريعية، ومن ثم يصادق عليها الملك. وتهدف تلك القوانين إلى ضمان تطور العملية الزراعية، والحيلولة دون حدوث نزاعات على الأرض، فالوثيقة التي تجمع بين المالك والمستأجر أو المشتري تسمى (و ت ف)، فهي تضمن حقوق المالك والمستأجر، وحدد بها كيفية توزيع المحصول الزراعي حسب خصوبة التربة، وتوافر مصادر الماء، ولقد خلقـت تلك الوثيقة جماعات مستقرة تعمل متحدة في سبيل إغناء الدولة، والقضاء على التمزق الداخلي، ويعد هذا في حدّ ذاته تطورا أساسيا كبيرا.

1- أراضٍ زراعية مؤجَّرة أو مستأجرة :

يطلـق على ذلك النوع من الأراضي (ق ب ل)[81] ضلع، أو (م ق ب ل ت) أرض متقبلة ، أو (ل ج أ) جمع (م ل ج أ).

حدثـنا نقـش (Ja 541) عن أراضي الملك السبئي (كرب إل وتر) التي استقطعها لـبعض سـكان مديـنة مـارب للانـتفاع بها، ففي النص النقشي يحدد تلك الأرض للمستأجرين، فالأشخاص الذين تسلموا تلك الأرض لم يكونوا مالكين لها، وإنما كان لهم حق الانتفاع فقط، بينما حق الملكية في يد الملك.

العديـد مـن الـنقوش التي عثر عليها في المعابد عبارة عن نصوص عقود إيجار واسـتئجار لأملاك المعبد، أي للأوقاف المحبوسة، وقد ذكر المستأجرون الشروط التي اتفقـوا عليها مع المعبد مقابل استغلال الوقف، وإذا كان المستأجر غير متمكن من أداء مـا عليه للمعبد في مقابل استغلال الأرض، فإن من حقه الاستدانة من شخص آخر أو

الاتفاق معه على المساهمة في استغلال الاستثمار. على شرط أخذ موافقة رجال المعبد وإدخال اسم الشخص الثاني في العقد، كي يكون مسؤولاً شرعياً عند تنفيذ شروط العقد في حالة عدم تمكن زميله من تنفيذها.[82]

2- استغلال الأرض مقابل ضريبة :

هناك نوع من شركة الأرض تتم بين كبار الملاك المنتفعين، أي يتم خلالها استقطاع بعض أراضي الدولة لفئات معينة، ثم يعيّن عليهم مسؤولاً لجني تلك الأراضي وما عن ذلـك من ضرائب، والقيام بتنفيذ ما جاء في ذلك القانون. ومن تلك القوانين التي سنت فـي ذلـك، نشير هنا إلى قانون الملك القتباني (شهر هلال بن ذرأ كرب) الذي أصدره لشعب قتبان (ودّي عاشن)، و (معين)، و(ذي عثم) أصحاب أراضي (شرو)، وبموجب هـذا القانون تم وضع الأصول التي ترشد الشعوب الأربعة إلى كيفية استغلال الأرض بصـورة مثلى، كما حدد القانون عينه الأعمال المترتبة عليها، وأنذر المخالفين بفرض العقوبـات عليهم في حالة عدم الالتزام، وحدد القانون أيضاً الموظف المسؤول الذي له حق تنفيذ ما جاء في القانون[83].

كمـا يوضح لنا نقش (RES 3689) أنّ أرض قتبان هي أرض الإله (عم)، وملك قتبان (شهر يجل) يشرع باسمه ويعين رجال (أرباي) منتفعين بأرض (عم) سواء كانت الأرض عامرة أم غامرة .

ثم يأتي الملك (شهر غيلان) ويضع سجل قبيلة (كحد) في وثيقة، وذلك عبر كبيرها المكلـف بتحقـيق رابطة الولاء للملك والمعبد، ثم جباية عشر المحصول من الأرض المسقية والبعلية [84] نقش (RES3688) .

3- بيع وشراء الأراضي الزراعية :

هذا شكل من أشكال الاستثمار، إذ نجد أن مسائل البيع كانت سائدة آنذاك، فكما سنّ اليمنـيون القوانين لتثبيت حقوق المالك والمستأجر، نجدهم أيضاً يسنون القوانين لتحديد شـروط البـيع والشـراء، فمن النقوش الخاصة بالعقود نذكر منها ثلاثة نقوش، هي : (RES 4771 , RES 3436 , Gl 53) ولعـل مـن سـمات هذه النقوش أنها تحدد أوصـاف الأرض، ومسـاحتها، ومصـدر الماء الذي تروى به وكيفية إروائها، وبأي الوسـائل المائـية التي ينبغي أن تروي بها، وما إلى ذلك ليكون ذلك موثقاً لدى البائع والمشتري، فإذا وقع خلاف بينهما يرجع إلى نصّ اتفاقية الشراء.

وهـناك نقـش مبني آخر هو (RES 4759) يتحدث فيه (بنو رشيان) عن أرض اشـتروها مغروسـة بالنخـيل، فحـددوا كل شئ بدقة متناهية، وطبيعة الأرض التي اشـتروها، والتـي كـان ما هو منها عبارة عن بساتين منها ما يتصل بتلك البساتين. وحـددوا السـواقي التـي تسقي البساتين المشتراة، والمنابع التي تأخذ منها المياه إلى مجاريهـا فـي ملكية المشتري، وحددوا ما هو لهم من الأشجار المغروسة على جانبي

مســايل المــاء وحــق الانــتفاع بالمــاء، وحق عائد الأثمار المجنيّة من تلك الأشجار المغروسة على جانبي المسايل إلى غير ذلك من أمور تتعلق بالبساتين.

وهناك نقش آخر شبيه تماما بهذا النقش هو (RES 4781)، بيد أن سؤالاً يبرز لنا هنا هو : كيف كان يتم تحديد الأرض الزراعية عند البيع أو الشراء؟

لقد تحدثت بعض النقوش عن تحديد الأرض الزراعية، وإعادة تقسيمها ؛ أي تثبيت ملكــية المنتفعين، فإذا كانت الأرض خاصة بالدولة، أو الملك، أو القبيلة نجد الملاّك هم الطــرف الأول في تحديد الأرض ويكون المشتري أو المنتفع هو الطرف الثاني. وكان أمــر تحديــد الأرض يصدر عن مجلس الأعيان، وفي الواقع كان يوضع على أطراف الأراضي المراد تحديدها ؛ علامات تسمّى أوثانا ومفردها (و ث ن)،[85] (CIH RY 366/2 (637 وهــي عبارة عن أنصاب من الحجر يكتب عليها تاريخ الشراء ؛ لــتكون بمثابة صكوك تمليك، لا يجوز التطاول عليها، أو نزعها من مكانها، أو تغيير موقعها ؛ لأنها حقّ، وقد أمرت الآلهة بقدسية الحق، لذلك فالمرء الذي يتطاول على ذلك الحق ؛ تلحق به لعنة الآلهة، فتصيبه بالبلاء والأذى ... فهناك نقوش (CIH 392 ، RES 4088) تــبرز توسل الأشخاص للإله، وما يقدمون له من القرابين ؛ لأنه حفظ لهم (وثن ملكهم).

أمــا الشــهود علــى وثائق توزيع الأرض، أو توزيع الماء فهم من أعضاء مجلس الأعــيان، الذيــن يوكل إليهم اتخاذ الإجراءات الرسمية، ومن ثم يمهرون تلك الوثائق بإمضاءاتهم المعتمدة. وقد نجد رئيس القبيلة يقوم بدور الشاهد وكذلك القبيلة بأسرها.

4- جباية ضرائب الأراضي الزراعية :

تمــثل الضريبة أداة هامة لضبط الاقتصاد، وقد اتّبعت الدولة في اليمن القديم سياسة رشيدة في جباية الضرائب، ساهمت بشكل كبير في تطور وازدهار الحياة الاقتصادية. وتذكر لنا النقوش أنواعاً مختلفة من الضرائب التي كانت تورَّد للدولة أو للمعبد، منها : (ث ر ي)،[86] و(ح ص م)،[87] و (ك ب و د ت)، [88] و (ر ز م) ..[89] والذي يهمنا هنا ضريبة الأرض الزراعــية، كــيف شرِّع لها ؟ وما مقدارها؟ وكيف تجمع؟ ومن كان المشرف على جبايتها؟

يــبدو أنّ الضريبة كانت تختلف باختلاف المحاصيل : من حيث الكثرة ونوع الغلة، كما أنّ الضريبة يمكن أن تجنى من القبيلة، والتي بدورها تقوم بتوزيعها على الفلاحين بعــد أخــذ رأي مجلس الأعيان وموافقة القبيلة، فالملك هو الذي يسنّ القوانين الخاصة بالضــريبة التــي يصــادق عليها مجلس الأعيان. وهناك مرسوم أصدره الملك السبئي (ايكــرب ملــك وتار بن يدع إل) خاص بالأرض والضرائب لمدينة (صرواح)، وذكر النص أسماء من شهد على ذلك المرسوم[90].

ومــن النصــوص الخاصة بالقوانين الضريبية ذلك النقش (GL 1602)[91] الذي يــتحدث عــن الضــرائب الزراعــية التي أمر الملك القتباني (شهر يجل بن يدع أب) بتحصــيلها من جماعة (اربي عم لبخ) أي أتباع الإله (عم) القاطنين في أرض (لبخ) ؛

وذلك في موسم الحصاد وجمع الثمار، حيث حدد هذا النقش : الضريبة التي يجب على المزارعين دفعها للدولة، والضرائب التي يجب دفعها للإله (عم) وللإله (عثتر) ... ووقع الملك هذا الامر الملكي في معبد (عم) رب (لبخ) في ذي (غيلم) وتتألف من الأربي – وهم طائفة معبد الإله (عم) – من أسر يجمع بينها صلة القربى، وقد كان لهم رؤساء يديرون شؤون الطائفة ؛ ذكرهم الملك في نقشه هذا، وهم : معدي كرب ، وبن هوبر، ود إل بن رباح، وأخوهما. وقد قصد الملك من ذكرهما في هذا النقش أنهما مسؤولان عن جمع الغلات، ودفع ما على أتباعهما إلى خزائن الدولة، وإلى خزائن المعابد التي في أرض (لبخ). ويفهم من وثائق مماثلة لهذا الملك : أنه فوّض أمر استغلال وادي (لبخ) لأتباع الإله (عم) مقابل شروط حددها الملك عينه، وهي عبارة عن ضريبة الأرض والغلال له ولمعبد الإله (عم) و (عثتر).

بفضل تلك الوثائق النقشية استطعنا معرفة نظم الجباية والضرائب في دولة قتبان بشكل خاص، والدول اليمنية الأخرى بشكل عام.

لقد حددت الضريبة بالعشر حيث جاء في نقش (GL 1601) : عشر كل الغلال الصافية، وكلّ ربح يأتي من التزلم أو من بيع أو من أرث : فقد حصر هذا القانون ضريبة العشر في الأرباح المتأتية من هذه المكاسب الأربعة، وتجنى هذه الضرائب لخزنة الدولة أو المعبد. وقد وردت إلينا كثير من النقوش ؛ يتحدث أصحابها عن ما قدموه من ضريبة العشر طواعية دون أي إكراه، فهذا هو القيل (دومان يأزم) من أقيال غيمان ... وأتباعه قدموا للإله (المقة) ضريبة العشر من مزارع (القياظ) التابعة لهم، ومن حقولهم المسقية، ومن أوديتهم، ومن كل ممتلكاتهم ... وذلك في موسم (القياظ) من سنة (ودد إل بن أب كرب بن كبير خليل الرابع) ... (نقش إرياني 22)[92] .

"دومن/ يازم/ بني/ ذغيمن/ أبعل/ بيتهن/ ذرحن/ ويحضر/ أقول/ شعبن/ غيمن / وأربعوهمو/ ... هقنيو/ المقه/ ثهوان بعل أوم/ عشرم/ لذت/ خمرهمو/ المقه/ بعل/ أوم/ أتو/ وستوفين/ دعت/ كونت/ بمقيضهمو/ وأرضهمو/ واسررهمو/ وبكل/ مكتنهمو/ بقيض/ بخرف/ ودد إل/ بن اب كرب/ بن كبر خلل/ ريعن/ ... "

كما حدثنا (ارياني 26) أيضا عن نفس الموضوع ، حيث جاء فيه : "سعد أوام (سعد) وأخوه (أحمد ازد) ... قيلا قبائل بكيل قدما للإله العشر الذي عشراه من غلات العثر والمساقي التي جاء بها لإله في موسم (الدثا) و (الصراب)" [93] .

وقد تبنّى الإسلام ذلك المقدار (العشر) واصبح العشر الضريبة الإسلامية من مختلف أنواع الأراضي الزراعية البعل والمسقي.

أما من يجني العشر؟ فهناك مشرف مسؤول عن جمع تلك الضرائب، يسمى (ق ن ت)[94] ويذكر لنا نقش (GL 1601) بالتفصيل كيفية الإشراف على جمع الضرائب. جاء في النص النقشي أن كبير قبيلة (كحد) هو الذي سيتولى أمر هذه الجباية والإشراف على تنفيذ القانون وتطبيقه على كل فرد من أفرادها من تاريخ تعيينه كبيراً على هذه

القبيلة، وتولى من خلفه في هذا المنصب أمر الجباية، ويعتبر هذا الأمر نافذا من شهر .... بأمر ملك قتبان ....

وأكــدت لــنا الــنقوش الحرص الشديد الذي توليه الدولة لجباية الضرائب ومعاقبة المهمليــن، لذا نجد قوانين جمع الضرائب قد حددت فترة الدفع، ومن أمثلة ذلك : نجد الملــك القتبانــي (شهر هلال بن ذرأ كرب) يحدد فترات الدفع بدءً من أول شهر (ذو فرعم)[95] إلى السادس من شهر (ذى فقهو)،[96] ويشترط الدفع يوما فيوم وشهرا فشهر.[97]

ولضمان تحصيل هذه الضرائب كان للدولة الحق في الاستيلاء على المحصول؛ إذا اقتضــت الأحــوال ذلك، فهي تستولي على القدر الكافي لتسديد الضريبة. وكانت هذه الطريقة قاصرة على محصول الدقيق (ط ح ن م)، أمّا غير ذلك فالدفع نقدا (و ر ق م) ويطلق على الدفع بضاعة (د غ ت م). أما المحصول المصادر فيطلق عليه (ر ز م)[98].

خامساً : المحاصيل الزراعية :

لقــد كــان لتــنوع الطبــيعة التضاريسية، وخصوبة التربة، ووفرة المياه المتعددة المصــادر، والمناخ الملائم في اليمن القديم، أهمية فريدة انعكست على تنوع المحاصيل الزراعــية، فمنذ الألف الأول قبل الميلاد، بلغت الزراعة أوج تطورها ؛ بل واتخذت لنفســها مــيزات السلعة، فانتشرت زراعة الحبوب وأشجار النخيل والحدائق المثمرة، وانتشرت الأشجار البرية الخاصة بالمواد الصمغية : كالمر، واللبان، والصبر .. التي كان لها شأن عظيم في تطور اقتصاديات المنطقة.

ويمكن تصنيف المنتجات الزراعية إلى نوعين رئيسيين :

1- المحاصيل الاستهلاكية.

2- المحاصيل النقدية.

1- المحاصيل الاستهلاكية :

تشير النقوش إلى عدد لا بأس به من المحاصيل الزراعية الاستهلاكية، إلا أن هناك ثلاثة أصناف أساسية نجدها تتصدر تلك المحاصيل وهي :

أ- الحــبوب بأنواعها. ب- الفواكه من : التمور والكروم (الأعناب).

ج- البقول.

أ- الحبوب : (Cereal, Gropes)

تأتــي الحــبوب في مقدمة تلك المحاصيل وتشمل : الذرة والشعير والحنطة أو البر (القمح) و الدخن... ويبدو واضحاً من خلال النقوش أن الحبوب تمثل المصدر الأساسي لغــذاء الإنسان اليمني القديم، وقد تعددت أسماؤها فقد يطلق عليها (ح ب ب)(99) حب أو (أ ث م ا ر)(100) ثمار أو (أ ك ل)(101) أو (ا م ر ت)(102) أو (أ ف ق ل)(103)، والمطحون منها كان يسمى (دق ق)(104) دقيق أو (ط ح ن).(105)

كمـــا ذكرت لنا النقوش غلات تسمى بأسماء مواسمها كالقياظ، والدثاء (أرياني 70/ 20)، ولأهمية ذلك الغذاء ... الذي يمثل محور حياتهم - نجد أغلب النصوص النقشية، تــبجل بركة الأرض، ويرجو المتقدم بالنص من الآلهة ثماراً ومحاصيل وافرة وزكية ومــباركة، تنجيهم من احتباس المطر، ومنحهم ماء، ومنع حدوث فيضانات، وحمايتهم من الآفات ... وشواهد ذلك في عدد من النقوش.[106]

وقد جاء ذكر الحبوب - كغذاء أساسي - في النقوش الخاصة بترميم سد مارب التي تعـود إلــى القرنيــن الخامس والسادس الميلاديين، ففي نقش (شرحبيل يعفر) (CIH 540)، الذي يتحدث عن أمر الملك بترميم وإصلاح السد بعد تصدعه في حوالي (449/ 455م) أنه يشير إلى كمية المأكولات التي استهلكها المساهمون في الترميم، حيــث شــملت أنواعاً الحبوب : البر، والشعير و الذرة التي قدمت بكميات كبيرة، وقد استهلكوا (295340) مقدار من الحبوب المطحونة وغير المطحونة من : البر والشعير والذرة والتمر.

أما نقش (أبرهة) (CIH 541 , GL 618)، الذي يعود إلى القرن السادس الميلادي - فــلا يخــتلف عن نقش (شرحبيل يعفر) حيث نجده يذكر كميات الطعام التي صرفت للمشاركين في ترميم سد مارب (سطر 114-130) مقدراً أياها بــ (50860) مقدار.

وممــا ســبق يتضــح جلياً أن إنتاج الحبوب في اليمن قد بلغ مستوى رفيعاً منقطع النظير ؛ فتلك الغلة مرتبطة بشكل مباشر بطبيعة المواسم الممطرة.

ب- الفواكه (Fruits) من التمور والكروم (الأعناب) :

لقــد كان للفواكه - كعنصر غذائي مفضل ومفيد - مكانة رفيعة وخاصة في نفوس اليمنييــن القدمــاء...، ولا غــرو فــي أنّ الفاكهة من المحاصيل الزراعية المتنوعة، والمنتشــرة في كثير من الأقاليم، والمناطق اليمنية ؛ وبالذات في المرتفعات والأودية ذات المناخ المعتدل، حتى أن الكتاب الكلاسيكيون لم يغفلوا الحديث عنها، ومن أبرزهم: (اجاثرشيدس Agatharchides) الذي طاب له أن يكتب قائلاً : "أن البلاد - يعني بلاد اليمن - خصبة جداً مع وفرة في فواكهها".

وحديثــنا عن الفواكه في اليمن قديماً ؛ إنما ينصب على نوعين وافرين منها هما : التمور، والكروم (الأعناب).

ج- التمور : (Dates)

تأتــي التمور في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في سلم المحاصيل الغذائية، إذ لا ريب في أن بلاد اليمن قديماً كانت ذات شهرة ذائعة بزراعة أنواع متعددة من التمور، وهــي مــن الأنواع ذات الجودة العالية، والقيمة الغذائية الرفيعة ... وذلك بسبب توافر الظــروف الطبيعية الملائمة: والرعاية الدائمة لزراعة أشجار النخيل (ن خ ل)[107] كما جــاء فــي النقوش، فكان هذا مما ساعد على انتشارها وتوسع رقعتها الزراعية، حيث تمركــزت زراعة النخيل في إقليمي السهول الساحلية (تهامه)، و(حضرموت) بالذات ؛

لأن تربتها هي من أنسب وأصلح الترب الخصبة لزراعة النخيل على وجه الخصوص، هـيك عمـا زرع مـنه فـي منطقتـي بيحان ونجران، وعن جودة تمر نجران قال (الهمدانـي) أن أباه قال له : "قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة... مـا رأيـت مثل مدبس نجران جودة وعظم ثمره خاصة تملأ الكف التمرة". [108] فكما اهـتم قدمـاء اليمنيين بزراعة النخيل ؛ عنوا منذ البداية بتربية شجرته، دائما بتعهدها بالسـقياء والنماء، وتهذيب سعفها، وتقليم ذوائبها وفروعها ... وهذا هو ما أوضحته لنا تمامـاً النصوص النقشية، كما جاء في نقشي : (Halevy453) و (GL 1662) أما لفـظ "التمر" - كاسم - فقد ورد في عدد من النقوش باللفظ نفسه (ت م ر)،[109] أما المكبوس منه فيسمى (م ي ث).[110]

وكـان الـتمر دائمـاً ما يمثل عنصراً ذا قيمة غذائية هامة للغاية، ومصدراً حيوياً مـرغوباً فيه لدى الناس جميعاً، وهذا ما يستشفه المرء من نقش (شرحبيل يعفر)، الذي يعـود تاريخه إلى القرن الخامس الميلادي، حيث نص هذا النقش على أن العمال الذين انـبروا لترميم سد مأرب كانوا قد استهلكوا (295340) مقداراً من الحبوب والتمور. أما نقش أبرهة فقد ذكر بأنهم استهلكوا (26,000) قدر من التمر تقريباً، بمعايير (يدع إل).

ومنذ تلك العصور الأثيلة شرع اليمنيون بتصنيع التمور وعصرها ؛ لتؤول مشروبات مسـتذاقة لديهـم، فهذا نقش (أبرهة) يشير إلى كمية ذلك العصير الذي استهلكه أولئك العمال إبّان ترميم السدّ ؛ تلك الكمية التي قدّرت بنحو (1110) قدح من عصير التمر، وقد أطلق على نبيذ التمر (م ي ث) و (م ز ر) (CIH 540/509).

د- الكروم أو الأعناب : (Grapes , Vineyard)

أوردت النصوص النقشية الكروم أو الأعناب باسم (ع ن ب) تارة [111] وباسم (و ي ن) تارة أخرى،[112] وكانت زراعته قد انتشرت منذ أزمنة سحيقة في مناطق عديدة من اليمن القديم، حتى أن اليمنيين تمّكنوا من أن ينتجوا ألواناً كثيرة متنوعة منه ... ، وفي هذا الأمر كتب (الهمداني) في كتابه (الإكليل)[113] يقول : " أن اليمن ينتج ما يزيد عن اثنين وعشرين نوعاً من العنب ..."، ثم راح يسوق لنا بعضاً من أسمائه مثل : الدوالي، والملاحـي، والأشـهب، والرازقـي، والأطـراف، والعـيون، والقوارير، والجرش، والضـروع. [114] وهـذا الأخير ذكرته النقوش باللفظ عينه (ض ر ع)، وكانت زراعة كـروم العنب قد تركزت في المرتفعات الوسطى ؛ لوفرة التربة الجيدة وتوافر المياه المـتدفقة، والمـناخ الملائم ذي الطقس المعتدل. وأما أهم أنواع العنب فهو : الأبيض، والأسود، والأحمر.

وممـا يؤكـد كثرة الكروم في اليمن : تلك الرسوم الفنية المتنوعة الأشكال ؛ التي اتسمت بها زخارفهم ذات الأبعاد والملامح النباتية على المنشآت المعمارية، والتي كانت - ومـا برحـت - تنحت في هيئة لوحات وأفاريز على الأعمدة والتيجان ، على نمط

أغصان وعناقيد العنب، حتى شاع هذا النوع من الزخرفة، وأصبح منحاه أحد خصائص الفن اليمني القديم.

هـ- البقول : (Pulse Crops)

كان للبقول بأنواعها المتعددة شأن عظيم، وأهمية بالغة القصوى في دنيا العالم القديم، ولذلك حظيت بأسواق رائجة، وتجارة رابحة .. ولهذا راح اليمنيون الأقدمون يعتنون بزراعتها أيما اعتناء، فأحتل الاهتمام بنشاطها الزراعي لديهم موقعاً خاصاً في سلم إنتاجهم للخيرات المادية ...وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدلّ على تطور البنية الاقتصادية للمجتمع اليمني القديم.

وكانوا يطلقون على البقول عموما اسم (ورق)[115] وتسمى أحياناً (ق ش م) ويقول نشوان الحميري : "القشم ما يؤكل من البقول كالفجل ونحوه بلغة اليمن وجمعه أقشام".[116] ومـا بـرح النـاس حتى اليوم في بعض الديار اليمانية يطلقون على البقول اسم (مقشـيمة) نسبة إلى الاسم القديم (قشم). وأغلب الظن أنهم إنما كانوا يطلقون هذا الاسم الأخـير على أنواع بعينها من البقول ؛ ومن ضمنها (الفجل أو البقل) الذي يطلق عليه أهالـي صـنعاء ومـا جاورهـا من المناطق (قشمي). وقد عثر على آثار لتلك البقول بأنواعها النادرة والمختلفة في مأرب وضواحيها[117]

و- الخضار : (Vegetables)

شـأنها شـأن الـبقول، فقد انتشرت في مناطق كثيرة، وأكتسب اليمنيون خبرة في اسـتخدام أسـمدة الخضـار وإدخالها كعنصر هام في غذائهم، ومنها القثاء، والخيار، والبصل، والثوم، والكراث ... الخ.

ز- العسل : (Honey)

يسمى في النقوش (د ب س)[118] يعتبر العسل اليمني من أشهر المنتجات المرتبطة بـزراعة النخيل، والفواكه والأشجار الباسقة وغير الباسقة ؛ لأن النحل يعيش على : الزهور والورود والثمار ... ونكرت لنا العديد من النقوش العسل منها (ارياني 70) و (CIH 548) ...

كما تحدث الكتاب الكلاسيكيون عن صناعة العسل في اليمن وقال (سترابو Strabo) عـن اليمـن : "إن البلاد خصبة بصفة عامة، وتتميز بصفة خاصة بأماكن لصناعة العسـل..." ،[119] وقـد أكد ذلك القول (بليني Pliny) الذي يعزى غنى السبئيين - في جانب منه - إلى إنتاجهم من العسل والشمع .. [120] ، وكانت تتركز صناعة العسل في الأوديـة الخصـبة، حيـث تـم مؤخرا اكتشاف أشكال غريبة على المرتفعات، أعتقد الآثـاريون إنها رسومات صخرية، واحتاروا كثيراً في معرفة هويتها، فاتضح بعد ذلك إنهـا عبارة عن خلايا نحل، تبنى في كهوف أو فجوات مرتفعة في الجبال ؛ يستحيل الوصـول إليها إلا بالتدلي بالحبال، وقد بنيت تلك الكهوف من الحجارة والجير، وأهمها

مـــا عـــثر علـــيه فـــي وادي (دهر) القريب من وادي (عمالين)، وفي (يثوف) بوادي (جردان) المشهور بصناعة العسل حتى يومنا هذا.. [121]

تنتشـــر خلايـــا النحل حتى اليوم في المرتفعات الوسطى، وتتصدر (حضرموت) و (صنعاء) و (إب) و (شبوة) مناطق إنتاج أجود أنواع العسل.

2- المحاصيل النقدية :

إلـــى جانـــب المحاصـــيل الزراعـــية الاســـتهلاكية، انتشر في اليمن قديما زراعة المحاصـــيل النقدية، والتي كان لها أهمية كبيرة في سلم الاقتصاد القومي، وأهمها السلع النقدية : كالبخور والذي يعتبر اللبان والمر والقرفة من أهم مشتقاته.

أ- اللبان : (Frankincense)[122]

يعـد اللبان من أفضل أنواع البخور فقد ورد أسمه في النقوش (ل ب ن ت)[123] ولطلق عليه الـيونان (Libanos)، وفـــي اللغـــة اللاتينية يسمى(Olibanum) لوليبانيوم ، أما في المصـــادر العربـــية فجاء باسم (كندر Condur) نقلا عن الهندية والفارسية، أمّا الاسم العلمـــي لشجرة هذا النبات فهي (Boswellia). وأشجار اللبان عبارة عن شجيرات صـــغيرة يبلغ ارتفاعها حوالي (10) عشرة أقدام، يقطع جذعها في فصل الصيف حتى يسيل صمغها، بعد أن تجف تصبح حبيبات ذات لون أصفر شاحب أو مائل إلى البني.

وقـد شـــكلت زراعة أشجار اللبان وتصديرها إلى الأسواق العالمية مصدراً حقيقيا لشهرة اليمن قديماً، وتنمو شجرة اللبان بشكل أساسي في : الساحل الأوسط لجنوب شبه الجزيـــرة العربية وبالذات في إقليم ظفار (دولة حضرموت)، وعرفت زراعته مناطق متفرقة من حضرموت القديمة منها وادي حجر{ CIH 948 } و(جزيرة سقطرى)[124]

وإذا تتبعنا الأهمية التاريخية لهذه السلعة ؛ لعرفنا – بصورة جليّة – المكانة العالمية التي حظي بها اليمن قديماً. لقد كان للبخور بمشتقاته (اللبان، والمر، والصبر...) أهمية عظـــيمة في الطقوس الدينية – منذ بداية التاريخ و نشوء الحضارات الأولى- إذ كانوا يلجـــأون حيـــنذاك – إلـــى حـــرقه قربانا للآلهة، فكان السومريون والبابليون يحرقونه للتطهـــير، واسترضـــاء الآلهـــة! وكان الفراعنة – منذ أقدم أزمانهم –يستخدمونه تقربا للآلهة..

وفـــي اليمـــن القديم كان اللبان من السلع المقدسة بدليل أنّ الملك كان يشرف على تجارتـــه مباشرة)[125] كما أنه يخزن داخل مخازن خاصة في المعابد ... وقد عثرت بعثات الآثار على عدد كبير من المباخر التي تحمل أسماء أنواع من البخور للأغراض الدينية.

احتلّـــت مادة البخور مكان الصدارة في الكتابات الكلاسيكية منذ القرن الخامس قبل المـــيلاد، فقد عرّف (هيرودوت Herodotus) اللبان والمر والقرفة والنباتات العطرية الأخـــرى باعتبارها منتجات عربية.[126] { Herodotus, 111,107-113 } ، أما (ثيوفراســـت Theophrastus) (حوالـــي 372-287 ق.م) فقد أشار إلى أنّ اللبان

يـزرع على جبال شامخة، تغطيها الغابات ومعرضة للثلوج (127)، وفي الجزء الثاني عشـر مـن كـتابه { Natural History} تحـدث (بليني Pliny) وباسهاب عن منتجات اليمن القديم بشكل عام، وعن اللبان والمر بشكل خاص، واصفاً مواسم حصاده، وطـرق جمعـه ، ودرجات جودته، وأشكاله وألوانه، وأسمائه المختلفة، [128] كما أشار إلـى أنّ طريقة جمع تلك السلعة يحيط بها قدر كبير من القدسية، وتمارس شعائر دينية خاصـة، وقـد كان ينقل ما لا يقل عن (1300) إلى (1700) طن من اللبان إلى الإمبراطورية الرومانية فيما بين (7000) إلى (0 00 ،10) حمولة جمل سنوياً، هذه الأرقـام لا تمثل الإنتاج الإجمالي لبلاد العرب، بل تصدر كميات منه إلى بلاد ما بين النهريـن عـبر مدينة جرها في الخليج العربي براً، وتذهب كميات أخرى إلى الهند بحـراً وتستهلك كميات كبيرة منه في الجنوب العربي، أما إجمالي الإنتاج فيقدر بـ (2500) إلى (3000) طن سنوياً. [129]

لقـد ذكـرت لنا النقوش أسماء اللبان ومشتقاته نذكر منها : (ل ب ن) لبان[130] { Ym 467 } و (ق س ط) القسـط[131] (CIH 682} ، ويسـمى عـند الكلاسـيكين الأغريق والرومان : كوستوس (Costus)، و(ق ل م) [132]، وهو نوع من البخور جاء ذكره في نقش التاجر المعيني (زيد إل زيد)، الذي عثر عليه مكتوباً على تابوته الخشبي فـي (سقارة) بالقرب من القاهرة بمصر، فقد ذكر أنه كان يجلب المر و(ق ل ي م ت) مـن اليمـن للمعـابد المصرية{RES 3853, 3427/1} و (ق ب ل ت) قبلت [133] { CIH 439/2} و (ن ع م) نعم [134] { CIH 683 } و (ل د ن) لادن [135] {CIH 685 } و (ك م ك م) كمكـلم[136] { CIH 682} و (هـــ ذ ك) هذك، و(ض ر و) {CIH 681} و(ذ هـ ب) [137] و (ط ي ب) (Ja 635/ 4 ، و(ر ن د) CIH 682} { [138] كمـا تذكـر النقوش اسم (طيب إل) إي بخور الآلهة أو البخور المقدس) [139] وهـناك نـوع مـن البخور يسمى في النقوش (م ث ع ي)، يطلق عليه في المصادر العربية (ميرت)، و(ش هـ ز) اسم يطلق حتى الأن على اللبان في المهرة، و(س ل ي خ ت) ويسـمى عـند الاغـريق (كاسيا)، ويستخدم بشكل خاص كدواء لعلاج بعض الأمراض. [140]

ب ــ المـــر : { Myrrh }

يسمّى في النقوش (أ م ر ر)، [141] أما الاسم العلمي للمر فهو { Commiphora }، يحـتل المر مكانة هامة في مواد التصدير إلى جانب اللبان كما جاء في نقش التاجر المعينـي (زيد إل زيد) (RES 3427) بل إننا لا نجد ذكر اللبان إلا ويذكر معه المر، ويعـد المر من النباتات التي كانت تنمو بشكل طبيعي كاللبان، ثم استنبتت في المزارع عـندما ازداد الطلـب عليه، وكان المستنبت منه أفضل من الذي ينمو في الغابات وهو يجنى بنفس طريقة اللبان، أي بإحداث شقوق في جدع الشجرة، ليسيل منه مادة صمغية كالحبيبات، وكان المر ينمو في مناطق متفرقة من اليمن، ويشير Von Wissmann}

{ معـتمدا على ما قاله { Pliny } من أنّ المر يعد أيضا من محاصيل بلاد الأشاعر فـي تهامة قريبا من باب المندب.[142] هذا القول يتفق مع ما جاء في (كتاب الطواف حـول الـبحر الإرتيري)[143] : من أنّ المر يصدر من (موزع) شمال باب المندب، بخلاف اللبان الذي كان يصدر عبر ميناء (قنا) الحضرمي.

وقـد عـرف المـر قديماً بخصوصيته الفريدة لاستخدامه في تركيب العديد من الأدويـة، والعطور ومستحضرات التجميل، كما كان له أهمية خاصة عند اليهود فمنه يستخرج الدهن المقدس كما جاء في (سفر الخروج ، الفصل الثلاثون).

وعن إنتاج المر حدثنا { Groom } مستنداً على ما قاله { Pliny } : "من أنّ المر كـان يشـكل 30% مـن تجارة الجنوب العربي، وأن الإمبراطورية الرومانية كانت تسـتورد ما لا يقل عن (211) طن، أو (1184) حمولة جمل من المر سنويا."[144]

وعـن أنواع المر أشار { Pliny } إلى أنّ هناك أنواعاً من المر الذي يزرع في اليمن القديـم، وأبـرز هذه الأنواع مايلي : – المر {Minaean}.وإنّ { Pliny } لا يقصد بالمـر المعينـي هـنا، أنه يزرع في معين، بل إنّ المعينين كانوا يتاجرون به ؛ لهذا التصـق اسـمهم بـه، فالمر أساساً غلة الحضرميين والجبانيين، أي (القتبانيين) ، المر الحضـرمي {Astramitic} ويجلـب مـن حضـرموت، المر { Gebbanitic } والمقصود القتباني، المر { Ausaritic}الاوساريتي ويأتي من مملكة الجبانيين، ذلك ما قالـه {Pliny}، مـن هـنا اتضـح أنّ (الجبانيـت) مقصود بهم (القتبانيون)، تقول {Pirenne} أنّ المـر الأوساريتي نسبة إلى منطقة (الوسر) إحدى المناطق الواقعة في نطاق مملكة أوسان معتمدة على ما جاء في نقش {RES 3945, 397i}.[145]

ج- القطن أو الكتّان : {Cotton }

أقـدم ذكـر للكـتّان جاء في نقش التاجر المعيني (زيد إل زيد)[146] الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، فقد ذكر باسم (ب و ص)، أما أقدم أثر للكتان فقد عـثر علـيه في آثار مقابر (شبام الغراس) عندما تم العثور على جثث محنطة ملفوفة بلفائف كتّانية جيدة الصنع، ورقائق من الجلد. وبعد تحليل قطع منها بواسطة { C 14} (كـربون 14 المشع)، اتضح أنّ تاريخها يعود إلى ما قبل (2410) سنة أي تعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد[147]، والسؤال الذي يبرز أمامنا : هل عرف قدماء اليمنيين صناعة النسيج؟ وما مناطق زراعة القطن؟

تمـثل السـهول الساحلية الغربية (تهام) والسهول الساحلية الجنوبية (أبين ولحج) والهضـبة الشـرقية (حضـرموت) أقاليم ملائمة لزراعة القطن ؛ نظراً لتوافر: المناخ الخالـي مـن الصقيع، وتوافر التربة ذات الصرف الجيد ... ولا يستبعد أن تكون هذه الأقاليم منذ القدم مراكز لزراعة القطن، وما يزكّي ما ذهبنا إليه ما ذكره (الهمداني) في " القرن العاشر الميلادي "حيث ذكر أنّ وادي حضرموت وفروعه يعد من الأقاليم التي يزرع فيها العطب (القطن) إلى جانب زراعة النخيل.[148]

والمعــروف أنّ اليمنيين في صدر الإسلام اشتهروا بتصدير البرود اليمانية والادم، وكــان (آل مخزوم) القرشيون يفاخرون بإكساء الكعبة من القماش اليمني الفاخر[149]. فتلك الجودة من النسيج لا يمكن أن توجد فجاة في صدر الإسلام، ما لم يكن لها بدايات بعــيدة فقــد اكتســب اليمنــيون خــبرة طويلة منذ عصور ما قبل الإسلام في صناعة المنسوجات القطنية.

د – الصبر :

عــبارة عن شجرة صغيرة تعصر فروعها لتسيل منها مادة صمغية بنية اللون مرّة المــذاق، يســتخدم كعــلاج لبعض الأمراض، وافضل أنواع الصبر هو الذي يأتي من جزيرة سقطرى ويسمى بالصبر السقطري أو الصبارة وعن هذا النوع من الصبر يقول المســعودي : "وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرى، إليها ينسب الصــبر السقطري، ولا يوجد إلا فيها، ولا يحمل إلا منها، وقد كان (ارسطاطاليس بن نقومــاخس) كتــب إلــى (الاسكندر بن فلبس) حين سار إلى الهند في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من الصبر السقطري ... فسير الاسكندر إلى هذه الجزيرة خلقاً من اليونانيين أكثرهم من مدينة (ارسطاطاليس بن نقومــاخس ...) في المراكب بأهاليهم في بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة...ويحمل من جزيرة سقطرى الصبر السقطري وغيره من العقاقير". [150]

سادساً : الثروة الحيوانية :

لا يمكــن لــنا دراسة الاقتصاد الزراعي في اليمن القديم ، دون التطرق إلى الثروة الحيوانــية، لمــا لذلك من أهمية بالغة من حيث التكامل الاقتصادي الذي كان قائماً بين الثروة الحيوانية والحياة الزراعية.

لقد وجد في اليمن قديماً أنواع مختلفة من الحيوانات يمكن تقسيمها إلى :

أ– حيوانات مستأنسة :

تأتــي فــي مقدمة هذا النوع من الحيوانات المواشي : الأبقار، والماعز، والأغنام، والإبــل، والخــيول، والــبغال، والحمــير ... فمنذ القدم اقتنى اليمنيون تلك الأنواع من الحــيوانات كملكــية خاصة، مستفيدين من لحومها وألبانها في غذائهم وكثروة حيوانية تفــيدهم عــند ممارســة الطقوس الدينية، وتسهل لهم تنقلاتهم وأعمالهم، ومن جلودها يقومون بصناعة الكماليات الحيوية في حياتهم.

إنّ الظــروف البيئــية والمناخــية في القديم كانت تختلف نسبياً عما هي عليه الآن، فالمراعــي الطبيعــية كانت تنتشر في مساحات شاسعة، كما أنّ مخلفات الزراعة كانت توجد بوفرة، كل ذلك كان بمثابة المصدر الرئيس لغذاء الحيوانات، ووفرة ذلك المصدر تعنــي أن له شــأن عظيم في معدل إنتاجية الوحدات الحيوانية، وكتأكيد على هذا القول نعــود إلــى نقش النصر (RES 3945) الذي سجله الملك (كرب إل وتر) في القرن الســابع قــبل المــيلاد، فعــند حديــثه عن انتصاراته الحربية ومصادرته للأراضي،

والمواشـــي، والمدن المهرومه يذكر في (سطر 18) عدد الماشية التي صادرها من مدن (فنـــن) فـــي الجوف والتي بلغ عددها (15,000) رأس من المواشي، وفي (سطر 19) يتحدث عن الانتصارات التي حققها على قبيلة (أمـــير) في نجران فيذكر أنه غنم (200,000) من ماشيتهم إبلا وبقرا وحميرا.

كمـــا يحدثنا نقش أخر (ارياني 12) - يعود إلى عهد الملك السبئي (شعر لوتر) في القرن الثالث الميلادي - عن الأعداد الهائلة من المواشي التي قتلها قائدة (وافي الذ ,) في حربه ضد الأحباش وأعوانهم في تهامة، والتي بلغ عددها (10,000) من الأغنام، و (300) مـــن الإبل، و (1300) من البقر، و (270) من الحمير. وكتأكيد على وفرة الماشية في اليمن قديما: نجد ذكرها في قوائم غنائم الجيوش السبئية والحميرية(Ry 308

عند التمعن في تلك النقوش نلاحظ الأعداد الهائلة من الحيوانات المستأنسة ؛ عندها نســـتطيع أن نتصور الرخاء الاقتصادي، وخصوبة الأرض، ووفرة الماء والمراعي في تلك العهود.

والمعروف أنّ الإنسان اليمني لم يستغن في غذائه عن لحوم الحيوانات ؛ فقد تركز غـــذاؤه علـــى لحـــوم الأبقار والأغنام والماعز والإبل ... وقد ذكر لنا الملك الحميري (شـــرحبيل يعفر) – (القرن الخامس الميلادي) في نقشه (CIH 540) عند ترميمه لسد مـــأرب – كمية اللحوم التي قدمت للعمال أثناء ترميم السد التي تقدر بـــ (370) رأس من الإبل، و (1360) رأسا من الضأن والبقر، و(1100) نبيحة أخرى.

أمـــا أبرهة – الذي حكم اليمن في حوالي منصف القرن السادس الميلادي- فقد ذكر لنا في نقشه الشبيه بنقش (شرحبيل يعفر) (CIH 540) كمية اللحوم التي قدمت للعمال أثـــناء إعـــادة ترميم سد مأرب، والتي تقدر بحوالي (3000) نبيحة من الإبل والأبقار والأغنام، و (7200) من الضأن.

إلـــى جانب أهمية تلك الحيوانات كغذاء هام، نجد الحياة الدينية لا تخلو من الحاجة الماســـة لمثل تلك الثروة ؛ فهي تقدم كأضاحي للألهة، وبالذات الأبقار والماعز ؛ لهذا عنـــي بها عناية كبيرة، واقتناها كل فرد، لممارسة الطقوس الدينية والتقرب إلى الآلهة والتودد لها، وتقديمها في مختلف المناسبات الدينية.

كما استخدم الإنسان اليمني قديما بعض أنواع تلك الحيوانات كدابة ركوب أو نقل ؛ وخاصـــة : الجمال والبغال والحمير.. والمعروف أنّ الجمل قد استخدم كوسيلة نقل منذ الألـــف الثالـــث قـــبل الميلاد ؛ لنقل البضائع عبر الصحراء إلى شمال شبه الجزيرة العربـــية، وتـــزايد اســـتخدامه لها داخل المنطقة بقدر ازدياد الصلات مع سكان وسط وشـــمال الجزيـــرة، واســـتخدام تلك الحيوانات على نطاق أوسع خلال القرنين الرابع والسادس الميلادي[151].

أما الخيل فقد ذكر في المصادر الأشورية التي يعود تاريخها الى مطلع الألف الأول قبل الميلاد ، كان الخيل من ضمن الهدايا التي أرسلها ملوك اليمن الى ملوك أشور، منذ

القـــرون الأولـــى للميلاد استخدم الخيل في المعارك الحربية فقد جاء في النقوش ذكر لوحدات الأفراس والخيول التي شاركت في الحروب، وتعود إلى القرن الرابع الميلاد ؛ فــنقش (Ja 655) يتحدث عن جيش الأعراب ضمن الجيوش الحميرية التي خاضت حروبا ضد حضرموت، في (سطر 44) ذكر ما يلي : لم ينج إلا أسرع الجياد والنياق " وكانـــت أن اشتركت في تلك المعركة الجياد والفرس والنياق.[152] ويطلق على الجواد في النقوش (ج و د) والفرس (ف ر س).

وإلـــى جانب ذلك نجد الحيوانات تمثل جزءً لا يتجزأ من العملية الزراعية، فالنشاط الزراعي بشكل عام – وفي أغلب المناطق اليمنية – يعتمد اعتماداً كلياً على الحيوانات فـــي عملـــيات الـــزراعة المختلفة كجلب الماء من الأبار وحراثة الأرض، خاصة في المدرجات الزراعية، ومازالت هذه الحيوانات وبالذات الثيران تقوم بتلك المهمة.

وكـــان يستفاد من جلود الحيوانات ؛ فقد قام الإنسان في اليمن القديم – ومنذ زمن بعيد – بدباغة الجلود، وصناعة الأحذية والأحزمة وغير ذلك ...وما يؤكد ذلك ما عثر عليه من آثار في مقابر (شبام الغراس) التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، إذ عثر على جثث محنطة كفنت بلفائف كتانية وطبقات من الجلد، بالإضافة إلى الأحذية الجـــنائزية والأحذيـــة العاديـــة والأحزمة.[153] ومثل هذا الاكتشاف سلط الضوء على إبداعات جديدة، وحقائق لم تكن معروفة من قبل.

ب- حيوانات برية :

تشـــير الدلائل النقشية، إلى أنّ الحياة الحيوانية البرية في البيئة اليمنية : كثيرة حافلة بصـــنوف وأجناس وفصائل من جميع أنواع الحيوانات، والتي لم يعد لها وجود اليوم، كالأوعال، والضباء، والبقر الوحشي، والفهود، والأسود ... الخ .

الوعول تسمّى في النقوش (أ ي ل) أو (ع ل م)، وكانت تنتشر في مناطق كثيرة في اليمن وكان لها أهمية خاصة في مجال الصيد المقدس. وقد عثر على ما يزيد عن (40) نقشا (ارياني 41-64) تتحدث جميعها عن الصيد المقدس، وكان مكارب سبأ قد سجلوا تلك النقوش، فذكرت نقوشها الأعداد الهائلة من الوعول التي تم اصطيادها، تلك الأعداد إنما تعكس – دون أدنى شك – حالة الخصب التي كان يتمتع بها اليمن قديما[154].

وقـــد تركزت مناطق استيطان الوعول ؛ على أطراف الأودية الشرقية حول رملة الســـبعتين، وأبيـــن، ومأرب، والجوف. وتبين النقوش أنّ الأوعال وقطعانها كانت من حـــيوانات الصـــيد الأساسية. وحتى الآن مازلنا نرى قرون أوعال على بعض المنازل كنوع من التعويذ والحماية.

وفي منطقة (العقلة) عثر على نقش (Ja 949) سجله الملك الحضرمي (يدع إل بين بن ريشمس) بمناسبة الإنجازات التي قام بها في شبوة، فقد ذبح (35) بقرة برية، و (82) فهـــودا، و(25) غزالا، و (8) من الفهود. كل ذلك يؤكد حقيقة البيئة الخصبة لليمن القديم الغنية بالحيوانات البرية المتنوعة، والتي لم يعد لها وجود اليوم.

سابعاً : قواعد زراعية وحسابات فلكية :

اكتسب اليمنيون قديما خبرة واسعة بالقواعد الزراعية كتحديد فترة تسميد الأرض، ومواسم البذور، وغرس الأشجار، والمواسم المطيرة والمجدبة.. كما كانت لديهم حسابات فلكية زراعية خاصة بهم ؛ حددوا من خلالها الفصول والمواسم، ومن قواعد الحساب والتقويم نجدهم يتّبعون النسق المتعارف عليه في ترتيب الفصول : (دثا ، خرف ، سمسع، وملي) أي : (الصيف، والخريف والشتاء، والربيع). وعلى ضوء ذلك قسّم (الارياني)[155] العام بالحساب الزراعي – لدى اليمنيين القدماء – إلى أربعة فصول على نحو ما هو آت :

الفصول الأربعة بالحساب الزراعي اليمني

الفترة	الفصل
من 13 آذار / مارس إلى 13/حزيران / يونيو	فصل الصيف (دثأ – الدثا)
من 13 حزيران / يونيو إلى 13/ أيلول/ سبتمبر	فصل الخريف (خرفم، خرمن، خريف)
من 13 أيلول/ سبتمبر إلى 13 / كانون الأول / ديسمبر	فصل الشتاء (سمسع، سمسعم)
من 13 كانون الأول/ ديسمبر إلى 13 آذار / مارس	فصل الربيع (مليم، ملي)

إلا أنّ علماء الساميات لهم رأي آخر في تفسير أسماء تلك الفصول، (فالدثاء)[156] عندهم يعني فصل (الربيع)، ويطلق أيضاً على ثمار وغلات ومطر الربيع، أما (سمسع)[157] عندهم فيعني فصل الصيف، وأما (ملي)[158] فيعني فصل الشتاء، ولا يختلفون في أمر (خرف) الذي يعني فصل الخريف، أو غلال أو مطر الخريف.

وبمــا أنّ الغــلال فــي اليمن تسمى قديما وحديثا بمحصودها، لا بمبذورها نجد أنّ الغلال تحمل اسم المواسم التي تحصد فيها، ومن تلك المواسم :

- القــياظ : (ذوقيظــن) أو (ذو القــياظ) أو (ذو قيظم) - اسم غلة، واسم لأحد شــهور الربــيع.[159] أمــا في (المعجم السبئي) [160] فهو اسم غلة الصيف فالقياظ في المعجم تعني الصيف.

- الدثأ : اسم غلة، واسم شهر من شهور فصل الصيف عند (الارياني)،[161] فالقياظ في المعجم يعني الصيف.[162]

- الصراب : الحصاد، و(ص ر ب)[163] تعني موسم، ويقصد بذلك موسم الحصاد لأيّ غلــة زراعية ؛ حتى الآن مازال الحصاد يحمل اسم الصراب، ويطلق على الصراب الشهرين الأخيرين من فصل الخريف.

لذلــك نجدهــم قد أوجدوا نوعين من التقويم، الأول قمري وهو ذو طابع ديني، أما الثانــي فهو الفصلي أو الشمسي وهو ذو طابع اقتصادي له علاقة بالأعمال الزراعية.

وفــي ذلــك يقول عالم النقوش (بيستون Beeston)[164] : "إنّ التقويم الجنوبي العربي عــرف منذ القدم من نصوص نقشية، وهو تقويم فصلي زراعي لفصول زراعية ثابتة، وضع هذا التقويم للمنطقة الخاضعة لنظام الرياح الموسمية، فالسنة مكونة من 360 يوما تشــمل 12 شــهرا كل شهر 30 يوما". وقد حفظت لنا النقوش قوائم طويلة من أسماء الشــهور، وتســميتها تتم بنظام ديني، مثال : ذو محجتان، شهر الحج (ذو الحجة عند المســلمين) ذو محجــتان له علاقة بالتجمع لتأدية فريضة الحجّ. وبعض أسماء الشهور ذات الطابع الديني تحمل أسماء آلهة مثل : ذو عثرت، ذو شمس، ذو نسور، ذو عم ... أما الشهور الزراعية فنذكر منها :

- ذو علن : شهر الخير والغلال الوفيرة، أحد الشهور التي تسبق الصراب. [165]
- ذو مبكرن : شهر أوائل الغلال والثمار. [166]
- ذو مدرأن : اسم لأحد الشهور ربما يطابق شهر يوليو. [167]
- ذو مزعم : الشهر الأول من العام الزراعي عند فلاحي قتبان. [168]
- ذو فقهو : الشهر الأخير من السنة الزراعية عند فلاحي قتبان. [169]

كما نجد اليمنيين يكتسبون خبرة بمعرفة مواعيد الأمطار، وكمياتها، ومعرفة المواسم المطيرة والمجدبة، في كل منطقة. وهناك نقوش تتحدث عن حرص الملوك على حماية بعــض المــناطق الزراعية من الأمطار قبل هطولها، [170] أي أن لديهم معرفة حقيقية بأرضهم وأحوالهم المناخية.

كمــا تطرقت النقوش للآفات الزراعية التي قد تبتلى بها الحقول، فقد جاء في بعض النقوش ذكر لكوارث الجرادوكيفية مكافحتها، ويطلق على الجراد في النقوش (ق ل م)[171].

ولمكافحة الآفات ترش الأعشاب بتربة معينة ربما تحتوي على مواد عضوية لتحميها مــن الآفــات، فكثــير مــن النقوش التي يسجلها الأفراد تحمل في مضمونها توسلات

وتضـــرعات إلـــى الألهة لحماية مزارعهم من الأفات، لو تتضمن شكرهم لها؛ كونها جنبت غلالهم وحقولهم ومزارعهم الضرر.

أما الأدوات الزراعية التي استخدمها اليمنيون قديما فكثيرة ... وقد عثر على صورة بارزة للمحراث الذي لا يختلف كثيراً عن محراث اليوم. كما نجدهم قد استعملوا الفأس، والمشتر، والمغرس والمجرفة، والشريم وغيرها من أدوات الحراثة ...(172).

مـــن خلال دراستنا الموجزة للحياة الزراعية في اليمن القديم، يمكن لن نجمل القول في أنَّ الزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية، كانت قد شكّلت القاعدة الأساسية للبناء الاقتصـــادي منذ المراحل الأولى لتطوره الحضاري ... ولا غرابة في ذلك، إذ أسهمت المقومـــات الطبيعـــية – كالســـطح، وخصوبة التربة، ووفرة المياه المتعددة المصادر، والمناخ الملائم – في ذلك الإزدهار، كما أنَّ للمقومات البشرية – هي الأخرى – الدور الإيجابـــي والهـــام فـــي تلك النهضة ؛ كوفرة الأيادي العاملة التي كانت تقوم بالمهام الزراعـــية، وبـــناء منشـــآت الري المتنوعة والمتطورة ؛ فعلى الأودية أقام اليمنيون السدود، وأنشأوا القنوات، وفي المناطق الداخلية الجافة حفروا الأبار، وعلى المرتفعات بنوا المدرجات الزراعية واستغلوا مياه الغيول، كما تفننوا في بناء الصهاريج.

كـــل ذلـــك كان مدعوماً بوجود سلطة قوية تحافظ على أنظمة الريْ وتسنْ القوانين الخاصـــة بـــتوزيع الأراضي الزراعية والمياه .. إضافة إلى ذلك : وجود سوق رائجة لتسويق المنتجات الزراعية المتنوعة في الأسواق المحلية والأسواق الخارجية .. بفضل تلـــك العوامـــل كلها تبوأت الزراعة المرتبة الأولى في اقتصاد اليمن القديم ؛ فانتشرت الحقـــول الزراعية، حيث بلغت المساحة المزروعة حوالي 80% من المساحة الصالحة للزراعة ولا سيما في الوديان والسهول، أما اليوم فالمساحة المزروعة في مأرب تعادل (5/1) خمـــس المســـاحة أيـــام الســـبئيين، لأن المياه كانت تستغل بشكل أمثل بخلاف العصور المتأخرة والحاضرة، حيث فقدت التربة الكثير من عناصر خصوبتها القديمة.

كما كان لقدماء اليمنيين معرفة أكيدة بالقواعد الزراعية لتحديد فترة تسميد الأرض، ومواسم البذور، وغرس الأشجار، والمواسم المطيرة والمجدبة، كما كان لديهم حسابات فنية زراعية خاصة بهم حددوا من خلالها الفصول والمواسم.

وإلـــى جانب الزراعة عنى اليمنيون عناية فائقة بالثروة الحيوانية المختلفة، كل ذلك ساعد –بشكل مباشر– في تطور وازدهار الحياة الاقتصادية بمختلف أشكالها.

الهوامش والمراجــع :

1. Groom . Nigle St.J : " Frankincense and Myrrh " A study of The Arabian Incense Trade (Arab Background Series) , London and New York , 1981 , P 80-88 .

2. الأشــعب، خالص : "اليمن، دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، 1982، ص 54-55.

3. بلفقية، عيدروس علوي : "جغرافية اليمن" دراسة إقليمية، جــ 1 ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن 1997 ص 26 .

4. يوســف محمــد عبدالله : "أوراق في تاريخ اليمن وآثاره"، بحوث ومقالات جــ1، منشــورة وزارة الأعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، صنعاء، ط1، شركة دار التنوير للطباعة والنش، بيروت (1406 هــ - 1985) ص 85.

5. محمد توفيق : "آثار معين في جوف اليمن"، نقوش خربة معين، القاهرة، 1952 ص 4 .

6. المدن المذكورة في هذا النقش تقع جميعها في وادي الجوف.

7. المصــري، حسين عبدالله والارياني مطهر علي، ويوسف محمد عبدالله : "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل الميلاد، حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، دار الفكر المعاصر، بيروت 1995، 17.

8. أحمــد فخــري : "رحلة أثرية إلى اليمن"ترجمة : هنري رياض، يوسف عبد الله، مراجعة : عبدالحليم نور الدين، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية اليمنية، (مشرَوع الكتاب2/21) صنعاء، 1988، ص 172.

9. الأشعب : المرجع السابق، ص 55.

10. يوسف : أوراق، جــ1، ص 87.

11. المرجع نفسه، ص85 .

12. أورلــي برون : "الري واستخدامات الأرض في منطقة مارب"، ترجمة أحمد نعمان المدحجــي، مجلــة دراســات يمنية، العدد(28)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء،1987،ص144.

13. أحمد فخري : المرجع السابق، ص 100.

14. عيدروس : المرجع السابق، ص 32 .

15. الأشعب : المرجع السابق، ص 155.

16. عيدروس : المرجع السابق ، ص 28 .

17. Bowen , Richard le Baron Jr " Irrigation in Ancient Qataban (Baihan) dans , Bowen , R , le B , and ALBIGHT , Archaeological Discoveries in South Arabia " , pp. 35-42 , 43-131 .

18. المرجع نفسه، ص 46 .

19. الأشعب : المرجع السابق، ص 55.

20. عبدالعزيز صالح : "تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة" مكتبة الانجلو – مصرية القاهرة 1988، ص 78 - 79.

21. Pirenne , Jacqueline : " Prospection historique dans la region du royaume de Awsan" , dans , Raydan vol (3) , Louvain , 1980 , p. 230 .

انظـــر أيضا : الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، 1996، ص 157.

22. Doe Brian ," Southern Arabia " (New Aspects of Antiquity) London , 1971 , pp 173 - 175 .

23. بريتون، جان فرانسوا : "وادي ضراء" تقرير أولي، البعثة الفرنسية 1985

24. الأشعب : المرجع السابق، ص 56.

25. يوسف : أوراق ، جـــ1، ص 85.

26. وادي حجر : يحمل نفس اسم الوادي الكبير الذي يصب في البحر العربي

27. Pirenne , op.- cit , p. 230 .

28. عيدروس : المرجع السابق، ص 114.

29. المرجع نفسه، ص 114 -115.

30. علـــي عقيل بن يحى : "نموذج من نظام الري في وادي حضرموت"، مجلة التراث، العدد الأول، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1977، ص 215

31. غـــريا زنفســـكي : " تـــاريخ حضـــرموت وحضارته " ، قضايا دراستها والبحوث الأخـــيرة، الفصـــل الســـادس مـــن كـــتاب" الجديد حول الشرق القديم" ، لمجموعة من المستشرقين السوفيت، ترجمة : جابر أبي جابر، دار التقدم، موسكو، 1988، ص 232-233.

32. المرجع نفسه، ص 232.

33. المرجع نفسه، ص 233.

34. ل .ك.شـــيليك : "طرق الري القديمة في شعب مرلوح"، نتائج أعمال البعثة اليمنية – الســـوفيتية، 1986، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1986، ص 27.

35. المرجع نفسه : ص 31 .

36. المرجع نفسه : ص 30.

37. المرجع نفسه : ص 29.

38. Coton Thompson - : " The Tombs and Moon Temple of Hureida (Hadramaut) (Reports of the Research committe of the Society of Antiquaries of London n XIII) Oxford 1944 , p.9 .

39. المرجع نفسه : ص 9.

40. المرجع نفسه، ص 3 - 7.

41. نفسه.

42. Genttelle Pierre - : " L'irrigation antique a Sabwa , dans Sabwa , Tome II , Paris , 1992 , p. 1-51 .

43. Pirenne , Jacqueline - : " Ce que trois campagnes de fauilles nous ont deja appris sur Sabwa , Capitale de Hadramaut " dans Raydan , vol , I , 1978 , p. 136.

44. بيرن، جاكلين : "شبو" مجلة الثقافة الجديدة، العدد 615، يونيو 1976، ص 33.

45. (س و ط) أنظــر نقــش النصر (RES 3945) : يقصد بهذا الاسم الهضبة التي تشقها أودية حضرموت ، منها (عرمه) و (المعشار) و (العطف) و (دوعن) و (عمد) و (العيــن) ... ويفضل بعض العلماء استخدام لفظ (السوط) بدل عن (الجول) والتي تعني الهضبة أيضا.

46. Robin , Christian - : Les hautes-terres du nord Yémen avant l'Islam , vol I , recherches sur la geographie tribale - et réligieuses de Hawlan , Quda a et du Hamdan , Istanbul , 1982 , p. 29-32 .

47. ميناء موشا : سمهرم في النقوش، يسمى اليوم خوررروري بسلطنة عمان.

48. يوسف : أوراق، جـ2، ص 14-15.

49. بيســتون أ . ف . ل، وريكمــنز جــاك ، والغول محمود، ومولر والتر : المعجم الســبئي (بالإنجلــيزية و الفرنسية والعربية) منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيــترز، لوفــان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص 50 مازال اسم (جروب) يطلق على المدرجات الزراعية حتى اليوم.

50. بافقــيه، محمــد عــبدالقادر، الفــريد بيستون، كريستيان روبان، ومحمود الغول : "مختارات من النقوش اليمنية" المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985، نقش 2/23، ج ي ق د : بنى حقلا مدرجا .

51. بيستون، وآخرون : المعجم ....، ص 91 ، ك ل و : حقل مدرج.

52. بتروفســكي : "اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، القرن الرابع حتى القرن العاشر الهجري"، تعريب : محمد الشعيبي، دار العودة، بيروت 1987، ص 337.

53. يوسف محمد عبدالله : "مدونة النقوش اليمنية" مجلة دراسات يمنية، العدد 2، 1979 ، ص 57-60، نقش سد أبن خضير في جبل قرن خرفان.

54. الجرو، اسمهان سعيد : "تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية"، مجلة سبأ (تصدر عن قسم التاريخ) كلية الآداب، جامعة عدن، 1988 ، ص 114-115.

55. Bowen - : L'irrigation ... p. 63 .

56. الهمدانـــي، الحسن بن أحمد (ت 360 هـ - 970م) : "الإكليل" حققه وعلق عليه، محمد بن الأكوع الحوالي، القاهرة 1977، ص 186-190.

57. بيســتون، وآخرون : المعجم ... مادة (ش ر ج) ص 134، جاء في المعجم بمعنى مجرى ماء، وهذا الاسم مازال سائدا حتى اليوم.

58. Bowen - : L'irrigation ... , p. 36-64 .

59. الأشعب : المرجع السابق ، ص 144.

60. بيستون وآخرون : المعجم ... مادة (ن ب ط)، ص 91.

61. بافقيه وآخرون : مختارات ... نقش 2/92، مادة (ث ق ل) جمع (ث ق و ل).

62. بيستون و آخرون : المعجم ... مادة (ن ز ح)، ص 102.

63. كــريف : تعني صهريج بلغة أهل اليمن قديما وحديثا، جاءت في النقوش (ك ر ف) المفرد، والجمع (ك ر ي ف ت).

64. الجرو : تاريخ الأودية ..، ص 115-118.

65. Majeed M. A. : Conservation and Restoration of Aden Cisterus Saharg al - Tawila, Haydarabad , 1984 .

66. نفسه

67. الأشعب : المرجع السابق، ص 142.

68. الهمداني : "الإكليل"، جـ 8، ص 121-122.

69. مناطق غير معروفة.

70. اسم ملك مدينة نشن (خربة السوداء) حاليا.

71. جــواد علـــي : "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، جـ5، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة، بغداد (1976) ص 55.

72. نفسه، جـ2، ص 208.

73. رودوكاناكــيس نيكولوس : "الحياة العامة للدول العربية الجنوبية" الفصل الثالث من كــتاب "الــتاريخ العربــي القديم" ديتلف نلسون، وفرتز هومل، ول، رودوكاناكيس، وادولــف جــرومان، ترجمة، فؤاد حسنين علي، مراجعة، زكي محمد حسن، القاهرة 1993م، ص 101.

74. بيستون وآخرون : المعجم ... ، ص 165، (و ت ف) تعني وثيقة.

75. جواد علي : المفصل، جـ5، ص 258.

76. رودوكاناكيس : المرجع السابق، ص 101.

77. الرحبة : اسم السهل الذي تقع فيه مدسنة صعدة من أرض خولان، مازال هذا السهل يحمل اسم رحبان حتى اليوم، الارياني، نقوش مسندية، ص، 363.

78.أنظر : (RES 3991) (RES 3913)
79. بيستون وآخرون : المعجم ... ، ص 108، راجع نقش Ry 3945/10.
80. بريتون،َجان فرانسوا : 'وادي ضرا '، ص 9.
81. بافقيه وآخرون : مختارات، نقش 3/92، ص 308.
82. رودوكاناكيس : المرجع السابق ، ص 148.
83. جواد علي : المفصل ...، جـ2، ص 212-213.
84. يوسف : أورق، جـ1، ص 57.
85. بيستون وآخرون : المعجم ...، مادة (و ث ن)، ص 166.
86. بافقيه وآخرون : مختارات، نقش رقم 8/44 مادة (ث ر ي) تعني : ضرائب أو جبايات.
87. المرجع نفسه نقش رقم 2/17 ، مادة : (ح ص ي) : ضريبة.
88. المرجع نفسه : نقش رقم 2/76 ، مادة (ك ب و د ت) : مكوس .
89. بيستون وآخرون : المعجم ، ص 121 ، مادة (ر ز م) ، ضريبة أرض ، خراج .
90. شرف الدين، أحمد حسين : "تاريخ اليمن الثقافي"،جـ3، مطبعة السنة المحمدية 1967،ص87.
91. ارجع للنقوش التالية : Halvey 51 , RES 3689 , Gl 571 , G l 904 .
92. الارياني، مطهر علي : "في تاريخ اليمن"، نقوش مسندية وتعليمات، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990)، ص 160 -166 .
93. المرجع نفسه، ص، 176 - 178.
94. بيستون وآخرون : المعجم، ص 105.
95. ذو فرعم : الشهر الأول من العام الزراعي عند فلاحي قتبان.
96. ذو فقهو : الشهر الأخير من العام الزراعي عند فلاحي قتبان.
97. جواد علي : المفصل ...، جـ2، ص 213.
98. رودوكاناكيس : المرجع السابق ، ص 142.
99. بيستون وآخرون : المعجم، ص 65.
100. الارياني : المرجع السابق، نقش رقم 26.
101. المرجع نفسه .
102. أنظر نقش Ja 615/18.
103.الارياني : المرجع السابق.
104. بيستون وآخرون : المعجم ...، ص 36.
105. المرجع نفسه، ص 153.
106. الارياني : المرجع السابق، النقوش 9، 17، 27، 29، 30، ...
107. بيستون وآخرون : المعجم ...، ص 94.

108. الهمداني، الصفة، ص، 319.
109.بيستون وآخرون : المعجم ....، ص 148.
110. المرجع نفسه، ص 89.
111. المرجع نفسه، ص 17 راجع نقش Halvey 360 , 362
112. المرجع نفسه، ص 166 ويكتب أيضا (أ ي و ن) Ry 4194/3.
113. الهمداني : "الإكليل"، جـ8، ص 119.
114. بيستون وآخرون : المعجم ....، ص 42.
115. المرجع نفسه، ص 162.
116. المرجع نفسه، ص 108.

Die Erforschuny des antiken Oase von : Von Ueli Brounner.117
Merib mit Hilfe geomorpho Logischer unteruchung methoden .
Verlag philipp van zeberm Mainz am Rhein (1983) , p. 149 .

118. بيستون وآخرون : المعجم ....، ص 35.

Groom , op. - cit , p.80 . .119

Ibid , p. 87 . .120

Pliny, History xii, ch 17, Sec 32.

121. باFقـيه، محمد عبدالقادر : "لغز الرسوم الصخرية من يتوف بولدي جردان"، مجلة ريدان، العدد الأول، لوفان، 1978م، القسم العربي، ص 65-67 .

122. لمعرفة المزيد عن اللبان والمر راجع كتاب Groom , Nigle : Frankincens and Myrrh , London , 1981 .

123. بيستون وآخرون : المعجم ....، ص 81.

124. مولـــر والـــتر : " اللبان " الموسوعة اليمنية ، مجلد 2 ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، 1992، ص 739.

.125

124) Pliny. " Natural History " Loeb Classical, (trans, Rackam M.), Library, Heinemann, London, and Harvard University Press, 1945, Book xii, ch 32, Sec 63.

Groom, op .-cit, p. 160.126

Ibid .127

.128

127) Pliny, History xii, ch 30, Sec 54, 61.

Periplus, Sec, 24.129

Groom, op .-cit, p. 160 .130

131. بيستون وآخرون، المعجم السبئي ، ص 108 .

132. المرجع نفسه ، ص 105 .
133. المرجع نفسه ، ص 103 .
134. المرجع نفسه ، ص 90 .
135. المرجع نفسه ، ص 81 .
136. المرجع نفسه ، ص 78 .
137. المرجع نفسه ، ص 38 .
138. Beeston, op._cit, p. 38
139. Ryckmans. Op._ cit, p. 216.
140. لمعرفة المزيد عن البخور ، راجع :
Robin . Ch : Les plantes aromatiques que brulaient les Sabeens , dans Saba , Parfumes d Arabie N I , 1994 , pp 25-30 .
141. أنظر نقش RES 3427 ، بافقيه وآخرون ، مختارات ، نقش 1/82 .
142. Von Wissmann, Himyar, p. 438
143. Periplus, sec 24
144. Groom , op. - cit , p. 161
145. Pirenne - : prospechan , p. 222
146. RES 3427.
147. تمت التحاليل العلمية في معامل (بيتا Beta Analytic) في ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الامريكية ، في ديسمبر عام 1983م ، أ، نظر : باسلامه، محمد عبد الله، شبام الغراس ، مؤسسة دار العفيف الثقافية، صنعاء، 1990، ص 168.
148. الهمداني، الحسن بن أحمد : " صفة جزيرة العرب " تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، الرياض، 1974 ، ص 168 .
149. سحاب، فيكتور : " إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف " كمبيو نشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م ، ص 235 .
150. المسعودي، أبو الحسن : " مروج الذهب ومعادن الجوهر "، جـ2 ، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1966م، ص 128 - 129.
151. بتروفسكي : المرجع السابق ، ص 108 .
152. بافقيه وآخرون : مختارات ، نقش رقم 55,44 ص 236-241 .
153. باسلامه، محمد عبد الله : شبام الغراس، مؤسسة دار العفيف الثقافية، صنعاء، 1990، ص 134 .
154. الإرياني : المرجع السابق، ص 449-481 .
155. الإرياني : المرجع السابق، ص 318.
156. بيستون وآخرون : المعجم ....، ص 36.
157. المرجع نفسه، ص 122 .

158. المرجع نفس ، ص 86 .
159. الارياني : المرجع السابق، ص 318 .
160. بيستون وأخرون : المعجم ...، ص 112.
161. الارياني : المرجع السابق ، ص 318 .
162. بيستون وأخرون : المعجم ... ، ص 36 .
163. المرجع نفسه ، ص 144 .
164.بيستون وآخرون : المعجم ... ، ص 36
165. الارياني : المرجع السابق، ص 318.
166. بيستون وآخرون : المعجم ...، ص 28.
167. أنظر النقش Ja 1028/10 .
168.جواد علي : المفصل ...، جـ2 ، ص 213.
169. المرجع نفسه ، ص 213 .
170. الارياني : المرجع السابق، ص 318 .
171. بيستون وآخرون : المعجم ... ، مادة (ق ل م) ص 105.
172. يوسف عبدالله : أوراق، جـ1، ص 16.

الفصل الثاني

الحياة التجارية في اليمن القديم

أولاً : مصادر النشاط التجاري.
ثانياً : السلع التجارية.
ثالثاً : الطرق التجارية.
رابعاً : العلاقات الدولية بين اليمن والعالم القديم.
خامساً: النظم التجارية والقوانين المنظمة لها.
سادساً: نظام الدفع في المعاملات التجارية.
سابعاً: المنشآت التجارية.
ثامناً: الأطماع الدولية وعوامل انهيار التجارة اليمنية.

لا يمكـن لأي حضـارة أن تحقـق تفوقهـا وطموحهـا، ما لم يتوافر لها جملة من المقومـات الأساسـية التـي تعمـل كوحدة مترابطة لا تتجزأ، فاليمن القديم - كغيره من المراكـز الحضـارية العالمـية القديمـة، توفر له جملة من المقومات الطبيعية والبشرية هـياته ؛ ليحـتل مكانة بارزة في النشاط التجاري العالمي، فللموقع الاستراتيجي والحيوي الـذي يحـتله أثـر عظـيم فـي سـير تاريخه وحضارته ؛ سواء أكان ذلك من الناحية الطبيعية وأثرها في الحياة الاقتصادية، أم من ناحية تركيب السكان ونشاطهم التجاري.

لقـد تحكـم اليمنـيون قديمـاً - مـنذ مطلـع الألـف الأول قبل الميلاد - بالتجارة وبمسـالكها الـبرية والبحرية، وسيطروا على مراكزها التجارية، وأصبحت ممالك جنوب شـبه الجزيـرة العربـية منذ تلك العصور - نواة لدول تجارية واسعة، فالتجارة في حد ذاتهـا لـن تكون عاملاً حيوياً ما لم يوجد الطلب على منتجات لها رواج في العالم القديم ، فاليمـن قديمـا - وبفضـل خصوصيات تضاريسه - كان ينتج سلعاً مهمة، كاللبان، والمـر، وأنـواع مخـتلفة مـن الصـمغيات، حيـث كان لتلك المنتجات صفة القدسية، لاسـتخدامها فـي الطقـوس الدينـية، وتحضير العقاقير الطبية ... أضف إلى ذلك قيام قدمـاء اليمنييـن بوظـيفة الوسـيط التجاري، من خلال نقلهم لسلع الهند، وشرق أفريقيا التي كانت - هي الأخرى- لها رواج عند شعوب العالم القديم .

أولاً - مصادر النشاط التجاري:

إنّ أقـدم المصـادر التـي تـتحدث عـن النشاط التجاري لليمن القديم جاءت لنا من خـارج شـبه الجزيرة العربية، ولا غرابة في ذلك، فهي مرتبطة بصورة مباشرة أو غير مباشـرة بالـتجارة الخارجـية:تجارة اللبان، والمر، وقد وردت أقدم الإشارات عن تلك السـلعة فـي الـتوراة (الكـتاب المقدس) مما يوحي بأهميتها البالغة.[1] أما عن الاتصال الـتجاري بيـن فلسـطين ومـناطق إنـتاج الذهب والطيوب فقد جاء في (سفر الملوك، الإصـحاح 28/11) أنّ الملـك سليمان ملك يهودا (974-932ق.م) كان يرسل أسطوله الـى بـلاد (أوفـير) ؛ [2]للبحـث عن الذهب والفضة، حيث عاد أسطوله حاملاً (أربعة طن)[3] من الذهب وبضائع أخرى: كالجواهر،وخشب الصندل،والقردة، والطواويس [4].

كمـا حدثتـنا التوراة أيضاً عن زيارة ملكة سبأ،[5] التي اجتذبتها شهرة الملك سليمان، فقامـت بـزيارتها الشـهيرة عـبر الـبر تصحبها قافلة من الإبل غنية التجهيز، محملة بالطـيوب، و بكمـيات كثيرة من الذهب والأحجار الكريمة، قدمتها هدية للملك سليمان[6]، وقـد أكـد القـرآن تلك الرواية.[7] وعلى الرغم من أننا لم نقف - فيما وقع بين أيدينا مـن النقوش - على أيِّ شيء من ذكر لأحداث تلك الزيارة، ولا حتى اسم ملكة سبأ، إلا أنّ هـذا لا يعنـي عدم صحتها فالرواية تؤكد - بما لا يدع مجالا للشك - وجود تواصل تجاري بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية.

أمـا المصـادر المصـرية، فهـي الأخـرى زودتنا ببعض المعلومات عن صلات الفراعـنة بمـناطق إنتاج البخور، خاصة وأن البحر الأحمر - منذ أقدم العصور - كان

يعــد مــن الطرق المائية الرئيسة التي حمل إلى العالم مبادئ الاتصال التجاري والفكري، فمــنذ عهــد الملــك (ســاحورع 2470 ق.م) تقريبا تحدثت الكتابات المصرية عن تلك الصـــلات الـــتجارية. وفـــي المملكـــة الوســطى (حوالي2000-1800ق.م) استمرت الـــرحلات إلـــى بـــلاد سميت عند المصريين (بونت Punt)، لقد زخرت جدران المعبد المصـــري الكبـــير - بـــــ (ديـــر البحري) بالقرب من (طيبه) - بمجموعة من الرسوم الجصــية الجدرانــية الملونة والبارزة، تحكي ذكرى رحلة الأسطول المصري - المكون مـــن خمـــس ســفن كبـــيرة – والـــذي ارسلته الملكة (حتشبسوت) إلى (أرض الإله) أو (ارض بونـــت Punt)، [8] كـــان ذلك في حوالي 1500ق.م، عندما عادت السفن محملة بالـــبخور والمـــر، وأنـــواع من شجر الطيب والعاج، والأبنوس. وبعد ذلك بثلاثة قرون، أرســـل الملـــك (رمســـيس الثالث 1198-1167 ق.م) أسطولاً مكونا من سفن كبيرة الى بلاد (بونت Punt) [9] أيضا.

وإلـــى جانـــب المصادر المصرية، فأن المصادر الأشورية هي الأخرى تمثل مصدرا مهمـــا، يحكـــي عـــن وجود أكثر من تحرك سياسي وعسكري مهم قام به ملوك وملكات عـــرب، فقـــد أشـــارت الكـــتابات الأشورية الى العلاقة التي كانت قائمة بين ملوك اشور وملـــوك اليمن القديم، خاصة في عهد الملك الأشوري (سرجون الثاني 714 ق.م) عندما تلقـــى جـــزية، أو هديـــة من الذهب، والأحجار الكريمة، والأعشاب، والخيول من الملك الســـبئي (أتـــي أمـــر)، أمـــا الملك (سنحاريب 685 ق.م) فقد استقبل مندوباً من الحاكم الســبئي (كريبـــي ايلـــو) محمـــلاً بالهدايا من معادن ثمينة وأحجار كريمة وطيوب، وقد أجمـــع علمـــاء الـــنقوش علـــى ان الملكيـــن السبئيين هما نفسهما اللذان جاء ذكرهما في الـــنقوش الســـبئية (يـــثع أمر) و (كرب إل) من حكام سبأ الأوائل، [10] ويمكن الافتراض بـــأنّ الأمـــر يتعلق بهبة طواعية كان قد قدمها ملوك سبأ لملوك أشور، حتى لا تتعرض مصـــالحها الـــتجارية للاعـــتداءات الأشورية في شمال شبه الجزيرة العربية وفي الشرق الأوسط كله، وتعبيراً عن حسن النوايا،وتوطيد العلاقات بين الطرفين.

ومـــن المصـــادر التـــي جـــاءت لـــنا مـــن خـــارج شبه الجزيرة العربية، المصادر الكلاسـيكية،[11] التـــي تعـــد من افضل المصادر المدونة القديمة التي تتحدث عن النشاط الـــتجاري للمـــالك اليمنية القديمة، وعن السلع الهامة التي تصدّر من جنوب شبه الجزيرة العربـــية وهـــي (اللـــبان والمـــر)، فقـــد ذكرت تجارة الطيوب منذ القرن الخامس قبل المـــيلاد، وتحـــدث عـــن تلك التجارة كل من (هيرودتسHerodotus)، و(ثيوفراستوس Theophrostus)، و (ســـترابوStrabo)، و (بلينيPliny)، و (كلود بطليموس Claud Ptoleme 100-178م) وكـــتاب الطـــواف حول البحر الإريتري The Periphus of the Arythraean Sea) فـــي (القـــرن الثالـــث الميلادي) على الأرجح، وبالرغم من التـــناقض والمـــبالغة اللذيـــن شـــابا بعض تلك الدراسات، إلا أنّها احتوت على معلومات مهمـــة عـــن تجـــارة البخور ومناطق زراعته، ومواسم حصاده، وسعره، والمسالك التي

تسلكها تلك التجارة، فسطروا صفحات طويلة للحديث عن كل ما يتعلق بشجرة البخور، كما أشاروا إلى أن الغنى الخارق المنسوب إلى السبئيين ناتج عن تجارتهم بالمر واللبان، إذ وصلت سلعهم تلك إلى أسواق البحر المتوسط باهظة الثمن، بعد مرورها بسلسلة من المراكز التجارية، يتم خلالها دفع كثير من العوائد والتكاليف.

أما المصادر المحلية فتتمثل في النقوش، فبالرغم من العدد الكبير من النصوص النقشية التي عثر عليها في مناطق متفرقة من اليمن ، إلا أنّ مواضيعها في الغالب لا تخرج عن النذور الدينية، والأخبار العسكرية، والإنشاءات العمرانية.. أما حديثها عن الرحلات التجارية الخارجية، والمكاسب التجارية، فشحيح جداً. وكل ما عثر عليه من نصوص عن التجارة؛لا تتعدى إشارات طفيفة حوتها بعض النقوش من بينها: (نقش RES 2771)،(RES 2773) وتعد هذه النصوص – كيفما دارت بها الحال – وثيقة مادية وتاريخية تؤكد بما لايدع مجالا للشك – الاتصال التجاري الذي كان قائماً بين اليمن القديم ومصرَ (أشر) (وبلاد الشام (سوريا؟)! وهناك نقش (Ja 931) يتحدث عن أسماء لشخصيات أجنبية شاركت ملك حضرموت (إل عزيلط) احتفالات تتويجه ملكا، أما نقش (RES 3952) فهو لتاجر حضرمي يذكر فيه إهداء للإله (سين ذا اليم) عثر عليه في جزيرة (ديلوس) اليونانية، كما عثر أيضا في نقش الجزيرة عينها على نقش لآخر لتاجر معيني، هو نقش (RES 3570)، وهناك نقش لآخر سجله تاجر معيني في مصرَ(RES 3427) والذي يعد من النقوش ؛ التي تؤكد النشاط التجاري الرائد الذي كان يقوم به قدماء اليمنيين مع شعوب العالم القديم[12].

أما الأدبيات العربية فقد أشارت بشكل عابر إلى التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية من خلال ذكرها لبعض السلع منها: اللبان والمر، والصبر، والورس" تلك السلع التي لا تزرع إلا في اليمن[13].

ثانياً- السلع التجارية:

1- صادرات اليمن القديم:

تاجر قدماء اليمنيين بكثير من البضائع التي كان لها رواج كبير لدى شعوب الحضارات القديمة، كمصرَ، وبلاد الرافدين، وحضارات البحر المتوسط .. ويمكننا تصنيف تلك السلع إلى:

أ- سلع تنتج محليا.

ب- سلع تجلب من شرق أفريقيا.

ج- سلع تجلب من الهند وسيلان.

أ- سلع تنتج محليا:

اشتهر اليمن بحكم – خصائصه المناخية – بتوفير أنواع مختلفة من النباتات والأعشاب ذات الروائح الطيبة والفوائد الصحية والصناعية ... ومن أهم تلك السلع:

1- سلع مقدسة: اللبان والمر:

شكلت زراعة أشجار اللبان والمر، وتصديرها إلى الأسواق العالمية مصدرا حقيقيا لشهرة اليمن قديما [14]، نظرا للطلب المتزايد على هذه السلع. وإذا تتبعنا الأهمية التاريخية لهذه السلع لعرفنا - بصورة جلية - المكانة العالمية التي حظي بها اليمن قديما، تعد ظفار منطقة أشجار اللبان الرئيسة، إلا أنّ الناس عرفت نمو شجرة اللبان، في وادي حجر (CIH 948) ومناطق متفرقة من حضرموت، منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وربما قبل ذلك بزمن بعيد.

لقد كان للبخور[15] (اللبان، المر، والصبر...) أهمية عظيمة في الطقوس الدينية - منذ بداية التاريخ، ونشوء الحضارات الأولى إذ كانوا يلجؤون - حينذاك - إلى حرقه قربانا للآلهة، فكان السومريون والبابليون يحرقونه للتطهير، واسترضاء الآلهة! وكان الفراعنة - منذ أقدم ازمانهم يستخدمونه تقربا للآلهة، ويرسلون البعثات إلى أرض الإله أو بلاد (بونت Punt) - كما مر علينا سابقاً - للحصول على أفضل البخور. وقد عثرت البعثات الأثرية على كرات من الروائح داخل قبر (توت عنخ أمون)، كما تم اكتشاف مباخر في قبور (مناون) بجزيرة (كريت)، وتصور أعمال النحت الآشوري في (نينوى) الروائح وهي تحرق للإله (الشمس)، كما نجد في كثير من معابد الآشوريين أعمدة عالية للروائح تتصل بين الملك والإله وبين رعاياه.

وعند العبرانيين فإنّ دخان الروائح كان يخفي حضور الإله في الخيمة المقدسة.. واستخدام الفرس - كذلك -الروائح والعطور في عباداتهم. وأما البارثيون فكان استخدامها لهما بإسراف، وتصوّر منحوتاتهم كيفية إحراق البخور على مباخر صغيرة. وكان الإغريق والرومان يحرقون البخور بكميات كبيرة داخل معابدهم، وانتقلت منهم هذه المادة إلى المسيحيين بعد أن كانوا قد توقفوا عنها.. وما برحت الروائح تستخدم اليوم في الكنائس الشرقية والغربية.. أما في ديانات الشرق الأقصى - وخاصة في البوذية - فقد شكل إحراق الروائح جزءًا مهماً من الطقوس الدينية..، وكان الكلدانيون يحرقون البخور سنويا على مذبح الإله (بعل) في (بابل) - ما يعادل عشرة آلاف وزنة، ولأهميته المقدسة كان يحفظ في غرف خاصة في المعابد، وكان معبد (آمون) يحصل سنويا على 2159 جرةً و 304 وزنة من البخور في القرن الثاني عشر قبل الميلاد[16].

وفي الهند كان الهندوس - وخاصة (السيفس) - يستعملون البخور عند قيامهم بطقوسهم الجنائزية، وفي حياتهم العادية ومثلهم في ذلك مثل اليابانيين الذين يستخدمون البخور عند تأدية شعائر الديانة[17].

وفي اليمن القديم، كان البخور من السلع المقدسة بدليل أن الملك كان يشرف على تجارته مباشرة، كما أنه كان يُخزن داخل مخازن خاصة في المعابد.. وقد عثرت بعثات الآثار على عدد كبير من المباخر التي تحمل أسماء أنواع البخور للأغراض الدينية، وكان يُستخدم أيضا عند الطقوس الجنائزية. يقول (بليني): "دعونا نضع في

الحساب العدد الكبير من الجنائز التي تشيد كل عام في جميع أنحاء العالم، وتلك الأكوام من البخور التي تحرق لتولد رائحة زكية على شرف أجساد الموتى..."، وأضاف .. أنّ ذلك يعد من رفاهية الإنسان الذي يتباهى به حتى عند الموت.. كما نجده يتبرم من تبذير (نيرونNero) عاهل روما (54-68)، ومن إسرافه في حرق البخور لإجراء شعائر جنازة زوجته المتوفاة، فراح يُعبّر عن امتعاضه من اضطرار روما إلى دفع مبالغ طائلة كل سنة في الاتجار مع العرب، فالقى بتبعات هذا الإذلال الاقتصادي على عوائق النساء الرومانيات في نزواتهن ورغبتهن في التطيّب[18].

وإلى جانب استخدام المر - كبخور مقدّس - فإنه كان يستخدم أيضاً في عملية التحنيط عند المصريين، كما يدخل المر في مستحضرات العطور والتجميل، ويصنع منه عقار طبي لعلاج السعال وديدان الأمعاء، ولسع العقارب.. [19] ومن الملفت للنظر أن كان المر الصرف من مركبات الزيت المقدس عند اليهود،وكان قد ورد ذكره أيضاً من ضمن الهدايا التي حملها الملوك المجوس إلى السيد المسيح في مهده[20].

وعن أنواع المر اليمني فقد عددتها الكتابات الكلاسيكية منها:

1-المر (تروقلودتيك Troglodytiqque) الذي كان يجلب من سبأ على البحر الأحمر، ولم يحدّد ذلك الموقع.

2-المر (المعيني Mineenne) وهو المر الذي كان يتاجر به المعينيون.

3- المر (الحضرمي Atramitique).

4-المر الجبانيتي (القتباني Gebbanitique).

5-المر (الأوساريتي Ausarite) نسبة لمنطقة الوسر في الإقليم الأوساني[21].

2- سلع يستخرج منها العقاقير الطبية:

لقد كانت مدن العالم القديم سوقاً رائجة لتجارة هذا النوع من السلع، التي هي - في الغالب أعشاب طبية يستخرج منها عقاقير لمعالجة كثير من الأمراض ومن بين مئات هذا النوع من السلع الذي استخدم كعقار طبي كالآتي:

أ- المر: سبق وان شرحنا أهميته .

ب- الصبير: وهو ينتمي إلى فصيلة (الزنبقيات)له طعم مر يستخدم أساسا للأغراض الطبية، ولوجود أنواعه: الصبر السقطري الذي ينمو في جزيرة سقطرى، ويعرف أيضاً باسم الصبارة، وهو يفيد في علاج أمراض الصدر، وسقوط الشعر، وبعض الأمراض النسائية[22].

ج- الصمغ: يستخدم كمادة طبية، ويدخل في صناعة العقاقير الطبية، وفي تحضير مواد الصناعة في حالات تثبيت اللون[23].

(د) القرفة: أو السن أو الدار صيني، وتذكر المصادر الكلاسيكية شجرة القرفة باسم (Cinnam)، أما الاسم الحديث للقرفة فهو (Canella)، وكان نباتها ينمو في

جنوب شبه الجزيرة العربية قديما، وفي الهند، وسيلان، ومالابار، وكروماندل.
أما شجرته فهي تشبه شجرة الصفصاف، إلا أنها تفوقها ارتفاعا[24].

ج- السيلمريم: نبات طبي اشتهر به اليمن قديما، واصبح اسمه اسما لكل دواء لشدة فعاليته.

ومن بين المواد النباتية التي يستخرج منها العقاقير الطبية (خيار شنبر) أو (خيار شبر) الذي قال عنه (بليني) بأنه أحد السلع المهمة التي كانت تتوافر في اليمن القديم ويتاجرون بها[25].

3- سلع تستخدم للأغراض الصناعية:

أ- العطور: اشتهر اليمنيون قديما بصناعة الطيوب والعطور، والاتجار بها، فقد أشار الكلاسيكيون إلى هذه السلعة، فذلك (ديودروس Diodorus) كتب يقول: تفوح في طول البلاد وعرضها روائح عطر طبيعي[26]، أما (سترابو Strabo) فقد أشار إلى أنّ السبئيين يتاجرون بنوع من العطور سماه (Latimun)[27]، كما أنّ أهم السلع المعروفة في سوق (عدن) - قبيل الاسلام - كانت من الطيوب والعطور، وأشهر أصنافها يسمى عطر الغالية.[28] وقد قسم العرب الطيوب إلى قسمين: ذكورا وإناثا، المذكر هو الطيب ما يصلح للرجال دون النساء: كالمسك، والعنبر، والعود، والكافور، والغالية، والذريره .. أما المؤنث فهو طيب النساء: كالخلوق، والزعفران[29] ... وغيره.

ومن أهم المواد التي تصنع منها العطور (المسك)، حيث يعد المسك من المواد الزكية الرائحة، فهو نتاج حيواني يؤخذ من الحيوان المعروف باسم (قط الزباد)، وهو نوع من الحيوانات المتوحّشة شبيه بالقط يعيش في جزيرة سقطرى، والهند، والصين، له نابان كأنياب الفيل يعرف باسم (Moschferuo - Musculus, Mascmale).

والمسك إنما يستقر في غدّة في بطن هذا الحيوان عند سُرّته، فإذا ما حكّها في صخر انفجر ما بها من مادة المسك، ويخرج التجار يجمعونه للاتجار به[30].

أما العنبر فيحتل مكان الصدارة بين أنواع العطور الممتازة، أهم مناطق وجوده : الشريط الساحلي الجنوبي لجنوب شبه الجزيرة العربية، الذي كان يطلق عليه إقليم (الاسعاء) أو (الشحر)[31] أو (المهرة)ويجمع العنبر من الشواطئ على هيئة كرات صغيرة منتظمة على شكل مسبحة، إلى جانب استخدامه كعطر - يستخدم أيضا لعلاج بعض الأمراض، فهو مقوٍّ للقلب[32].

لقد توافرت في اليمن القديم العديد من النباتات التي استخدمت في صناعة الملابس والأغراض المنزلية المختلفة، ومن أهم تلك النباتات: الزعفران أو الكركحة، ويستخرج من نبات يشبه السمسم، وهو نوعان: الزعفران الأصفر النقي، والزعفران العربي المسمى (الورس) وكلا النوعين يستخدمان للصباغة، كما يدخلان في صناعة العطور، والعقاقير الطبية،[33] يقول حمور: [34] كان التجار القادمون من عدن إلى

صـــنعاء يحضـــرون معهـــم الأدم والـــبرود والزعفـــران، والأصباغ،' إلى جانب ذلك يستخدم الزعفران كنوع من التوابل.

ومـــن النـــباتات التي كان يستفاد مما يستخلص منها من مواد سائلة تدخل في أغراض الصـــناعة، والعـــلاج الطبـــي هي: شجرة (دم الأخوين) أو ما يعرف بـــ (المندم)، وليس لهـــذا الـــنوع وجود أو مثيل سوى في جزيرة سقطرى .. فهذه الشجرة إنما هي نادرة في وجودهـــا، وعجيـــبة فـــي طبيعتها يســـتخرج من سائلها – إثر القيام بشقه – مادة سائلة حمـــراء اللـــون وذات طبيعة لزجة تستعمل – وهي في حالة طراوتها – لتطهير الجروح وتضـــميدها، فـــتقوم عندئذٍ مقام المادة المطهّرة تمامًا، [35] وعندما تأخذ في التجمّد تصير على شكل فصوص حمراء، تستخدم في صناعة الأواني الفخارية.

ب- سلع تجلب من شرق أفريقيا:

يأتـــي العـــاج فـــي قائمة السلع الأفريقية، حيث كان يستخدم في التطعيم، والترصيع، وحشو قطع الأثاث الفاخر، كما يستخدم في صناعة الأدوات العاجية.

والـــى جانـــب العـــاج كـــان الأفارقـــة يصدرون ريش النعام والقرفة التي تزرع في الحبشة وشرق أفريقيا كما كانوا يتاجرون بالرقيق والقردة ... [36]

ج- سلع تجلب من الهند وسيلان:

تاجـــر اليمنـــيون قديماً بجلب البضائع الشرقية القادمة من الهند وسيلان والاتجار بها فكانـــت الـــبهارات (الأخاويـــة) تأتـــي على رأس قائمة تلك السلع التي كانت تلقى رواجا عالميا كبيرا.

والمعـــروف أن معظـــم التوابل تأتي من الهند، إلا أن أنواعا منه تنتج أيضا في اليمن القديـــم والحبشـــة. وأشـــهر الـــتوابل: الفلفـــل الهندي الذي كان يستخدم لتطييب الطعام، والكافور، والزنجبيل، والقرنفل الذي كان يستخدم لحفظ الأطعمة.

ومـــن الســـلع الشـــرقية المرغوبة أيضا الحرير الذي يجلب أساسا من الهند والصين وســـيلان. وهـــو يعـــد مـــن البضـــائع الشرقية الفاخرة التي كان الطلب عليها كبيرا لدى الـــرومان والبيزنطيـــين. كمـــا تعتـــبر هـــذه الســـلعة من العوامل الأساسية التي دفعت بالاســـكندر المقدونـــي إلـــى غزو الشرق، وإلى جانب الحرير نجد المنسوجات الشرقية هـــي الأخـــرى تعـــد مـــن البضـــائع الهامـــة عند الغربيين وبالذات المنسوجات القطنية والحريرية والكتانية المطرزة بخيوط من الذهب والفضة.[37]

2- واردات اليمن القديم:

إن أهـــم الســـلع التـــي يســـتوردها الشرق عن طريق اليمنيين جاء ذكرها في كتاب (الطـــواف حـــول الـــبحر الارتـــيري The Periplus of the Erythruen Sea)، فهذا الكـــتاب كـــان مصدرنا الأساسي في معرفة تلك السلع، إذ يعود تاريخه إلى القرن الثالث الـــميلادي، وقـــد جاء فيه ذكر: القمح، والنبيذ، والملابس، والنحاس، والقصدير وغيرها من البضائع المصرية كانت تصل إلى مينائي موزع و قنا. [38]

وفـــي فقـــرة أخرى يشير المؤلف إلى أن اللؤلؤ يورد من عُمان إلى قنا، كما يذكر أن مديـــنة (ابولوجـــوس Apologus) فـــي (بارثـــيا)، كانـــت تصدر اللؤلؤ والذهب ومواد أخـــرى إلـــى العربية السعيدة، ويأخذون مقابل ذلك بضائع العربية السعيدة (اليمن القديم) وبضائع شرق أفريقيا[39].

إذن فـــأهم الســـلع المستوردة هي: القمح، والنبيذ، والمنسوجات، والنحاس، والقصدير .. جمـــيعها تجلـــب مـــن مصر والشام، كما كان اليمنيون قديما يستوردون المصنوعات الحرفـــية. ومـــن عمان و (بارثيا) فارس كانوا يجلبون اللؤلؤ والذهب. ولا شك أن هناك سلعا تجلب من بلاد اليونان، ومن روما إلا أننا لم نعرف شيئاً عن هويتها.

ثالثاً: الطرق التجارية:

لقـــد اكتســـبت الطرق التجارية البرية منها والبحرية التي ربطت جنوب شبه الجزيرة العربـــية بحضـــارات العـــالم القديـــم، أهمية تجارية خاصة، تلك الأهمية التي لم تقتصر علـــى حجـــم البضـــائع وقيمتها الاقتصادية، بل بما يتمخض عن ذلك الاتصال من تبادل حضاري وثقافي هام.

1- الطرق البرية (طرق القوافل):

مـــن المعلـــوم أن طبغرافـــية المـــنطقة، ومناهل المياه، وتوفير الحماية من الشروط الأساســـية التـــي تحـــدد اتجـــاه الطريق الذي تسلكه القوافل، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الطـــريق الـــبرية قد تتحول أحياناً تبعا لعوامل سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، وقد ينتج عـــن ذلـــك ظهـــور مـــدن واندثار أخرى. ومن الملاحظ أن كثيرا من الطرق البرية قد فقـــدت معالمهـــا عبر الأزمنة التاريخية،فتاريخها – الذي يعود إلى أكثر من (3000) ثلاثة آلاف عام – بحاجة إلى بحث ودراسة علمية تسهم في إحياء الحضارة الإنسانية.

فـــإذا ألقيـــنا نظـــرة علـــى الخريطة التضاريسية لجنوب شبه الجزيرة العربية،نجد أنَّ التضـــاريس تـــتخذ شـــكل قـــوس مـــن الجبال والهضاب المرتفعة،يمتد من الغرب إلى الجـــنوب حيـــث تنكسر حدته عند السهول الساحلية غربا وجنوبا، فالاتصال يمكن أنْ يتم بســـهولة مـــن جهة الغرب عندما نتبع الطريق الساحلي، أما شرقا فترتقي تلك المرتفعات فـــي صـــعود رأســـي، ابـــتداءً من البحر الأحمر على شكل حواجز، تنحدر تدريجيا نحو صـــحراء (الـــربع الخالي)، والتي كانت في الماضي بحراً جيولوجيا تأتي أمواجه الرملية فـــتلطم ســـفوح الجـــبال تاركة في كل مكان تقريبا ما يشبه الشواطئ الممتدة على أرض صـــلبة مســـطحة، تصـــلح لان تكـــون طـــريقا سهلة للقوافل، أما الهضبة الشرقية فتتسم بحداثـــتها جيولوجـــيا، فصـــخورها رسوبية قابلة للتشكل والتغير لذا نجد الأودية تشق لها مـــنافذ متشـــعبة،بمثابة مـــنافذ مائـــية هامـــة، تربط بين الساحل وهضبة حضرموت في الداخـــل وكمـــا أعطـــت تلك المسالك المائية لحضرموت وحدتها الجغرافية، نجدها أيضا بمثابة العامل الرئيس لوحدتها السياسية والاقتصادية.

إذن لقـــد حـــددت تلك التضاريس، ومصادر المياه اتجاه الطريق الذي سلكته القوافل، وارتبطـــت مـــن خلالـــه بحضارات العالم القديم. أما الوسيلة الأساسية للاتصال والتبادل

المسلمي فكان الجمل ذو السنام الواحد، وقد ربط بعض العلماء بداية التجارة البرية باستخدام الجمل، واقدم إشارة إلى الجمل جاءت في النقوش العراقية تعود إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. أما النقوش المصرية الخاصة برحلة (حتشبسوت) إلى بلاد البخور - التي عثر عليها في (دير البحري) - فالرسّام رسم عليها حمارا كوسيلة للنقل، بيد أنّ الاكتشافات الأثرية كشفت عن بعض الرسوم الصخرية البدائية- يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد - على طريق القوافل شمال (نجران)تظهر الجمل فيها كحيوان متوحش كان يتم اصطياده ويطمن بالحرية حتى الموت[40].

لما (البرايت Albright) فيرى أنّ أقدم تاريخ لاستئناس الجمل يعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد[41].

ويمكن الاستنتاج بأن الجمال المستأنسة كانت تشق طريقها من الجنوب إلى الشمال بأعداد قليلة ابتداءً من الألف الثالث قبل الميلاد، وان قدماء اليمنيين كانوا قد مارسوا نشاطهم التجاري البري منذ تلك العهود، وربما لم تكن بالأهمية التي كانت عليه في مطلع الألف الأول قبل الميلاد. فالجمل يسير في الصحراء وهو يحمل ما يقارب (200) كيلوجرام من البضائع، ويقطع مسافة (100) كم في اليوم، وباستطاعته أن يسير 20 يوما دون ماء تحت درجة حرارة قد تصل إلى 50°م، [42] مع الأخذ بعين الاعتبار أن قدرة الجمل لتحمل العطش تتفاوت حسب الفصول السنوية، ففي فصل الشتاء يمكن للجمل التحمل، أمّا في فصل الصيف فالجمل تحتاج للماء كل يومين أو ثلاثة أيام[43].

فالطريق البري أمام تجار عصور قبل الميلاد لم يكن ممهدا وسهلا، بل كان محفوفا بكثير من المخاطر والمتاعب، فالطريق الداخلية تنطلق من الشواطئ الجنوبية لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) ثم تصعد شمالا وتدور حول (رملة السبعتين)، أي حول منطقة صحراوية مليئة بالكثبان الرملية؛التي - بالطبع- تشكل عائقا لسير الجمال المحمّلة بالأحمال الثقيلة، حيث يصل معدل الكثبان الرملية إلى ارتفاع (200) قدم تقريبا. [44] في الجهة الشرقية، مثل تلك الطبيعة الصحراوية القاسية تحتاج إلى مرشدين للقوافل ملمين بالطرق البرية، وبمناهل المياه في الصحراء: من آبار وعيون، وبحاجة إلى حرّاس يعملون على حفظ الأمن وتأمين سير القوافل من سطو قطاع الطرق ... وسادة البوادي خير من كان يقوم بتلك المهمة. أما قيادة القوافل فلم تكن لتعطي إلا للفئات الغنية التي كان لها نفوذ كبير بين قبائلها[45].

على طول تلك الطريق وحول مناهل المياه أنشئت مراكز ونقاط،كانت بمثابة النواة الأولى لمراكز تجارية، ومع تعاظم النشاط التجاري، تحولت تلك المراكز إلى مدن تجارية، وإمارات وحكومات ... وقد أطلق على تلك الطريق (بطريق البخور) علما أن تلك الطريق نفسها كان ينقل عبرها سلعا أخرى نفيسة لا تقل أهمية عن البخور ...

- الطرق البرية الداخلية والخارجية:

أ - الطرق الداخلية:

ظهـرت فـي جـنوب شبه الجزيرة العربية شبكة واسعة من الطرق البرية الرئيسة مـنها والفرعـية، وسـنركز - في دراستنا هذه - على أهم تلك الطرق، (انظر الخريطة رقم 2) وذلك على نحو ما هو آت:

1- ظفار - قنا:

الطـريق مـن (ظفـار) - المـنطقة الرئيسية لإنتاج اللبان - إلى ميناء (قنا) كان يتم سـلوكها عـبر الـبر والبحر، فالطريق عبر البحر هي الطريق الأسهل، إذ كان البخور يشـحن فـي قوارب مصنوعة من ألواح الخشب، وينقل على أخشاب (الرمث) التي كانت تـرفع بواسـطة قرب جلدية منفوخة لتتمكن هذه القوارب من الإبحار من قرى الاصطياد بمحـاذاة السـاحل حـتى تصل إلى ميناء (قنا) مدفوعة بقوة الرياح الموسمية الشمالية – الشرقية[46].

أمـا الطـريق البري فيتسم بوعورته، ومن الصعب على القوافل الثقيلة بحمولتها أن تسلكه إلا في الحالات النادرة حينها تمر عبر مرتفعات جيرية وعرة محاذية للساحل[47].

خريطة رقم (2) الطرق الداخلية للقوافل

2- ظفار - وادي حضرموت:

هـناك طـريق تـربط بيـن ظفار ووادي حضرموت تمير بمحاذاة الطرق الشمالية للجـبال، حيـث تسـلك القوافـل طـريق تتوافر فيها الآبار منتشرة على مداها، وتقطع الطريق منطقة (حبروت) حتى المهرةومن ثم وادي المسيلة حتى وادي حضرموت[48]

3- ظفار - جرها [49]:

توجـد طـريق بـري مباشر تربط بين (ظفار) ومدن الخليج العربي، ومنها (جرها) وغيرها ... ومنها إلى جنوب بلاد الرافدين، إلا أنه لم يدرس بشكل دقيق.

4- قنا - شبوة:

هـناك طـريقان محتملان يمكن أنّ تسلكهما القوافل من (قنا) وحتى (شبوة)، الطريق الأول: واقـع شـمالاً يتجه صوب وادي (حجر) مروراً بوادي صغير يدعى (المبنا) يبعد حوالـي (30كـم) شمال (قنا)، حيث أقام مكارب حضرموت سوراً وقلعة سميت (قلت)،[50] كـان ذلـك الموقع بمثابة صمام أمان لإقليم الجول (السوط)،[51] تسلك القوافل مجرى وادي (حجـر) صـوب الشـمال حـتى تصـل الى وادي (عرمة)، ومنه إلى (شبوة). وبالـرغم مـن أنّ هـذه الطريق أكثر طولاً، إلا أنها أكثر أماناً فهو يقع تحت نفوذ ملوك حضـرموت الذيـن أعطوا عناية فائقة لتلك الطريق؛عندما قاموا بصيانتها وتبليطها. ومن أهـم الممـرات أو (العقبات) الواقعة على هذا الطريق: ممر (فتورة) الذي يربط (السوط) بـوادي (عـرمة) حيـث عثر في ذلك الممر على نقش يذكر أعمال تعبيد الطريق وهو نقـش (انجـرامس I) (Ingram I) وطـريق (عقيـبه) التي تربط بين وادي (عرمة) وشبوة[52].

إلـى جانـب تلك الأعمال الجبارة التي قام بها ملوك حضرموت نجدهم يوفّرون كل الإمكانـات لجـذب الـتجار إلـى تلـك الطريق، وتوفير الحماية لهم ... كما أنّ الطبيعة الخصبة للمنطقة ووفرة المياه جعلها الأفضل مسلكاً من غيرها من الطرق.

طـريق أخـرى تربط بين قنا - وشبوة، تمر عبر وادي ميفعة مروراً بخرائب (نقب الهجـر) الموقـع الأثـري الشـهير، فـالقوافل تتابع سيرها على طريق الوادي، قاطعة شـريطاً ضـيقاً مـن السلاسـل الجبلـية حتى تصل إلى وادي (عماقين) ومن ثم وادي (جـردان)، بعدهـا تصل إلى أرض رملية، ومنها إلى (شبوة) وكانت هذه الطريق تشكل مسـلكاً مـرغوباً أيضاً نظراً: لخصوبة المنطقة، ووفرة مياهها، وما بها من كثافة سكانية كبـيرة، [53] فعلـى طـول هذه الطريق تم العثور على عدد من: النقوش، والمخربشات، والآثـار القديمـة ... وفي الموقع الأثري (بريرة) - الواقع على وادي (جردان) - عثر علـى تمـثال إغريقـي لمحـارب (بيلوبونيزي)[54] يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل المـيلاد، كمـا عـثر على عملات نقدية عليها لمسات من الفن الأثيني يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وفقاً لتقديرات (جاكلين بيرن J.Pirenne)[55].

هناك طريق أخرى تربط بين قنا - وتمنع مباشرة دون المرور بشبوة ولا بالأراضي الحضرمية، هذه الطريق تمر عبر الأراضي القتبانية [56] غرباً، وقد يسلكها بعض التجار تهرباً من دفع الضريبة لملك حضرموت، لهذا نجد ملك حضرموت - كما أشار إلى ذلك (بليني) يشدد على عدم الانحراف عن الخط الرئيسي حيث يقول: "بعد أن يتم جمع البخور يحمل على ظهور الجمال إلى (سابوتا Sabota) أي (شبوة)، التي يُترك منها باب واحد مفتوح، يسمح بالدخول منه إلى المدينة، فإذا ما انحرفت القافلة عن طريق المرتفعات وهي محملة بالبخور، فإن القوانين قد حددت عقوبة الإعدام على ذلك"[57]. ومن خلال مشاهدتنا لآثار (شبوة) تقول (جاكلين بيرن J.Pirenne): "ما زال بالإمكان مشاهدة هذه البوابة الفخمة التي تعود إلى الطريق الكبيرة والرئيسة لكل المواقع، التي تتجه بخط مستقيم نحو القسم الأكثر ارتفاعا من المنحدر الصخري، والتي تحدّد الموقع من الجنوب"[58].

ويواصل (بليني Pliny) حديثه: "وفي شبوة يحصل الكهنة على العشر للإله المدعو (سابس) - يقصد الإله (سين) - كيلا لا وزنا، ومن هذا العشر يخصص جزء للمصروفات العامة، ولتقديم ولجب الكرم الإلهي لجميع الغرباء الذين يقومون برحلة خاصة تستغرق أياماً معدودة للوصول إلى هناك"[59].

فشبوة - إذن وكما أشار (بليني Pliny) - تعدّ مركزاً جمركيا لدفع البضائع، حيث تصل البضائع إليها، من كل صوب لترسيمها وبيعها أو تخزينها، بعدها تستعد لرحلة طويلة صوب الشمال.

5- شبوة-جرها:

للوصول إلى مدن الخليج العربي - وبالذات إلى المناطق التجارية (جرها) و (هجر) - تسلك القوافل طريقا شرقيا تصل عبرها إلى الخليج، ومنها إلى وادي الرافدين، وتجتاز القوافل هذه الطريق في حوالي (40) يوما. أما الطريق البحري فتسير بمحاذاة الساحل حتى مدخل نهر الفرات، حيث تتم عملية تعبئة البضائع في سفن نهرية مكسوة بالجلد، لتجري في المدن الداخلية الكبرى، وتستغرق الرحلة من 30 إلى 34 يوما[60].

6- شبوة-تمنع:

للوصول إلى تمنع، تسير القوافل من شبوة صوب الجنوب حتى تصل وادي (جردان)، وهناك إما تسلك اتجاه الجنوب الغربي عبر الجبال فيصل إلى وادي (حمام) ثم (نصاب)، بعدها تتجه صوب (مرخة)[61] منطقة (هجر لمناب)، ومن ثم وادي بيحان، وإمّا تسلك الاتجاه الغربي، فتسير من وادي جردان في تمنع مباشرة عبر الطريق الصحراوي.[62]

7- شبوة - الجوف:

هناك طريقان يمكن أن تسلكهما القوافل من شبوة الى الجوف، دون المرور بمأرب أو بيحان:

أ- طريق تتجه من شبوة إلى طرف وادي الجوف، وهي الطريق التي اكتشفها (فلبي Philpy) عام 1936م، هذه الطريق شاقة وتفتقر لمناهل المياه، فأقرب بئر يمكن الوصول إليها هي بئر وادي الجوف والتي تبعد حوالي 150 ميلاً.[63]

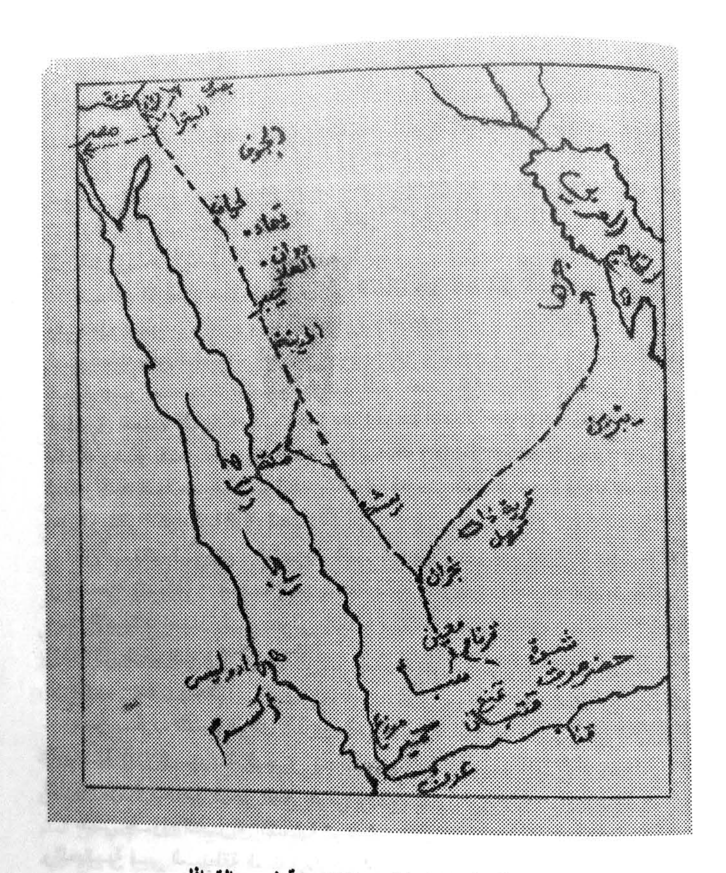
ب- الطريق الأخرى تسير شمالاً مروراً بمنطقة (العبر) التي تربط بين حضرموت ونجران،[64] تنطلق القوافل من العبر وحتى (المشينقة) حيث توجد بئر شاهدها (فلبي Philpy) تحمل مخربشات قديمة ومن (المشينقه) الى نجران مروراً (بجوملوس) على (درب العمير) ومنطقة (بعرقه). ويمكن أن تسير القوافل جنوباً صوب الجوف مروراً بوادي (الشرعة) لقد أشار (الهمداني) إلى هذه الطريق،[65] كما تحدث نقش (Ja 665/1) عن هذه الطريق أيضا، عندما سارت قوات القوات السبئية حيث انطلقت من (نشق) في الجوف باتجاه العبر قاصدة حضرموت.

8- تمنع - مأرب:

من تمنع تستطيع القوافل أن تسير على أطراف الجبل إلى (نجد مرقد) ومنها إلى مأرب، ويرجح أنّ من يسلك هذا الطريق يتجنب المرور بـ (عقبة مبلقة). هناك طريق طويلة صحراوية تربط بين تمنع ومأرب، تسلكها القوافل ربما في حالات التهرب من الضرائب أو في حالات الحرب واضطراب الأمن، دون المرور بالنقاط التجارية لنجد مرقد وحريب.[66]

9- عدن - مأرب:

تسير القوافل من ميناء عدن عبر منطقة (الوادي) شمال شرق البيضاء، التي لا تبعد كثيرا عن خراب (أم عادية) وبعد أن تجتاز القوافل (البيضاء) تواصل سيرها إلى وادي بيحان. والمعروف أن أقصر الطرق القاصدة مأرب تمر عبر (عقبة مبلقة) نزولاً بوادي (حريب) ثم أطراف رملة السبعتين حتى مأرب.[67]



خريطة رقم (3) الطرق الخارجية لسير القوافل

10- مأرب - الجوف - نجران:

من مارب تسلك القوافل السبئية طريقين للوصول إلى الجوف : طريق تربط بين مارب وقرناو (معين) مباشرة، ومنها إلى نجران، وطريق أخرى تنطلق من مارب وتسير عبر وادي (رغوان) - حيث نجد حالياً خرائب (خربة سعود) و (الأساحل) و (جدفير بن منيخير) - ومنها إلى (براقش)، وجميعها مراكز تجارية هامة على طريق القوافل، ومن براقش تسير القوافل شرق جبل اللوذ حتى تصل إلى نجران.[68] ومن نجران تسير القوافل باتجاهين: شرقي شمالي، وشمالي غربي.

ب : الطرق الخارجية:

1- طريق نجران – جرها:

تتجه هذه الطريق صوب (جرها) و (هجر) بالخليج العربي، مرورا بمحطة تجارية هامة هي (قرية ذات كهل) كما تطلق عليها النقوش، وتسمى حاليا (قرية الفاو) بوادي الدواسر، ومنها تتجه القوافل صوب اليمامة لتتوقف بمدينة (جرها) و (الهجر)، ثم تتجه شمالاً حتى تصل جنوب بلاد الرافدين[69]-أنظر خريطة رقم (3)

2- الطريق نحو الشمال والشمال الغربي:

تنطلق القوافل من نجران إلى الشمال عبر خط سير تحدده: طبغرافية المنطقة، ومناهل المياه، والظروف المناخية، وتوافر الحماية ... والملاحظ أنّ القوافل تتجنب المرتفعات والمنخفضات الساحلية المحاذية للبحر الأحمر، فالجمل يسير محمّلاً ببضائع ثقيلة عبر مساحات شاسعة. وقد أشار بعض الباحثين إلى أنّ طريق البخور هي الطريق نفسها التي عرفت فيما بعد (بدرب أصحاب الفيل) أبان حملة (أبرهة) على مكة، وهو نفس طريق الحج، إلا أنّ هناك رأيا آخر- وهو الأرجح - يرى بأن طريق البخور تبعد قليلا صوب الشرق في الطرف الغربي الصحراء حيث الطبيعة التضاريسية الأقل وعورة وبالتالي الأكثر ملائمة لقوافل الجمل. [70]

إذن فهناك طريقان : الطريق القديم (طريق البخور)، وطريق الحج. ومن المؤكد أن منطقة (تبالة) – (ثمالة) تعد منطقة التقاء للطريقين، فالمسافة التي يتم قطعها على هذا الامتداد تصل إلى حوالي (280) ميلا، أو اثنتي عشر مرحلة، أما المسافة من (تباله) إلى يثرب فتبلغ (350) ميلا[71]-

3- يثرب – ددان (العلا):

من يثرب تتبع القوافل الطريق التي أصبحت فيما بعد طريق الحج حتى العاصمة اللحيانية (ددان) ومدينة الهجر (مدائن صالح) على بعد (220)كم جنوبا، أما طول الطريق من يثرب حتى الهجر فتبلغ حوالي (25) ميلا.

على طول الطريق الشمالية تم العثور على عدد من الكتابات الثمودية والمعينية واللحيانية في المنطقة الممتدة من نجران وحتى (ددان) العلا والهجر (مدائن صالح)، أهمها الكتابات المعينية التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد. [72] تلك الآثار النقشية تؤكد ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ بأن المعينيين المنظمين للتجارة البرية لكانوا قد وضعوا نصب أعينهم الوسائل اللازمة لتأمين مرور تجارتهم بأمان، فأسسوا لهم تلك المستوطنات التجارية على طول تلك الطريق الشمالية.

2- الملاحة البحرية:

لا نعرف على وجه اليقين متى بدأ قدماء اليمنيين يقومون بالملاحة البحرية، فشبه الجزيرة العربية تتوسط قارات العالم القديم، وتطل على مسطحات مائية هامة : كالبحر الأحمر غربا، والمحيط الهندي وخليج عدن جنوبا، والخليج العربي شرقا،[73] مميزات

طبيعية كهذه سنحت دون شك لشعوبها القيام بالنشاط البحري منذ عصور موغلة في القدم، وقد أجمع المؤرخون على أن قدماء اليمنيين كانوا أول من احتكر تجارة الشرق (الهند وسيلان) وتجارة شرق أفريقيا، ونقلوها إلى بلاد الشام وشواطئ البحر المتوسط وإلى ذلك أشار (اجاثارخيدس Agatharchid de Cinde) في عام (130) قبل الميلاد عندما تحدث بدهشة عن الروائح العطرة التي كانت تنبعث على امتداد ساحلهم (يقصد السبئيين وأهل جرها، وعن كونهم وكلاء كل شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوروبا، وهم الذين جعلوا سوريا غنية بالذهب، وأتاحوا للتجار الفينيقيين تجارة رابحة)[74].

ويزكي ذلك القول (بليني Pliny) عندما أشار إلى أن العرب قد استقروا في سيلان منذ القرن الأول الميلادي، [75] أما مؤلف (الطواف The Periplus) فقد أشار إلى أن العرب الجنوبيين كانوا كثيراً في ساحل (مالابار) في الهند، كما أنهم كانوا في سيلان من الكثرة ما جعلهم أسياد الساحل، فوجودهم هناك جعلهم المحتكرين الأساسيين للتجارة الشرقية (الهندية والصينية)[76].

ظل العرب ولعهود طويلة محتفظين بأسرار الملاحة في المحيط الهندي، حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وبعدها أصبح اليونانيون والرومان المنافسين للعرب في الملاحة بالمحيط الهندي، وخاصة بعد أن اهتدى اليوناني (هيبالوس) إلى سر استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف، مما ساعد على تقصير وتقليل أمد الرحلة من البحر الأحمر إلى مداخل الهند، في عرض المحيط الهندي مباشرة، ودون الالتزام بخطوط السواحل الطويلة، أو الحاجة لوساطة العرب. ومنذ ذلك الحين فقط بدأ الرومان يقومون برحلات بحرية منتظمة إلى بلاد الهند، واستطاعوا أن يمخروا عباب البحر على مقربة من الموانئ اليمنية. [77]

ولما أعاد (أوغسطس 30 ق.م-14م) الأمن إلى البحر المتوسط تحسنت الملاحة البحرية، وزاد الرخاء العام، مما جعل الإقبال على المنتجات الشرقية يتضاعف .. عن ذلك الازدهار يقول (بليني Pliny):" ما لا يقل عن 120 سفينة كانت تبحر في العام الواحد من ميناء (ميوس هورمز Myns Hormus) إلى الهند على خلاف ما كان عليه الحال من قبل ". وقد وجد في اليمن وفي الهند كثير من العملات الرومانية تؤكد ذلك الاتصال. [78]

وقد كان عصر أباطرة أسرة (يوليوس كلوديوس) وأسرة(فلافيوس Flavius) (13 ق.م-96م) عصراً ذهبياً للتجارة الرومانية مع الهند واليمن القديم، وبالرغم من منافسة اليونان والرومان للعرب بشكل عام على تجارة الهند وشرق أفريقيا فقد ظل قدماء اليمنيين يملكون سفناً بحرية تقوم برحلات نشطة ازدهرت خلالها الموانئ اليمنية ازدهاراً عظيماً خلال مطلع الميلاد.

أ- الموانئ والمراكز البحرية التجارية:

لقد توافرت لليمن القديم العدد من الموانئ الهامة، والتي ساهمت بشكل فعال في ازدهار الملاحة البحرية منذ زمن بعيد، فكانت بمثابة مراكز أولية للتصدير والاستيراد، حيث تنقل منها البضائع وتصل إليها برا وبحرا، ومن أبرز الموانئ القديمة:

1- ميناء موزا (Muza) (موزع):

من المعلوم أن ميناء (موزع) من الموانئ اليمنية الواقعة على الشريط الساحلي الشرقي للبحر الأحمر، وكان هذا الميناء قد شهد ازدهارا كبيرا، وشهرة عالمية منذ القرن الثالث الميلادي، في عهد كاتب كتاب (الطواف حول البحر الأرتيري The Periplus of The Erythraen Sea) الذي أشار في فقرات (21،22،24) من هذا الكتاب إلى أهمية هذا الميناء، وأنه يقع في إقليم المعافر (الحجرية اليوم) وسماه (موزا Muza)، ففي (فقرة 21) كتب يقول: "موزا عبارة عن سوق تجارية أقيمت وفق قانون محلي، وهو ميناء، مزدحم بالمراكب، وبملاك السفن العربية، وتجار البحار، والناس في شغل شاغل بشؤون التجارة؛ذلك كونهم يقومون بالتبادل التجاري مع أهل القرن الأفريقي في البحر ، ويرسلون السفن الخاصة بهم إلى (باريجازا Barugaza). ويضيف: "وموزا ميناء تابع للملك (كرب إل)[79] ملك ظفار Sapphar Charbael، الذي امتد نفوذه إلى شرق أفريقيا الجنوبي نيابة عن أمير المعافر، وأنهم يرسلون المراكب، عليها ربابنة ووكلاء عرب".

وعن طبيعة الميناء يقول صاحب كتاب (الطواف) في (فقرة 24): "لقد كانت مدينة (موزا) بدون ميناء، ولكن كان لديها مراسي جيدة ومرافئ، وذلك بسبب توافر قاعات رملية مجاورة مما يسهل للسفن الرسو بسلامة؛ويضيف في (فقرة 22): "ولمدة ثلاثة أيام في الأرض الداخلية لهذا الميناء هناك مدينة تدعى (سوا Saua) [80] تقع في وسط الاقليم المسمى (المعافر Maphairits) وفيها أمير اسمه (Cholaebus) (كليب) يعيش في المدينة".

- مينا (موزا) هل هو نفسه ميناء المخا؟

إن أقدم ذكر لميناء (المخا) جاء في نقش (ارياني28) [81] يعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، عهد الملك الحميري (كرب إل وتر يهنعم) ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة، حيث ذكر الميناء باسم (مخوان)، أما ميناء (موزع) فكان أقدم من ذلك، سبق وان أشرنا إلى ذلك. وفي العهد الإسلامي شهد ميناء (المخا) شهرة عالمية كبيرة فمن هذا الميناء يتم تصدير البن، ولطلق على البن اليمني (مخا) عند بعض الشعوب. فالموقع الذي يحتله ميناء (موزا) أو (موزع) لا يبعد كثيرا عن ميناء (المخا) لدرجة أن كثيرا من المؤرخين كانوا يخلطون بين الميناءين، إلا أننا نستطيع أن نستنتج أن ميناء (المخا) (مخوان) كما جاء في النقوش كان الوريث لميناء (موزع).

ميناء عدن:

حظـــي ميــناء عــدن القديم في المنطقة المعروفة حاليا بـــ (صيرة)[82] بشهرة عالمية مــنذ فجــر الــتاريخ ، بفضــل موقعه الجغرافي المتميز، وهو موقع تحيط به الجبال من ثــلاث جهــات .. لقد شكلت تلك الطبيعة التضاريسية حماية فريدة للميناء من العواصف والــرياح الموســمية ، التــي تهــب فــي الصــيف، كما تحميه صخرة صيرة من رياح (الأزيب) في فصل الشتاء، [83] مما جعله صالحا لرسو السفن طوال العام.

أقــدم ذكــر لعــدن جــاء فــي التوراة (سفر حزقيال) كميناء سبئي يتاجر مع مدينة (صــور) فــي الشام، منذ القرن السادس قبل الميلاد، وقد تكرر ذكر تجارة سبأ في عدد آخر من الأسفار[84].

أمــا الكــتاب الكلاســيكيون فقــد تحدثوا عن عدن المدينة والميناء، وحدد بطليموس موقعهــا علــى خريطــته، ولطلــق علــيها اسم العربية السعيدة Arabia Emporian. وكذلك مؤلف كتاب الطواف فقد أطلق عليها Arabia Eudaeman.

لــم يــتم الانــتفاع بمــزايا هذا الموقع الجغرافي إلا بعد أن توافرت لدى سكان عدن والمــناطق المجــاورة الحاجــة الملحــة للتبادل التجاري نتيجة لتوافر ملح لها طلب لدى الشــعوب الأخــرى، فكان ميناء عدن بمثابة مرسى يتردد عليه التجار موسميا بتجارتهم، وتــنطلق مــنه القوارب إلى الموانئ المجاورة، وبمرور الزمن توفر الحافز للاتصال عبر المــياه المغلقــة فــي الــبحر الأحمــر والخليج العربي بمركزيين من أقدم مراكز الثروة والحضــارة فــي العــالم القديم الهند شرقا ومصر غربا، عندها اصبح ميناء عدن محطة تجاريــة تتــبادل فــيه السلع الهندية والمصرية والأفريقية، كما يعرض ما لديه من سلع، ويــزود الســفن بــالوقود والطعام لتتمكن من مواصلة رحلتها، كان ذلك في زمن بعيد لم نعرف على وجه التحديد بدايته.

فمــن خــلال المصــادر المشــار إلــيها آنفــا، يبدو جليا أن الملاحة في ميناء عدن ارتبطــت مــنذ نشــأتها بالــبر الداخلي حيث كانت التجارة تتم بواسطة قوارب شراعية صــغيرة تــنقل إلــى أقــرب شــاطئ هو الشاطئ الشمالي (خورمكسر)، ومن ثم تنقلها القوافــل إلــى المــناطق الداخلــية لتتواصل مع الطريق الرئيس (طريق القوافل) أو كما تسمى لدى البعض (طريق البخور).

وفــي القــرن الثالث الميلادي تقريبا، سجل لنا مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) مشــاهدته لميناء عدن، آنذاك كان الميناء يعيش في حالة من الركود والضعف، يقول في فقــرة (26): "ويــنخفض الــبحر إلــى الخلف من منطقة (Ocelis) الميلادي [85] باتجاه الشــرق حيــث نطــل علــى مسطح مائي واسع، وعلى بعد اثنتى عشرة مائة ستادا [86] توجــد مــنطقة (Arabia Eudaeman) (العربــية السعيدة)، والتي هي عبارة عن قرية تقــع علــى الســاحل، كمــا أنهــا تنتمي إلى مملكة (كرب إل)، ولديها أيضاً مراس في

أراضـــيها ومـــناطق مـــياه، وبهـــا الكثير من صناعة الحلويات والقشدة التي تمتاز بحسن جودتها عن بقية الأصناف الموجودة في منطقة (اوكليب Ocelies)'.

ففــي عهــد صــاحب كــتاب (الطــواف) كان ميناء عدن يعيش حالة من التدهور والــتردي؛وذلك بســبب منافســة ميناء ملك حمير له، حيث أشار المؤلف إلى أن (كرب إل) ملــك حمــير عمــل علــى تحطــيم وإهمــال الميناء، وفي نفس الفقرة يحدثنا عن الازدهــار الــذي ســبق وان شــهده ميناء عدن فيقول: "في الزمان القديم، عندما كانت الــرحلة لا تــتم إلا عن طريق الهند إلى بلاد مصر، وأيضا عندما كانوا لا يجرؤون على الإبحــار مــن بلاد مصر إلى المواني الموجودة على هذا المحيط جميع السفن تأتي إلى هــذا المكــان (عــدن)، وكانــت هذه المنطقة تحتضن الناقلات القادمة من (الهند) ومن (مصــر)، فأهميــتها آنــذاك لا تقل عن أهمية ميناء (الاسكندرية) في الوقت الحاضر ــ أي (عهد صاحب الطواف) ــ لكن ملك حمير (كرب إل) عمل على تحطيمه".

كثــيرة هــي الأســئلة التــي يمكن إثارتها لنتبين حقيقة تدهور ميناء عدن في القرن الثالــث المــيلادي، فهــل تعرض الميناء لنكسة حقيقية نتيجة الصراعات والاضطرابات السياسية الداخلية السائدة آنذاك؟

فــي القرنيــن الثانــي والثالــث للميلاد كانت المنطقة اليمنية بأسرها تعيش حالة من الــتمزق، بســبب الحروب الطاحنة والمتشعبة الناشبة بين سبأ والدولة الفتية حمير، ومن البديهــي أن تتضــرر البنــية التحتية لليمن القديم بشكل عام، ولم يكن ميناء عدن بمنأى عــن تلــك الصراعات بحكم موقعه الجغرافي، وبالرغم من أن ميناء عدن في عهد كاتب الطــواف كــان خاضــعا لملــك حمير، إلا أنه ــ أعني الملك الحميري ــ لم يتمكن من توفــير الأمــان والســلامة للــتجارة القادمة من وإلى الميناء وإحكام قبضته على الطرق الــتجارية الــبرية والبحرية في تلك المنطقة، لذلك نجده يهتم بميناء (موزع) كبديل لميناء عــدن، لــبعده عــن حلبة الصراع السياسي، ولقربه من العاصمة الحميرية (ظفار). لهذا لســنا مــع الرأي القائل بأن ملك حمير قد قام متعمدا بتدمير ميناء عدن وتشجيع التجارة في ميناء موزع.

إن ذلــك الضــعف الــذي شــهده ميناء عدن في القرن الثالث الميلادي تقريبا، كان مؤقــتا، حيــث اســتعاد الميــناء نفــوذه ومركزه في القرن الرابع الميلادي عندما عمل الإمــبراطور (قســطنطين الثاني 317-361م Constantius)على دراسة فكرة بناء كنيسة في عدن[87].

وبــالفعل حــدث ذلــك فــي عام (356م) حينما أرسل بعثة تبشيرية إلى جنوب شبه الجزيــرة العربــية، وإنشــاء كنائس فيها، منها كنيسة في عدن، الأمر الذي يدل على أنها كانــت ســوقا وميــناءً لكــبار الــتجار اليونانيين والرومانيين؛الذين كانوا يقصدونها في رحلاتهــم المنــتظمة بين مصر والهند، عندما استقرت بها جالية من صغار التجار دفعت بالإمبراطور إلى إقامة تلك الكنيسة[88].

أمـــا الهمدانـــي فحدثنا عن عدن بقوله :"عدن من اقدم أسواق العرب"، ووصفها بأنها ســاحل يحــيط بـــه جـــبل لم يكن فيه طريق، فقطع الجبل بزبر الحديد، فصار لها طريق إلى البحر[89].

وقـــد تحــدث الجغرافـــيون العرب والبرتغاليون عن ميناء عدن والمكانة التي تبوأها ذلك الميناء مما جعله محط أطماع الدول العظمى آنذاك.

- ميناء قنا:

يقـــع ميـــناء (قنا) على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية بالقرب من (بئر علي) حاليا، وإلى الشرق من قرية (بلحاف).

أقـــدم ذكـــر لميناء (قنا) جاء في التوراة (سفر حزقيال الاصحاح24/27 باسم (كنة)، "حـــران وكـــنة وعـــدن تجار شبا وآشور، وكلمد تجارك .." يعود ذلك السفر -كما سبق وأن أشـــرنا- إلـــى القـــرن الســـادس قبل الميلاد. حظي ميناء (قنا) بشهرة عالمية، فهو الميـــناء الرئـــيس لمملكة حضرموت، والصالح للاتجار مع الهند، وشرق آسيا، وأفريقيا، ومصـــر مـــنذ أزمـــنة بعيدة. كما جاء ذكر ميناء (قنا) في العديد من النقوش الهامة التي تحكـــي عـــن النشاط الاقتصادي والسياسي الذي كان يتسم به هذا الميناء، وأثره على سير الأحـــداث التاريخـــية [90]. أما حالة الميناء في القرن الثالث الميلادي فقد وصفها لنا مؤلف كـــتاب (الطـــواف The Periplues) حيث قال في فقرة (27): "بعد الوصول إلى منطقة (Arabia Eudaeman)، يســـتمر الســـاحل فـــي الامتداد (شرقا) لمسافة ألفين (ستادا) أو أكـــثر حـــتى نصل إلى ما يعرف بمنطقة البدو الرحل، أو قبيلة صيادين السمك ... حيث نجـــد ســـوقا تجارية أخرى،تقع بمحاذاة الشاطئ تدعى (قنا Cana) تابعة للملك (اليزوس Elazus) (إل عـــزيلط) ملـــك مديـــنة اللـــبان والـــبخور، وفي الجهة المواجهة لها هناك جزيـــرتان صـــحراويتان: الأولـــى مـــنها تدعى جزيرة (الطيور)، والثانية تدعى جزيرة (القـــباب)، والجزيـــرتان تقعـــان على بعد (120) ستادا من منطقة (قنا)، وفي الأراضي الداخلـــية تقـــع العاصمة (سباتا Sabbatha) (شبوة) حيث يجلب إليها البخور بالجمال من أجـــل عملـــية الحفظ والتخزين،والذي كان يجلب إلى مينا (قنا)على أخشاب(الرمث Paft) التـــي تـــرفع بواســـطة القـــرب المـــنفوخة، وعلى القوارب أيضا. . ويتمتع هذا الميناء بالـــتجارة مـــع الجهـــات المقابلـــة والبعـــيدة مـــن موانئ البحر الأحمر، كما يتاجر مع (باريجـــازا Bareygaza)، و (ســـيثيا Saythia)، و(عمـــان Ommana)،[91] ومع كل الشواطئ المجاورة لبلاد إيران".

ومـــن الأحـــداث التي شهدها ميناء (قنا) في نهاية القرن الثالث الميلادي: ذلك الهجوم الـــذي شـــنه القـــيل السبئي (فارع الاقيائي) ــ بأمر ملك سبأ وذي ريدان (شعر أوتر) ــ علـــى العاصـــمة الحضـــرمية (شـــبوة) وميـــنائها (قنا) حيث هاجم ودمر الميناء والسفن الراسية فيه[92] .

وفــي عــام 1834م عثر ثلاثة من الضباط الإنجليز على آثار ـ في ذلك الموقع ـ لحصــن قديــم يســمى (حصــن الغراب) الذي بنى على مرتفع صخري لحماية المدخل الجنوبــي الغربــي للخليج الذي أقيم عليه الميناء، وهذه الصخرة ـ حسب وصف (براين دو Brain Doe) ـ تتصــل بالــبر عــن طريق شريط رملي منخفض جداً، مما يجعلها تظهــر وكأنهــا تنبعــث خارجة من البحر، وقد لاحظ (ولستد Wellested) أحد الضباط الانجلــيز الذيــن اكتشــفوا الموقع الأثري، وأنه بالإضافة إلى الميناء الرئيس في الجانب الشمالي هناك مرفأ آخر في الجانب الجنوبي ..

وعلــى الــرغم من أن بعض معالمه قد طمست إلا أن جزءً منه ما زال واضحا يدل علــى وجــوده ..[93] ولعــل المقصود بهذا المرفأ هو مرفأ (المجدية) المجاور لــ (بير علي) حالياً.

- ظفار - وميناؤها موشا:

ظفــار [94] اســم أطلــق على الإقليم الذي عرف في النقوش بــ (ساكلن)، [95] وأطلق الكلاســيكيون علــى هــذه الإقلــيم (أرض البخور) أو (ساريبا)، ويقوم هذا الإقليم على هضــبة جبلــية ســاحلية خصــبة تطــل علــى المحيط الهندي، وتستقبل مياه الأمطار الموســمية، والتــي لهــا فضــل كبير في خصوبة التربة، وانتشار أشجار أجود وأفضل أنواع اللبان والمر.[96]

خضــع إقلــيم ظفار لدولة حضرموت منذ نهاية الألف الأول قبل الميلاد، وكان لهذا الإقلــيم الفضــل الأول فــي الشــهرة التــي حظيت بها حضرموت في عهود ازدهارها المخــتلفة، فهــو يمدهــا باللبان والمر عصبا الحياة الاقتصادية آنذاك، يقول صاحب كتاب (الطــواف): "وإلــى الخلف من منطقة (قنا) تمتد الأرض بهدوء وجمال طبيعي .. حيث نجــد بــلاد البخور الجبلية الوعرة، والمغطاة بالسحب والغيوم الكثيفة.. فهي تنتج كميات كبــيرة مــن اللــبان والبخور ... التي كان يقوم بجمعها عبيد الملك أنفسهم، وأولئك الذين كانوا يرسلون للقيام بأعمال الخدمة الشاقة".[97]

موشــا: اسم إغريقــي أطلــق علــى الميــناء الــذي جــاء في النقوش باسم (سمهرم) [98] ـ خور روري ـ وهــذا الميــناء يقــع علــى بعد (80كم) شرق صلالة، كان قد بني في القرن الأول الميــلادي تقريــبا، بأمــر من الملك (إل عز يلط) ملك حضرموت، نظراً لتزايد الطلــب علــى الــبخور، مادة التصدير الرئيسة لمناطق البحر الأبيض المتوسط والشرق القديم.[99]

وعــن ميــناء (موشــا) يحدثــنا صــاحب (الطواف The Periplus) فيقول: "وإلى الجــوار مــن هــذه المــنطقة ـ يقصد عمان ـ يوجد ميناء (موشا) الذي يستقبل السفن القادمــة مــن ميــناء (موزا) بانتظام، وذلك عندما يكون الشتاء قصيراً، فتتم التجارة بين المينائيــن بــنقل البضائع المتبادلة على سفن موظفي الملك (ملك حمير)، حيث يستبدلون

مـــا لديهـــم من ملابس، والمشة، وحبوب القمح، وزيت السمسم بلبان البخور الذي يكون على شكل أكوام ممتدة ومتراصة على طول المنطقة ...[100].

وفـــي عـــام 1962م أجـــرت (البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان) حفريات في (ظفار) بأكـــثر مـــن موقع، من بين تلك المواقع، موقع (خوروري) ميناء (سمهرم) القديم، حيث كشـــفت البعـــثة عـــن الملامـــح العامـــة للميناء، فالمنطقة بشكل عام محصنة يقوم على ســـورها بـــرجان: أحدهمـــا عـــند الطرف الجنوبي الشرقي، والأخر عند طرفها الشمال الغربـــي، أمـــا مـــن الجهـــة الغربـــية و الشمالية فالسور يقوم على أرض منخفضة في مســـتوى بطن الخور، ويمكن مشاهدة جدار يبلغ عرضه (8 أقدام)، كما عثر على أثـــار للقلعـــة التـــي تحمي المدينة من تلك الناحية، ومن الملاحظ أن مدخل الخور يتمتع بحماية طبيعية متمثلة في مرتفع شاهق[101] .

كمـــا عـــثر علـــى أثـــار لمعـــبد وقطع أثرية متنوعة،منها مذابح، وقطع برونزية، وبقايا بخـــور، ولـــوح برونزي عليه كتابة بخط المسند،تظهر من خلالها اسم المدينة (س م هـــ ر م)، كمـــا تذكـــر إله حضرموت القومي (سين ذا اليم)، وعلى أحد أبواب المدينة عثر على نقوش تذكر اسم ملك حضرموت (إل عز يلط) واسم عاصمته شبوة. [102]

- سقطرى:

تمـــثل جزيـــرة ســـقطرى أحد المراكز التجارية البحرية الهامة منذ عهود قديمة، فقد جـــاء ذكرها في المصادر الكلاسيكية؛كمركز تجاري هام يتبع ملك حضرموت (إل عز يلـــط)، أطلـــق علـــيه (اجارثارخيدس Agathachides) اسم جزيرة السعادة، ويتضح أن الاســـم (سقطرى Socotra) مشتق من التسمية (دفيبا سوختترا Dvipa Sukhatra) في اللغـــة السنســـكريتية[103]. أمـــا صاحب كتاب (الطواف The Periplus) فقد أطلق عليها اسم (ديزكوريدا Discorida). [104]

تعـــد جزيـــرة ســـقطرى من أكبر الجزر في البحر العربي والبحر الأحمر، فهي تقع علـــى مســـافة (650كم) من الساحل البحر العربي، و (800كم) جنوب شرق عدن، يبلغ طولهـــا (115كـــم) وعرضـــها (35كم)، وبالرغم من قربها من الساحل الأفريقي، إلا أنه ليس لها علاقة انثروبولوجية بأفريقيا[105].

لقـــد كســـبت جزيرة (سقطرى) أهميتها التجارية من: موقعها الاستراتيجي الذي يمثل حلقـــة وصـــل بين الهند واليمن القديم وشرق أفريقيا، فهي بمثابة محطة استراحة تتوقف عـــندها الســـفن قـــبل أن تـــنطلق إلى الهند، ومن أهمية ما تنتجه من سلع مرغوبة حيث يـــزرع بهـــا أنـــواع مـــن البخور، يرى (Groom) أن في سقطرى وحدها يزرع ثمانية أنـــواع مـــن الـــبخور[106]. وفـــيها أفضـــل أنواع الصبر الذي ارتبط اسمه باسم الجزيرة (الصـــبر الســـقطري)، ويـــتوافر فيها الصمغ وأعشاب طبية نادرة كشجرة دم الأخوين، ونـــباتات أخـــرى لا تـــنمو إلا في هذه الجزيرة تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وفي صباغة الملابس.

وبالــرغم مــن أن صــاحب كتاب (الطواف The Periplus) لم يتحدث عن تصدير سـقطرى لأي نـوع مـن تلـك السـلع، لكنه ذكر تبعيتها لملك حضرموت، مما يجعلنا نسـتنتج أن سلعها كانت تصدر - دون أدنى شك - من الميناء الحضرمي (قنا)، مثل ما كـان يحصـل لـبخور (ظفار) - (ساكلن) والتابعة أيضا لملك حضرموت - حيث كان ينتقل إلى ميناء (قنا) للتصدير[107].

وعـن سـكان سقطرى يحدثنا الكلاسيكيون على أنهم خليط من الإغريق، والرومان، والهـنود الذيـن يتحدثون لهجات متداخلة، ولا غرابة في ذلك فالموقع الجغرافي للجزيرة أكسـبها طابعـا دولـيا، حيث اختلط بها التجار من كل أنحاء العالم القديم،[108] وفي هذا الأمـر يقـول (اجارثارخيدس Agathachides): "أن التجار كانوا يفدون إلى هذه الجزر مـن جمـيع الأنحـاء، ومنها: (باتالا Patala) -عند مصب نهر السند- وولاية فارس (Parsis) وكـرمان ..." أمـا صـاحب (الطـواف The Periplus) فيقول: "بالقرب من (سـيجروس Cygros) (رأس فـرتك) هناك جزيرة تدعى (ديزكورد Dioscorida) ـــ يقصـد بذلـك (سقطرى) ـــ وهي واسعة جداً إلا أنها صحراوية بها مستنقعات، وأنهار، ومجامـيع كبـيرة مـن التماسـيح، والثعابيـن، وأعداد ضخمة من السحالي التي تؤكل لحومهـا، وتـذوب دهونهـا لتسـتخدم بدلاً من زيت الزيتون .. وهذه الجزيرة لا تنتج الغـلات، ولا الفاكهـة، ولا حتى القمح والكروم .. أما سكانها فعددهم قليل يعيشون على الشـاطئ باتجـاه الشـمال ... وهـم عـبارة عـن أجانب، وخليط من العرب، والهنود والإغـريق الذيـن هاجـروا إلـيها للقـيام بأعمـال تجارية هناك. بهذه الجزيرة تتوافر السـلاحف الـبحرية والـبرية، وأيضا السلاحف البيضاء التي توجد بأعداد كبيرة وهي المفضـلة لحسـن تروسها المريضة. وفيها أيضا السلاحف الصغيرة التي هي أكثر عدداً مـن الأنفـة الذكر، كما أن لها تروسا كثيفة ذات نوعية غير جيدة ولا يمكن تقطيعهما من الجانـب السـفلي بسبب صلابتها الشديدة، إلا أن تلك التروس ذات قيمة اقتصادية بحيث تقطـع إلـى أجـزاء، ثـم تصنع على شكل توابيت وعلب للمجوهرات، كما يصنع منها صـحون لصـناعة (الكمـك)، وبعـض الأدوات. ومن منتجات الجزيرة (Cinnabar) التي يعرف "بالهندي"، يجمع من الأشجار على شكل حبات .."[109].

كـل ماجـاء عن جزيرة سقطرى يؤكد أهميتها التجارية منذ عهود موغلة في القدم، وقـد شـهدت سـقطرى مـنذ منتصـف القـرن العشـرين العديد من البعثات الأثرية، والأنثروبولوجـية [110]، و التـي مازالت تعمل جاهدة في دراسة الجوانب الغامضة من تاريخ الجزيرة .

ب- المسالك البحرية:

مـن المعلـوم أن الطبـيعة التضاريسية للمرافئ، وجهات هبوب الرياح هما العاملان الرئيسـيان اللـذان يحـددان اتجاهـات المسالك البحرية، ففي فصل الصيف تهب الرياح الموسـمية الجنوبـية الغربـية، لتدفع السفن باتجاه الهند وشرق آسيا، أما في فصل الشتاء

والربيع فتهب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية لتدفع بالسفن من الهند باتجاه شواطئ اليمن القديم ومنها تتجه إلى أفريقيا.

ولمعرفة تلك المسالك نعود مرة أخرى لكتاب (الطواف The Periplus) — مصدرنا الرئيسي عن الحياة التجارية في اليمن القديم — الذي نقل لنا صورة مشوقة لحركة السفن بين الموانئ اليمنية بعضها مع بعض، وبين الموانئ اليمنية والموانئ القريبة والبعيدة من العالم في زمن المؤلف (القرن الثالث الميلادي) تقريبا، ومن تلك الدراسة يمكن أن نميز نوعين من المسالك البحرية:أنظر خريطة رقم (4).

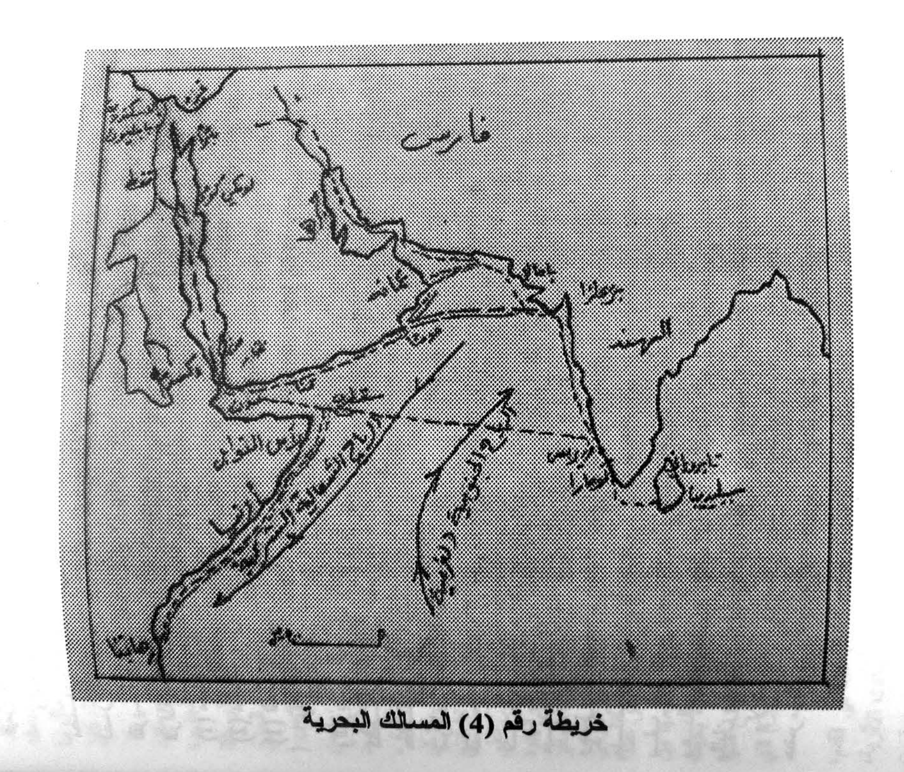
(1) مسالك بحرية قصيرة.

(2) مسالك بحرية طويلة.

(1) المسالك البحرية القصيرة:

لا تتجاوز هذه المسالك السواحل الداخلية : سواحل السهل الساحلي الجنوبي والغربي لليمن القديم، والسواحل القريبة .. فهناك مسالك تربط بين الموانئ اليمنية ؛ كالطريق التي تربط بين (موزع) ميناء ملك حمير، وبين (موشا) ميناء ملك حضرموت، حيث تقوم السفن برحلات منتظمة لإجراء عملية التبادل السلعي بينهما. فموظفو ملك حمير ينقلون من (موزع) كل ما لديهم من: ملابس وأقمشة، وحبوب القمح، وزيت السمسم، ليستبدلوه باللبان والمر ... تلك السلع كانت تبدو على شكل أكوام ممتدة ومترامية على طول ساحل (موشا)،[111] وهي طريق أخرى تربط بين ميناء (موشا) وياحورس (فرتك) بالمهرة،[112] وهناك طريق تربط بين ميناء (قنا) وجزر (زنوبيا) كوريا موريا، و (سيرابيس)[113] حيث تسلك السفن هذه الطريق بشكل منتظم، وتبرز طريق رابعة تربط بين ميناء (عدن) و (اوزيليس Ocelis)[114] عند باب المندب (سيله حاليا) حيث توجد طريق أخرى تتجه إلى ميناء (موزع)،[115] وهناك طريق خامسة أيضا تربط بين ميناء (قنا) و (عمان) حيث تذهب السفن محملة باللبان والمر، وتعود محملة بالبضائع العمانية ومن أهمها (اللؤلؤ)[116].

ولا نستبعد وجود طريق بحرية تربط بين جزيرة (سقطرى) – التابعة لملك حضرموت – والميناء الحضرمي الشهير (قنا) لنقل البضائع السقطرية الهامة.



خريطة رقم (4) المسالك البحرية

(2) - المسالك البحرية الطويلة :

هناك العديد من المسالك البحرية الطويلة التي تربط بين الموانئ اليمنية بالموانئ العالمية، وأبرز تلك المسالك هي التي تسير بمحاذاة السواحل متجنبة الرياح، وهناك نوع آخر من هذه المسالك تمخر عباب البحار والمحيطات ، وهذا النوع يتطلب خبرة كبيرة بالملاحة، ومعرفة أكيدة بأسرار الرياح، وبالطبيعة التضاريسية للموانئ والموانئ البحرية.

ورسم لنا صاحب كتاب (الطواف) صورة حية للحركة البحرية النشيطة التي تجوب غمار المحيط، منطلقة من الموانئ اليمنية ومتجهة إلى شواطئ الهند الغربية (بريجازا)، وإلى (باريبيكلم) وهو ميناء يقع عند مصب نهر (الأندوس) في الهند، وكانت تلك الرحلات تنطلق بشكل منتظم وفقاً لقوة دفع هبوب الرياح الموسمية، كما تتصل السفن اليمنية أيضاً بالسواحل الفارسية[117] حيث تنطلق من ميناء (قنا) مروراً بـ (عمان) حتى تصل إلى الشواطئ المجاورة لبلاد فارس،[118] ثم تعود السفن حينها من نفس الطريق.

وباتجاه مصر تتحرك السفن من ميناء (قنا) ثم (عدن) و (اوزيليس Ocelis) بالقرب من باب المندب، ومن ثم تصل إلى ميناء (موزع). وللوصول إلى الموانئ المصرية: تسلك السفن شعب الدلتا الشرقية عبر قناة تنتهي إلى البحيرات المالحة، ومنها إلى خليج السويس، حتى تصل إلى ميناء (بوليس Berenice) بمصر. وتسلك السفن المصرية الطريق نفسها إذا كان مقصدها اليمن، أما إذا كان مقصدها ساحل (مالابار) أو (موزيريس) سلكت المحيط مباشرة، إلا أنها تتوقف عند جزيرة (سقطرى) قبل البدء برحلتها إلى الهند[119].

وهناك طريق منتظمة دائما تربط بين ميناء (موزع) والشواطئ الافريقية وبالذات (ربطه Rhapta) "التي كانت خاضعة لزعيم المعافر، التي كان يحكمها بمقتضى حق قديم كان لملوك اليمن في تلك الأراضي"، هذا ما قاله مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) ويضيف: "وإلى ربطة كانت ترسل سفن ذات أحجام كبيرة، يستخدم عليها أرباب عمل من أصل عربي تمكنوا من إجادة لغتهم، ولديهم معرفة أكيدة بطبيعة سواحل بحرهم."[120] كما يورد إليها اليمنيون الرماح والحراب التي تصنع في (موزع) خصيصاً من أجل أغراض التجارة ... أما في صادرات المنطقة (يقصد ربطة) فهي: أنياب العاج، وقرون وحيد القرن، وتروس السلاحف التي يحتاج إليها الهنود كثيراً، وكميات قليلة من زيت النخيل.[121] وقد سميت بعض الشواطئ الأفريقية بالشاطئ الأوساني تأكيداً على الوجود اليمني القديم في المنطقة.

هناك اتصال بين الموانئ اليمنية والشواطئ الشرقية الغربية للبحر الأحمر، يشير صاحب كتاب (الطواف The Periplus) إلى ذلك بقوله: "على طول الشريط الساحلي الشرقي للبحر الأحمر حيث يوجد مرفأ يسمى (القرية البيضاء) والذي تنطلق منه

طـــريق تـــؤدي إلى (البتراء) الخاضعة للسلطة النبطية Nabtaean (سلطة الانباط)، ذلك المـــرفأ كـــان بمثابة سوقاً تجارية للسفن الصغيرة القادمة من بلاد العرب (اليمن القديم)، وفـــيه أيضـــا كـــان يقوم القائد العسكري الروماني ؛ من أجل جباية وتحصيل ريع الغلات التجارية المستوردة بقوة السلاح والاعتداء العسكري[122].

ظـــل اليمـــنيون يقومون بنشاطهم التجاري، ولم ينته ذلك النشاط إلا بتدهور الحضارة اليمنـــية بشـــكل عام، وبالرغم من ذلك هناك من المؤرخين من يذهب إلى أنّ الحميريين ملكوا أفضل أسطول على شاطئ المحيط الهندي في القرون التي سبقت الإسلام[124].

رابعاً: العلاقات الدولية بين اليمن والعالم القديم :

لقـــد اكتســـبت الطرق التجارية البرية منها والبحرية - والتي ربطت بين اليمن القديم بحضـــارات العـــالم - أهمـــية تجاريـــة وحضارية، خاصة ذلك الاتصال الذي لم يقتصر علـــى حجـــم البضـــائع وقيمتها الاقتصادية بل وبما يتمخض عن ذلك الاتصال من تبادل حضاري وثقافي.

فـــلا يمكـــن لأيـــة حضارة أن تنمو وتتطور ما لم تتفاعل وتتواصل مع الحضارات المعاصـــرة لهـــا، فاليمـــن القديم تأثر بحضارات العالم، وأثر فيها، وهذه الظاهرة حتميّة، فرضـــتها الظـــروف الطبيعـــية : كـــالموقع الاستراتيجي الحيوي الهام الذي يحتله اليمن، وتحكمـــه بالطـــرق الـــبرية .. حيـــث كـــان جنوب شبه الجزيرة العربية معبراً: للتجار، والجـــنود، والمهاجريـــن، والمغامريـــن حامليـــن معهم ثقافات مختلفة، وإن لم يقع اليمن القديـــم تحـــت ســـلطة تلـــك الـــثقافات القديمة مباشرة، إلا أنه لم يسلم من تأثيرها، كما احتفظـــت الحضـــارات الأخـــرى بآثار اليمن القديم كدليل مادي - لا يقبل الشك - على ذلك الالتقاء والتواصل الحضاري.

1- العلاقة مع شرق أفريقيا:

لقـــد كـــان الاتصـــال بيـــن الســـاحل الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية والساحل الأفريقـــي المقـــابل اتصـــالا حتميا فرضه التكوين البنيوي للمنطقة، فالمسافة بين الشاطئين قصـــيرة لا تـــتعدى (24) كم، ومسافة كهذه يمكن اجتيازها بالقوارب البدائية، ولا يستبعد أن تكـــون هـــناك صلات بحرية منذ أن بدأ الإنسان في اليمن القديم يصنع قوارب للصيد البدائـــية، فالهضـــبة الإرتـــيرية كانت منذ القديم سوقاً تجارية نشطة، ومورداً لا ينضب لكثير من السلع المرغوبة: كالأخشاب، والتوابل، والجلود، وريش النعام ...

وقـــد أكـــدت المعطـــيات الأثرية والنقشية على الوجود السبئي في الهضبة الإرتيرية مـــنذ الألـــف الأول قـــبل المـــيلاد، وأنّ تلـــك القبائل قد أخضعت السكان الأصليين منذ منتصـــف القـــرن السادس قبل الميلاد تقريبا، مكونة مستوطنات تابعة للدولة المركزية في سبأ .. وفـــي العقـــد الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد، أخذت تلك المستوطنات في الاســـتقلال عـــن الدولـــة المركـــزية السبئية، وإلى تلك الفترة أيضا تعود النقوش الحبشية التي كتبت بالأحرف واللهجة السبئية، والتي أصبحت اللغة الرسمية للبلاد.[125]

وهـناك دلائـل تبرهن على ذلك الوجود، فكثير من أسماء المواقع في شمال الحبشه هـي أسـماء مواقـع وأوديـة فـي اليمن، كما نجد رسوم الوعول على جبال (يحا) و (هاولتـي)، ونجـد صـورا للثور منقورا على جبال (مطرة) ... كل تلك الرسومات لم تكـن سـوى رمـوز للإلـه السبئي (المقة) نراها على العديد من القطع الأثرية، كما أن المباخر التي وجدت في (عدي جلامو) عام 1954م لا تختلف عن المبخرة اليمنية[126]

وعـن النشـاط التجاري لليمنيين على الساحل الأفريقي، يحدثنا مؤلف كتاب (الطواف The Periplus)عـن الـتجار العرب في كل مكان حتى منطقة (ربطة Rahabta)،[127] وقد وصل إبحارهم في إفريقيا إلى (سفالة) (موزنبيق) ومرافئ جنوب إفريقيا. [128]

2- العلاقة مع الهند:

للهـند مـع اليمـن القديـم علاقـة تجارية لا نعرف بدايتها، فقد كان لها منتوجات ومصـنوعات يحـتاج إلـيها : المصـريون، والأشـوريون، والفينقـيون، واليونانيون، والرومانـيون .. وكـان اليمنـيون قديمـا ينقلون تلك السلع على سفن شراعية بمساعدة الـرياح الموسـمية التـي عـرفوا أسـرارها. وفـي عهد مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) - القـرن الثالـث المـيلادي تقريـبا - وصل اليمنيون بسفنهم الى الشواطئ الغربـية للهـند، وما يؤكد ذلك عثور البعثة الأمريكية في ميناء (سمهرم) - (خوروري) حالـيا علـى تمـثال لراقصـة هندية يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي حسب رأي (البرايت Albright).

وفـي موقـع (العقلـة) بالقـرب من (شبوة) عثر على نقش (Ja 931) يذكر أسماء شخصـيات أجنبـية شـاركت ملـك حضرموت (إل عزيلط) احتفالات تتويجه ملكا على حضـرموت، ومـن بين تلك الشخصيات شخصان من الهند هما: (دهرم، وبندره) لعلهما كانا ممثلين لبلادهم، أو بحارين حظيا بفرصة المشاركة في ذلك التتويج.

3- العلاقة مع وادي النيل:

لقـد كـان الـبحر الأحمر منذ أقدم العصور، الطريق التي حملت إلى العالم القديم أول مـبادئ الاتصـال الفكري والتجاري .. وكان المصريون - فيما وصل إلى علمنا - أول مـن شـقّ عـباب البحر الأحمر طلبا للسلع المقدسة التي من بينها البخور، وكانت أول بعـثة مصـرية اتصلت ببلاد (بونت Punt) لجلب البخور والسلع النفيسة؛إنما يعود تاريخهـا إلـى القـرن الثامن والعشرين قبل الميلاد - في عهد الملك (سلحورع) - ومن بيـن تلـك الـرحلات : رحلـة توجهت إلى أرض (بونت) في عهد (منتوحوتب الثالث) حوالـي (2100 ق.م).[130] وكانـت رحلـة الملكة (حتشبسوت) من أشهر الرحلات في الـتاريخ القديـم، فقـد خلدت تلك الرحلة على جدران المعبد المصري الكبير- في (دير الـبحري) علـى مقـربة مـن طيبة - بمجموعة من الرسوم الجصية الجدرانية الملونة والـبارزة، تحكـي ذكرى رحلة الأسطول المصري الذي بعثته الملكة إلى (أرض الإله) أو أرض (بونت) وعاد ذلك الأسطول محملاً بالبخور وبشجر من الطيب، والعاج[131].

فالسـؤال الـذي حـيّر العلماء ومازال مطروحا هو: ما إذا كانت بلاد (بونت) التي أرسـلت إلـيها الأسـر الفرعونـية أسـاطيلها تقع على الساحل الأفريقي أم على الساحل الغربـي ؟ فهـناك من العلماء من يرى أنّ بلاد (بونت) جزء من أثيوبيا، ويرى بعضهم الآخـر أنّ المقصـود بهذه البلاد: بلاد العرب (اليمن القديم)، وفريق أخر يرى أنّها تشمل المـنطقة المحـيطة بمضـيق بـاب المندب من شبه الجزيرة العربية، والقارة الأفريقية، حيث الطقس الملائم لنمو أشجار البخور وأنواع أخرى من الصمغيات.

أيـا كـان الموقع الصحيح لبلاد (بونت) فان الذي لاشك فيه هو قدم التبادل التجاري بين موانئ البحر الأحمر وبلاد وادي النيل.

أمـا أقـدم دليل مادي على الاتصال التجاري بين اليمن القديم ومصر: هو ذلك العدد الوفـير مـن الـنقوش وغيرها من المخربشات التي عثر عليها في مصر، نذكر منها ما يلي:

نقش: (RES 3427)

عـثر علـيه فـي (سـقاره) بالقرب من الجيزة بمصر،[132] نحتت نصوصه على تـابوت خشـبي لـتاجر معيني، يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد تقريبا، ويدعى صاحب النقش (زيد إل زيد) كان يستورد الطيب للمعابد المصرية يقول النقش:

1. ن ف ق ن/ ك ز ي د أ ل/ ب ن/ ز ي د/ ذ ص ي ر ن/ ذ و ب/ ذ س ع ر ب/ أ م رر ن/و ق ل ي م ت ن/ ك أ ب ي ت ت/ أ ل أ ل ت/ م ص ر/ ب ي و م هـ ي/ ت ل م ي ث/ ب ن ت ل م ي ث /
2. ع ل/ و ي ف ق ر/ ز ي د أ ل/ ب و ر خ هـــ/ ح ت ح ر/ و ي ف ن ن و/ ك ب/ ب ن / ك ل/ أ ب ي ت ت هـــ/أ ل أ ل ت/ م ص ر/ ت م خ هـــ س م/ ك س و/ ب و ص/ ك ص ي ح س/ و ي س ع ل ي ن س
3. ب أ هـــ س/ع د/ م ن/ ب ي ت/ أ ل هـ ن/ أ ث ر ح ف/ ب و ر خ هـ/ ك ي ح ك/ خ ر ف / ث ن ي/ و ع ش ر ي/ ك ت ل م ي ث/ م ل ك ن/ و ر ث د/ ز ي د ل/ ل م ن س/ و ن ف ق س / أ ث ر ح ف/ و أ ل أ ل ت/ و م س/ ب م ح ر م هـ س /

يحـتوي الـنص علـى كلمـات فرعونـية اخـتلف الباحثون وعلماء الساميات في تفسـيرها. إلا أنّ مضـمون الـنقش يحدثنا عن قصة تاجر معيني كان يجلب أنواعاً من المـر والـبخور (السطر الأول والثاني) [أ م ر ر ن/ و ق ل ي م ت ن] لبيوت الآلهة المصـرية، كـان ذلـك فـي عهد الملك (بطليموس بن بطليموس) حوالي عام (264 ق.م)، وكـان قـد أعترف بما في ذمته من دين، فراح يوفيه للتو، ويذكر النقش – أيضا – أن هـذا الـرجل إنمـا دفـن على نفقة معابد الآلهة المصرية تقديرا للجهود المحمودة التي كان قد قام بها، ويبدو من النقش انه دفن وفقا للطقوس (الاوزيرسية)[133].

2- كمـا عـثر فـي مصـر علـى ثـلاث مخربشـات كتبها تجار يمنيون لحدى هذه المخربشـات عـثر علـيها في الضفة اليمنى للنيل، وهو (RES 3571) وأخرى بمنطقة (ادفو)،[134] والثالثة بوادي (حمامات) في صحراء سيناء(Ry 360).

3- وفـي اليمـن عـثر علـى عدد من النقوش تتحدث عن التجارة مع: مصر، وغزة، وآشر (سوريا؟) منها:-

أ- نقش: (RES 2771)

وجـد فـي قلعة (يهر) على الجانب الشرقي من (قرناو) معين، يعود هذا النقش إلى عهـد الملـك المعينـي (إل يفع ريم) وابنه (هوف عثت) حوالي عام 365 ق.م، حسب تقديرات (Van Wissman).

جـاء فـي السطر (1-3) من النقش: "عم يدع، وعم كرب وحيم، ويحم أل أبناء عم صـادق مـن قبـيلة (عميم) أصدقاء (الملك) إل يفع ريام وابنه هوف عثت ملكي معين، أهـدوا للإلـه عثتر ذي قبضم المحفد المسمى (يهر) والذي شيدوه حتى قمته من الحجر والخشـب، مـن الضـرائب التـي كـان قد وعد بها عم يدع للإله عثتر ذي قبضم من الملـزومات التـي قد أوفاها من بواكير التمر والغلال التي جمعت من العشر، في الوقت الذي كان يقوم فيه بالتجارة مع مصر وغزة و آشر (سوريا؟)" [135]

ب- نقش: (RES 2930)

عـثر علـيه على أحد أبراج سور براقش، وهو يذكر مصر وآشر (سوريا؟) وعبر نهرن (ربما المقصود بها الأردن).

ج- نقش: MAFRAY-Maʿīn 13

نقـش علـى سـور معين، يذكر الملك المعيني (هوفن يثع) يعود إلى عام 380 ق.م حسـب تقديـرات (Van Wissman) يقـول النص: "عم يسع لحي عثت وهب وإل يفع نـبط (مـن تجـار معيـن) يشكرون الإله ود، لأنه منّ عليهم بالتوفيق في تجارتهم التي أقاموهـا مـع (ددان) العـلا، ومصـر، وصيدا، ويشكرون الإله عثتر ذويقبض والملك (هوفن يثع) ملك معين".[136]

د- نقش: (RES 3022)

يعـد هـذا الـنقش الـذي عـثر علـيه على سور براقش من أهم النقوش المتعلقة بالـتجارة، والتـي تـتحدث عن العلاقات الخارجية بشكل مباشر، فقد جاء في هذا النقش ذكـر لمصـر ولـدول أخرى كان المعينيون يتاجرون معها، وورد فيه أيضا ذكر لحدث سياسـي خطـير: هـو الغـزو الفارسي لمصر.[137] وقد اعتبر هذا النقش مصدرا هاما للكرونولوجـيا المعينـية، فالفـترة التـي كتـب فيها هذا النص لم تكن براقش خاضعة للسيطرة السبئية بعد .. كان ذلك في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد.

محتوى النقش:

"عـم صـادق بن حم عثت وسعد من أغنى تجار معين، بل من قادة القوافل المعينية فـي عهـد الملك المعيني (أب يدع يثع)؛ قاما برحلة تجارية إلى مصر وأشر (سوريا؟) وعـبر نهـرن (الأردن)، ويشـير النص إلى أنهما قاما ببناء البوابة الرئيسية وجزء كبير مـن السـور الجنوبـي لمديـنة بـرقش، وكرُسا ذلك العمل للإله عثتر ذي قبضم، وقد ارتضـى الإلـه بـناء السور بدلاً من دفع الواجبات اللازمة نقداً. ويشير النقش أيضا إلى حـدث هـام حصـل أثناء رحلتهم الأخيرة في أول الأمر كان (عم صدق وسعد) مهددين بغـارة يشـنها علـيهما السـبئيون والخولانيون في صرواح، وعندما غار هؤلاء على قوافلهما اضـطرا إلـى ترك أرضهما (معين)، واتجها إلى منطقة (رجمت) عاصمة قبيلة أمـير فـي نجـران، عندما أنذرا في الوقت المناسب، وذلك بفضل الآلهة. في تلك الفترة كانـت منطقة الشرق الأوسط – عموما – تعيش حالة من الصراع السياسي، بالذات تلك المعـارك الدائـرة بيـن مصـر وبـلاد فـارس، فقد شاهدت قوافلهم الهجوم الذي شنه الميديون (م د ي) – المقصود بهم الفرس – على مصر [138].

اسـتنتج الباحثون: أنّ المقصود بذلك الهجوم هو غزوة (ارتكسركيس الثالث اوخوس Artaxerxes III Okhos) ملـك الفـرس (358-338ق.م) علـى مصر عام (343 ق.م) ..[139] ويعـتقد فـريق آخـر أنهـا وقعة (رافية) التي كانت بين بطليموس الرابع وانطـيوخوس السـلوقي سـنة 216ق.م،[140] ولقـد ساعد الحدث على تحديد فترة حكم الملك المعيني (اب يدع يثع)[141].

- آثار مصرية في اليمن:

إلـى جانـب الـنقوش عثر المنقبون عن الآثار على عدد من القطع الأثرية المصرية الأصل وأخرى يمنية الصنع تحمل الأثر المصري، من بين تلك القطع المصرية [142]:

1. جعـل (جعـران) يحمـل اسم الملك (امنحوتب الثالث)، وتشير صناعته إلى الأسرة الثامنة عشرة، أي حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.
2. جعـل (جعـران) نقش عليه صقر وقرص الشمس، وتشير طريقة صناعته إلى القرن السادس قبل الميلاد.
3. لوحـة صـغيرة من حجر (الاستيانيت) صور على أحد وجهيها رجل واقف يتقدمه صـل ثعـبان من الكوبرا، وعلى الوجه الآخر صقر يعلو رأسه قرص، وعلى الجانب نقشت كلمة (... من ...)، يرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد.
4. تمـيمة زرقـاء مطلـية تـتخذ شكل الإله (بس) يرجع تاريخها إلى ما بين الأسرة السادسة والعشرين والأسرة التاسعة والعشرين، القرن الرابع قبل الميلاد.
5. خرزة مستطيلة من زجاج أخضر غير منقوشة، لكنها مزخرفة ببعض الخطوط.
6. خـرزة زرقـاء علـى شكل زهرة كانت جزءً من عقد، يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرنين السادس والثالث قبل الميلاد.

4- العلاقة مع شمال شبه الجزيرة العربية:

أقـدم إشـارة للاتصال البري بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية، هي تلك التي جـاءت فـي كـتاب العهد القديم، [144] التي تصف زيارة ملكة سبأ إلى الملك سليمان بن داؤود، وأكـد القـرآن تلـك الزيارة، في (سورة النمل)، بيدا أن هذه الإشارة لا تعني - بالتأكـيد- أنهـا أول اتصال بري تم في ذلك العهد (القرن العاشر قبل الميلاد)، بل ربما سـبق ذلـك بفـترة طويلة، فمن المحتمل أن تكون شبه الجزيرة العربية قد انفتحت على أجـزائها مـنذ عهـود موغلـة فـي القدم، فعندما ننظر إلى الخريطة التضاريسية لشبه الجزيرة؛فأنـنا لا نـرى أيّ عـائق طبيعي يمكن أن يحول دون الحركة الداخلية، فالحدود السياسـية لـم تكـن معـروفة بعد؛لذا فالجماعات البشرية كانت تنتشر أينما استطاعت، وكلمـا فرضـت علـيها الحياة ذلك، بحثا عن الأرض الخصبة ومناهل المياه، فقد يسّرت تلـك الطبـيعة الاتصـال التلقائـي؛الذي تحقّق بشكل واسع بعد أن توطدت دعائم الدولة المركزية في اليمن في نهاية (القرن الثالث الميلادي).

ومـن الإشارات الأخرى التي تحدثت عن العلاقة بين ملوك - آشور وملوك العرب - ومـنهم ملـوك سـبأ - مـا جـاء فـي الكتابات الآشورية منذ عهد الملك الآشوري (سـرجون الثاني 417 ق . م)؛ومن ثم في عهد ولده (سنحاريب 586 ق. م) وقد أكدت النقوش تلك الأسماء لملوك سبأ[145].

لقـد كانـت القوافـل الوسيلة الأساسية التي ربطت بين جنوب وشمال شبه الجزيرة مـنذ العهـد الأثـيل؛مارةً بسلسـلةٍ من الواحات في الحجاز ؛ حتى منطقة ددان (العلا) شـمال وادي (القـرى)؛ومـنه إلى بلاد الشام.. وعلى طول تلك الطريق أسس اليمنيون لهـم مراكـز تجاريـة أكدتهـا الـنقوش، ونخص بالذكر نقوش المستوطنة المعينية التي أقامهـا الـتجار المعينـيون فـي ددان (العـلا)، التي يعود تاريخها إلى القرم الرابع قبل الميلاد، واستمرت حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد.

وقـد تـم العـثور علـى عـدد من النقوش اليمنية - سبق وأن تحدثنا عنها - تذكر الصـلات الـتجارية بيـن اليمنـي وآشـور (سوريا؟) وغزة، ومنطقة (نهرن) أي: بين النهريـن، وربمـا المقصود بتلك المنطقة (الأردن؟)، صيدا،وصور، ويثرب... (RES 2771 , RES 2773, RES 3022).

كمـا أشـارت بعـض الدراسـات إلى العلاقة بين الزخرفة الفنية في سوريا واليمن القديـم، وأن هـناك توافقا في ذلك النوع من الفنون[146]، كما أنّ هناك نماذج من المباخر ذات الـنذور مـن الطيب؛هـي على شكل مكعب مع تزيين هندسي، انتشرت في الشرق الأوسـط كلـه منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد، عثر على عدد من تلك المباخر في مواقع أثرية بفلسطين وسوريا[147].

كمـا يـرى بعـض علمـاءَ الآثار أنّ الجزء الأكبر من الأوعية الزجاجية في اليمن القديـم مسـتورد مـن الشـام ومصـر، وعثر أيضًا على نماذج متنوعة من الفخار في مـناطق مـتفرقة مـن اليمن ... وبعد دراسة تلك القطع اتضح أنّها صنعت محليًّا،كمواد

تتطلبها الحاجة، لكنها لا تخلو من التأثير الخارجي، وظهر ذلك واضحًا من بعض الأشكال الفنية والنماذج الزخرفية، التي يرجعها بعض المختصين إلى بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين في فترات زمنية متفاوتة، يعود بعضها إلى عصر البرونز، أو بداية أواخر هذا العصر.. كما عثر في مقابر حريضة على مجموعة من الخرز شبيهة بالخرز السوري في القرن السابع والخامس قبل الميلاد[148].

5 - علاقة اليمن القديم بالحضارة اليونانية والهلنستية والرومانية:

أ - التأثير اليوناني:

تؤكد المعطيات الأثرية والنقشية المكتشفة في اليمن، وفي بعض الجزر اليونانية: على وجود صلات تجارية وحضارية بين اليمن القديم والحضارة اليونانية، فقد ترك لنا التجار اليمنيون آثارًا تؤكد وصولهم إلى تلك البقاع، وبالذات إلى جزيرة (ديلوس) في بحر - إحدى الجزر اليونانية - إذ عثر على مذبح نحت عليه نقش بخط المسند - وبالذات باللهجة المعينية - بدا من نصّه أنّه إهداء للإله (ود) إله معين الرئيس، وكان هذا الإهداء قد دون باللغتين: المعينية والإغريقية نقش (RES 3570) [149].

محتوى النقش:

1- ح ن أ / و ز ي د إ ل / ذي / خ ذ ب

2- ن ص ب / م ذ ب ح / و د م / و إ ل أ ل ت

3- م ع ن ب د ل س ...

وتكون ترجمة النص على نحو ما هو آت:

(حنأ / وزيد إل / من عشيرة خذن، تقرّبا بمذبح للإله (ود) إله المعينيين بجزيرة ديلوس اليونانية).

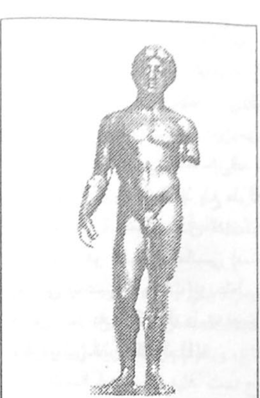
كما عثر في نفس الجزيرة على نقش آخر لتاجر حضرمي (RES 3952) نحت على بلاطة من المرمر، يظهر من نصه إهداء لإله حضرموت (سين ذي اليم) من شخص يدعى (غ ل ب م) ابن (غ ل ..).

أما في اليمن فقد عثر على عدد من القطع الأثرية: كالعملات، والتماثيل، والتحف الفنية، والفخار - ذات الأثر الأغريقي، وأبرز تلك الآثار: العملات البرونزية الصغيرة ذات الطابع الأثيني؛ التي عثر عليها في منطقة (بربرة) على وادي جردان، (انظر خريطة رقم 2) . فبعد دراسة وفحص تلك العملات تبيّن أنها ضربت في اليمن، لكن على الطريقة اليونانية، حتى ظهر الأثر اليوناني بارزًا عليها. ويعود تاريخ تلك القطع إلى القرن الرابع قبل الميلاد.. وفي الموقع ذاته عثر على تمثال لمحارب بيلوبونيزي يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، كما عثر أيضًا على قطع من الفخار الأثيني يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد[150].

ب - التأثير الهلنستي والروماني:

امتزجت الفنون اليمنية القديمة بلمسات من الفنون العالمية، ومنها بصمات من الفنين: الروماني والهلنستي اللذين وجد العلماء والمختصون صعوبة في وضع حد فاصل بينهما، فهناك كثير من التماثيل والرموز الفنية التي عثر عليها في اليمن منها: التمثال البرونزي – للملك الحميري (نمار علي) – الذي امتاز بضخامة غير معهودة في التماثيل اليمنية، إذ بلغ طوله حوالي (240) سم كما .. عثر على كتابتين منقوشتين في فخذ التمثال من الداخل ومن الخارج ففي الداخل سجل اسم الشخص الذي قام بصبه وهو اسم روماني (سوفورس)، أما الاسم الذي سجل في الخارج فهو شخص يمني يدعى (لهيعثت) ويحتمل أن يكون هذا الشخص هو الذي قام بتركيب التمثال لذا من المرجح أن التمثال جلب بعد صبه في بلاد الرومان، وأعيد تركيبه في اليمن على أيدي مهارة يمنيين.انظر شكل رقم (1).

كما يرى بعض علماء الآثار أنّ بعض الأشكال الفنية والرموز الموجودة في جنوب شبه الجزيرة العربية مقتبسة من زخارف الشرق الروماني منذ القرن الأول الميلادي، كالأبراج والأشكال البيضاوية.. وقد أوردوا بعض النماذج مثل : الأبراج الفلكية الحميرية التي عثر عليها في (بيت الأشول)، التي تحمل أشكالاً لطيور وأغنام تعود إلى منتصف القرن الخامس الميلادي، كذلك القطع التي تحمل غصينات وحيوانات (أسود، ثيران...) عثر عليها في (ظفار) العاصمة الحميرية، يعود تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي.[151]



شكل رقم 1 تمثال برونز يحمل لمسات من الفن الهلنستي (متحف صنعاء)

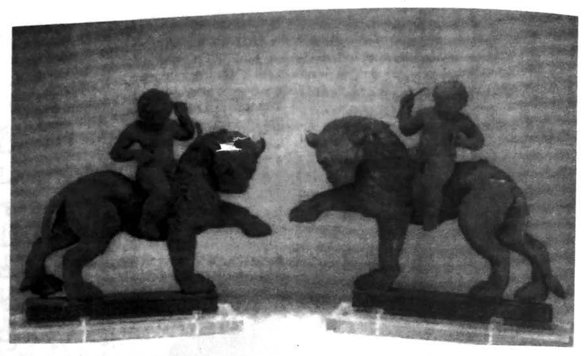
أما الفن الهلنستي فيبدو واضحًا على كثير من القطع منها: ذلك الإناء الذي عثرت عليه البعثة الأثرية في (وادي ضراء) يحمل أشرطة مزينة بالحيوانات لمشاهد صيد، وملابس الصيادين تحمل لمسات الفن الهلنستي[152] (أنظر شكل رقم 2).



(شكل 2) مغرفة من الذهب والفضة (وادي ضراء)

وفي شبوة تم اكتشاف أجزاء من تماثيل من البرونز لأشخاص وحيوانات (أحصنة وأسود ...). كذلك عثر على يد من العاج، ولوحة معدنية تحمل صورة فهد، وقطع صغيرة من العاج على شكل علبة وكرات زجاجية[153].

وفــي خرائب تمنع (بيت يفش) عثر على تمثالين لأسدين من البرونز؛يمتطي كلاً مــنهما طفــل (أنظــر شكل رقم 3) .. وقد أكد العلماء الآثاريون أنه نموذج من الفن الهلنســتي المتأخر،[154] وفي قاعدتهما عثر على كتابة بخط المسند؛تدل على اسمين، وبعد فحص التمثالين اتضح أنّهما يعودان إلى الفترة التي شهدت فيها المنطقة تأثيرات هلنستية، بالذات في حوالي القرن الأول قبل الميلاد[155].



(شكل 3) تمثالين لاسدين من البرونز يمتطى كلاً منهم طفل (تنقيبات تمنع)

أمــا في وادي ضراء فقد عثرعلى علبة فضية صغيرة غطاؤها يحمل وجه آلهة الأغريقية؛حيــث يعــد ذلك الشكل خاصة هلنستية أو رومانية.! وإلى جانب ذلك عثر علــى قطــع من الفخار ذات أصل إيطالي، آتية من إقليم (لاتيوم)، وقطع من جزيرة (أتوس) [156].

ج - التأثير الفارسي:

إضــافة إلــى النماذج المتنوعة التي أوردنا ذكرها كشفت البعثات الأثرية : على بعــض القطع، والأختام التي تحمل لمسات الفن الأخميني في القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، عثر عليها في وادي (عمد) بالذات في قبور (حريضة)[157].

وأمــا في وادي (ضراء) فقد عثر على كأس من النحاس مزيّن بمشهد صيد يرى (بريــتون Breton) بــأن هــذا المشهد شبيه ببعض القطع الساسانية المصنوعة من المعــدن، وقد استنتج ذلك من خلال الشبه : في حرية الحركة، وفي الرسم، والتناسق، وتركيــب الحيوانات ونوعية النباتات مع الفن الساساني؛الذي يعود تاريخه إلى القرنين الرابع والخامس الميلادي[158].

إلى أيّ مدى تأثرت الحضارة اليمنية بالحضارات القديمة؟

يتضح مما سبق أنّ البعثات الأثرية اكتشفت حتى الآن كمًّا كبيرًا من اللقى الأثرية المتنوعة التي تستدعي الإعجاب، منها : مواد جنائزية ونذرية، مواد منزلية، أدوات زينة، أسلحة ، وأختام... وقد أكدت الدراسات المقدمة من علماء الآثار على أنّ أغلب تلك القطع صنعت محليًا، ومع أنّ بعضها يحمل تداخل الفن المحلي بالفنون الأجنبية؛إلا أنّه يحتوى في الغالب على كتابة بخط المسند، اللهم إذا استثنينا عددًا قليلاً للغاية من تلك اللقى ذات الطابع الأجنبي الصرف.

أنّ تداخل الفن اليمني القديم بالفنون الأجنبية ؛ دليل قاطع على التواصل الحضاري بين الشعوب الحضارية للعالم القديم، فذلك التداخل الفني يظل – على كل حال – محصورًا في عدد قليل من اللقي الأثرية، وهذا يسهل للباحث حصر التأثير الأجنبي، وابراز خاصية الفنّ اليمني القديم.

ففي جملة الآثار المكتشفة حتى الآن، نستطيع أن نحدد ماهية الفن اليمني القديم الصرف، سواء أكان ذلك في جانب الفن الهندسي والمنشآت الزراعية، أم في مجال الفنون الأخرى: كالقطع الأثرية منها والتماثيل: والأدوات المنزلية الفخارية، والمعدنية والزجاجية، والمواد الجنائزية والندرية، العملات، الأختام، أدوات الزينة، وديكور المنازل... .



شكل (4) نموذج من الفن اليمني

فعند تفحص تلك النماذج تبرز أمامنا قطع رائعة ؛ تدل على مهارة اليمنيين، وقدرتهم الفنية في تشكيل المعادن، صياغة الحلي، أدوات الزينة، تطعيم المصنوعات الذهبية.. وقدرتهم على التصميم الهندسي بأسلوب علميٍّ رصين!. إنّ استغلال المعادن واستخدامها في أدواتهم اليومية ليس ظاهرة جديدة، فقد ظلت هذه الحرفة سائدة حتى العصر الإسلامي، وكما هو معروف فأن أجمل وأقوى السيوف هي السيوف اليمانية؛التي طالما كثر تمجيدها والتغنّي بها في الشعر العربي القديم: قبيل الإسلام وبعده.. كما أنّ دراسة الحسن الهمداني (القرن العاشر الميلادي) للمعادن واستخراجها ومعالجتها، والأحجار الكريمة في كتابه (الجوهرتين ...) [159] تؤكد ما ذهبنا إليه.

أما الأشكال المصاحبة لبعض تلك القطع: كالقصيبات، الأمواج، الأشكال الحلزونية والبيضاوية التي رجّح بعض العلماء أنها اقتبست من أشكال شائعة في الحضارة الهلنسيتية والرومانية[160] مثل تلك تصميمات الأشكال نجدها شائعة كذلك في فنون اليمن القديم التي استمرت ولفترات طويلة؛كما نراها على المباني (الألواح الحجرية المعمارية)، فوجودها لا يدل إطلاقا على أنّ تلك الألواح استوردت من خارج اليمن، كما أنّ من يزور اليمن اليوم يلاحظ اهتمام السكان بزخرفة منازلهم على نمط ذلك الموروث الحضاري؛الذي تحاول الدولة من خلال مؤسساتها المختلفة الحفاظ عليه، وهي ظاهرة تلفت النظر رغم استخدام الإسمنت ومواد البناء الحديثة، ويمكن القول: إنّ للبيئة الطبيعية – التي كان يعيش فيها الإنسان – انعكاسٌ على إبداعاته الفنّة، فقد خلقت لديه نوعًا من الإيحاء تجسّد في تلك الأشكال المختلفة؛كأشكال الكروم المتنوعة التي اشتهر بها اليمن(انظر شكل رقم 4)، لذلك فإنّ العلماء المستشرقين – الذين يرون أنّ تلك لأشكال مستوحاة من تأثيرات خارجية – إنما يفتقدون إلى معرفة أكيدة بطبيعة البلاد؛فقد ذهب بعضهم إلى أنّ الحضارة اليمنية (العربية الجنوبية) تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، مع رفض تام لأيّ تاريخ يسبق ذلك، وأنّ الممالك اليمنية قد اقتبست من اليونان – في القرن الخامس – الأسلوب الهندسي لخطها الفخم، وكذا كان سكّ النقود في طابعه الأثيني، كما يرجعون أصول المواد الثقافية العربية الجنوبية، وعلى وجه الخصوص العمارة والنحت، إلى تأثيرات اغريقية أو اغريقية – شرقية[161].

لا نستطيع الخوض في تفاصيل تلك الفرضية، فالردّ عليها يحتاج إلى دراسة مستقلة، لكن ينبغي الإشارة إلى أنّ الفترة التي قدمت فيها تلك الفرضيات لم تكن الدراسات اليمنية القديمة قد وصلت إلى مستوى من النضج، ولم تبدأ التنقيبات في جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل منهجي بعد، فمنذ منتصف هذا القرن قدمت البعثات الأثرية التي زارت اليمن كثيرًا من المعطيات العلمية القيمة التي تغير في ضوئها كثير من المفاهيم التي تستند إلى الفرضيات القائمة على الاحتمالات الظنية الخاطئة.. فعلى سبيل المثال: تلك الفرضية التي ترجع أبجدية اليمن القديم إلى

تأثيرات الأبجدية الإغريقية مع بداية القرن الخامس قبل الميلاد؛قد أصبحت فرضية غير مقبولة، ولا صحيحة البتّة، وذلك لسببين وجيهين هما:

الأول: أنّه قد توافر لدينا كتابة تمثل أقدم تنكارية معروفة، كانت قد دونت على جرة كبيرة عثر عليها في أنقاض (هجر بن حميد)؛أسفل جذع خشبيٍّ .. وبعد تحليل لطبيعة هذا الجذع بالإشعاع (الكربوني 14)؛اتضح بأنّ أمده تاريخيًا إنما يرجع – تقريبًا – إلى (852 – 60 ق. م)، وعلى هذا فإن الاستيطان الأول في هذا الموضع إنما يعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد، [162] في أكبر الظن وأغلب الاحتمال الذي لا مراء فيه.

الثاني: أنّ مما يؤكد منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية إنما يعود إلى أبعد مما تصورته تلك الفرضية؛هو تلك الدراسة التي قام بها عالم الآثار (يولي بريونت) (Ueli Brunnet) عن (جيومور فلوجيا منطقة مارب)؛حيث تمكن من الوصول إلى مواقع جذوع النخيل التي يرجع عمرها إلى أكثر من ثلاثة الاف عام قبل الميلاد،[163] فكان هذا مما يدعم ثبوت الاستيطان السكاني في المنطقة عينها منذ أقدم من هذه الحقبة، فإن - إذن - الحقيقة من العام المفترض خطأ لنقل الحروف اليمنية القديمة من هذا التاريخ المثبت بالدراسة الميدانية المتأنية القائمة على التحليل الدقيق والمنهج العلمي الحديث؟!

أما الافتراض القائل بأنّ أصل الفن العربي الجنوبي - وخاصة النحت - يعود لتأثيرات إغريقية أو إغريقية شرقية ؛ من خلال عرضنا، فيما سبق، لبعض النماذج الأثرية ذات التأثيرات الأجنبية - أنّ الفنّ اليمني القديم إنما هو كغيره من فنون الحضارات العالمية مركب من عناصر: محلية صرفة، وأجنبية، ولسنا - عندئذٍ - بحاجة هنا إلى التذكير بالموقع الإستراتيجي لجنوب شبه الجزيرة، والنشاط الحضاري العظيم الذي كان لعرب الجنوب في التجارة العالمية .. فالحضارة في حدّ ذاتها لا يمكن أن تكون منعزلة، بل أن نتاجها خليط من الخصائص في فنها وعاداتها وتقاليدها، فكل حضارة تستمد من سابقاتها وتكون رافدًا لحضارات لاحقة، وكثير من الأدلة تؤكد هذا القول. إذا فإنّ من الخطأ الاعتماد على جانب واحد لمعرفة أصل أي حضارة، فالجانب الفني - رغم أهميته - شيء جزئي إذا ما درسنا الجوانب الحضارية الأخرى. ففي اليمن لم يتم الكشف عن لقى أثرية فحسب، بل تم اكتشاف مدن متكاملة بأسوارها، وبنظامها الاقتصادي، وبملامحها الثقافية والطقوسية الخاصة، وفي حقيقة الأمر أنّ تلك التأثيرات - التي نعتبرها ظاهرة طبيعية - توضح بالدليل الملموس التواصل الحميم الذي كان قائمًا بين جنوب شبه الجزيرة العربية وحضارات العالم القديم

خامساً :النظم التجارية والقوانين المنظمة لها:

إنّ تطور التجارة في أي مجتمع كان ترافقه - دون شك - الحاجة إلى نظم تجارية تحدد قوائم الأسعار والضرائب على الصادرات والواردات .. ولابد من أنه قد كان لقدماء اليمنيين قوانين داخلية ودولية تنظم الحياة التجارية، ألا أننا لم نعثر على مصادر نقشيّة كافية تحدثنا بشكل تفصيلي عن تلك النظم: كالقيمة السلعية، والضرائب وأنواعها .. باستثناء "قانون قتبان التجاري" وإلا ما حدثتنا به من إشارات طفيفة بعض المصادر الكلاسيكية - المعاصرة للازدهار التجاري في اليمن القديم - عن الضرائب وأسعار السلع. وأهم النظم التجارية هي تلك الخاصة بالضرائب، فهناك نوعان من الضرائب:

النوع الأول: الضرائب التي تفرض على البضائع سواء أكانت مارة، أم مصدّرة، أم مستوردة .. وتحدد قيمتها حسب نوع السلعة.

النوع الثاني: ضـــرائب المراكـــز والثغور: حدثنا (بليني Pliny) عن الضرائب التي كانـت تفـرض علـى سلعة البخور منذ انطلاقها من مناطق الإنتاج حتى تصل إلى المـناطق المســتوردة لها ؛ فكتب في ذلك يقول: "في شبوة يأخذ الكهنة العشر كيلا لا وزنـا لآلهتهم (سابس) – ويقصد بذلك (سين) – ويحظر بيع البخور قبل ذلك الإجراء، ومـن هـذا العشر تخصص النفقات العامة لتقديم واجب الكرم الإلهي إلى جميع أولئك الغرباء الذين يقومون برحلة خاصة ... ومن شبوة تنطلق التجارة إلى قتبان حيث يدفع الملـك ضريبة، على كل الطيوب المارة بمنطقة نفوذه، كما كانت حصص من الطيوب تعطـى: لرجال الدين، ولأمناء الملك، ولحرسه، ولحاشيته، وخدمه، ولحراس البوابات .. ممـا يرفع كثيراً من ثمن هذه الطيوب،قبل أن تصل إلى نهاية طريقها على شواطئ الـبحر المتوســط ..". ثـم يضـيف: "وتستغرق "رحلة من تمنع إلى غزة حوالي 65 محطــة، وكل محطة فيها مواقف للجمال؛ يدفع خلالها أصحاب القوافل ثمن الحصول على الماء، والعلف والحشائش للجمال، وأجر المبيت، أو يدفعون رسوما مقابل السماح بالمرور أو الحماية"[164].

مـن خـلال ما قاله (بليني) عن تكلفة (البخور) نستطيع الاستنتاج بأنّ سعر السلع الـتجارية تتأثر بشكل مباشر بتلك الضرائب المفروضة عليها على طول الطريق، وما تدفعــه من تكاليف أخرى، ولم تصل إلى شواطئ البحر الأبيض إلا وقد تضاعف سعر السـلعة، وللأسـف لـيس لديـنا إحصــائيات دقيقة عن كمية البضائع التي تمر عبر الأراضي اليمنية، ولا عن مبالغ الضريبة التي تدفع عليها.

عـن ســعر السلع يقول (ن. قروم N.Groom): "نّ سعر اللبان والمر (البخور) مكلـف جداً، والسبب في ذلك يعود إلى المسافة البرية الهائلة التي تقطعها القوافل؛عبر عـدد مـن الدويـلات والمناطق القبائلية، ولم يتسلّم اليمنيون سوى جزء بسيط، فتلك الـثروة لاتصـل كلها إلى أيديهم .. وإنّ المستوى الرفيع الذي وصلوا إليه لم يأت من الـتجارة فحسـب؛بل كـان نتاجاً لإبداعاتهم، وعملهم الدؤوب .. فاهتمامهم بالزراعة وبمنشـآت الريّ ذات التنظيم العالي كان السبب في تلك السمعة التي وصلوا إليها"[165].

إذن أراد (قـروم Groom) بهـذا القول الرد على (بليني Pliny) في قوله السالف الذكـر، أنّ ثـراء اليمنيـين لم يأت من التجارة فقط، وإنما جاء أيضاً من مثابرتهم في الأعمال الزراعية من خلال إنشائهم لشبكات ريّ متطورة .

- نموذج من التشريعات التجارية:

- القانون القتباني(RES 4337 A and B):

يعتـبر قـانون قتـبان التجاري، نموذجا هاما للقوانين المنظمة للعلاقات التجارية، ولأسـلوب جمــع الضــرائب، والرسوم المفروضة على التجار الثابتين والمتجولين في أرض قتـبان والمارين بها ... وقد سنّ ذلك القانون الملك القتباني (شهر هلال بن يدع أب) الذي يعود عهده إلى القرن الثاني ق. م.

فـي السـوق القديـم لمديـنة (تمـنع) العاصمة القتبانية - (هجر كحلان) - أقام القتبانـيون مسـلة حجـرية صـغيرة، نقشوا على جوانبها الأربعة نقوش خاصة بذلك القـانون الـتجاري الداخلـي لقتبان، إلا أنّ عوامل التعرية طمست نصوص النقوش المسـجّلة علـى الجهـة الشـرقية للمسلة ... لقد وضعت تلك المسلة بالسوق الرئيسة للعاصـمة القتبانية (تمنع)، التي أطلق عليها في النقوش اسم (سوق شمر) ويحمل هذا الـنقش رقـم (RES 4337 A and B) في مدونة النقوش السامية، وقد اعتمدنا على قراءة (ألفرد بيستون Beeston) ويوسف عبدالله لهذا النقش.[166]

محتوى النص:-

"هكـذا قضى وشرّع (شهر هلال بن يدع أب) ملك قتبان وأهل قتبان بتمنع وبرم ووادي ..... حوكم وولد عم وحاكم تمنع ولدعم".

المادة الأولى:

إنّ مـن يشـتغل بالتجارة في تمنع وبرم مهما كانت بضاعته يجب أن يدفع ضريبة السوق في تمنع، وان يكون مالكاً لدكان في سوق شمر.

المادة الثانية:

إنّ مـن يأتـي إلى قتبان ببضاعة ... يجب أن يملك دكاناً حتى يحقّ له أن يزاول البيع والشراء في سوق شمر، أيا كانت قبيلته.

المادة الثالثة:

إنّ مـن يفـتح دكانا يكون من حقه أن يشترك في التجارة مع غيره من التجار من أصحاب الدكاكين، ولا يجوز لعاقل السوق أن يتدخل في ذلك.

المادة الرابعة:

عـندما يعلـن عـاقل سوق (شمر) عن حاجته إلى باعة متجولين بين القبائل؛نظراً لانشـغاله ببـيع بضـاعته في دكان بسوق (شمر) يجوز حينئذ لأهل قتبان أن يتجروا لحسابهم الخاص بين القبائل.

المادة الخامسة:

يغـرّم عـاقل السـوق، فـي حالة عدم تبليغه عن أيّ تاجر يمارس غش الآخرين خمسـين قطعـة ذهبية، كما يغرّم كل أجنبي يحاول أن يتجر في بلاد قتبان ما لم يكن لديه دكان. وتدفع كل الغرامات للملك.

المادة السادسة:

لا تسـري ضـريبة بيع الحبوب في عمليات البيع والشراء بين أهل قتبان، إلا أنّ أداء هذه الضريبة واجبة على غيرهم، وتدفع هذه الضريبة - بالعملة القتبانية - إضافة إلى الضريبة الأساسية دفعة واحدة.

المادة السابعة:

يجـب علـى كلّ قتبانيّ أو معينيّ أو أيّ مقيم آخر في تمنع إذا أجّر بيته أو محل إقامـته كدكـان للمـتاجرة أن يدفع ضريبة السوق إلى الملك من البضاعة التي بحوزة

لـلتاجر، وفــي حالة كون بضاعة التاجر لا تفي بقيمة الضريبة المقررة، يجب على صاحب البيت أن يستوفي الضريبة من ماله الخاص.

المادة الثامنة:

تحظــر التجارة - أيا كان نوعها - في السوق على دافعي الضرائب بقصد التعامل مع غير قتباني، أو سفلي من (ذي سفل)، حرصاً على حقوق أهل قتبان العادلة، وطبقاً لمـا شرّعه ملك قتبان ... كل الأنشطة التجارية التي يقوم بها القتبانيون أنفسهم - كذا الكاكيـن - يجب أن تتم بترخيص من عاقل سوق قتبان وبموجب قوانين (النبي) الإله القتباني.

المادة التاسعة:

يجــب على كل من يتاجر بالجملة في تمنع أن يعهد إلى باعة تجزئة عند تسويق بضاعته في أرض قتبان.

المادة العاشرة:

تحظــر الــتجارة في السوق ليلاً حتى الصباح، ومن عمل ذلك فليمتنع الناس عن الشراء حتى مطلع الفجر.

المادة الحادية عشر:

لملك قتبان حقّ الإشراف على كلّ بضاعة تمرّ في أرضه.

المادة الثانية عشر:

فليدعم كل ملك آت (قادم) هذا القانون .. .

من هذا القانون يمكن أن نستلخص ما هو آت:-

نلاحــظ أنّ المــادة الأولى تركّز على التجارة وتحصرها في سوق شمر، وتضع قـيوداً صارمة على المتاجرة مع المجتمعات القبائلية في الأرض القتبانية، فبمجرد أن يكـون التاجر وبضاعته داخل أسوار تمنع يكون من السهل مراقبة تلك التجارة، ويتم التأكد من أنّ التاجر قد دفع كل التزاماته من الضرائب والعشور، وبالطبع فإنّ مثل تلك المراقبة يكون من الصعب تطبيقها إدارياً فيما لو ترك التجار يتجولون بين القرى.

فــي الوقت الذي تفرض فيه المادة الأولى القاعدة التشريعية على مكان قتبان وما جاورها نرى المادة الثانية تطبق على التجار القادمين من أماكن أخرى، فهؤلاء عليهم الالــتزام بالمــرور عــبر بوابة تمنع، وبذلك لم يكن باستطاعتهم تجنب دفع ضريبة السـوق المطلوبــة، ولــم تكن هذه الحال ملزمة بالنسبة للمقيمين في تمنع، فالمعاملة الـتجارية تتم مع القتبانيين وغير القتبانيين، إلا أنّ للقتبانيين امتيازات كثيرة، وفرصاً مشـجعة .. فالجمــيع يدفعــون الضريبة الأساسية المعلومة، أما الضرائب الإضافية فتفرض على غير القتبانيين، كضريبة الحبوب مثلاً، وفي هذا دليل واضح على حماية الدولة للتجارة المحلية.

تعــالج المــادة الثالثة حقوق التجار، فبعد أن يلتزموا بالمادتين الأولى والثانية، و يقيموا لأنفســهم مكانــا في السوق الرسمي يكون من حقهم عندئذٍ ممارسة نشاطهم

تــتجاري مــن دون تدخل السلطات، وكان مسؤول سوق (شمر) هو الذي يمثل تلك السـلطات. ومن هذه المادة يظهر بأن الموظف نفسه كان تاجراً في تمنع، ويمكننا أن نتصور أنه كان يشغل منصباً شبيهاً بمنصب رئيس فئة التجار.

وتفـرض المــادة الـرابعة القيود على التجار المتجولين بين المجتمعات القروية، خارج الحدود المباشرة لتمنع وبرم، ويظهر أنّ هذا النوع من التجارة كان حكراً على شــيخ ســوق شـمر، لكنه إذا لم يفضل ممارسة هذا الامتياز، واحب أن يبقى بجانب تجارته في تمنع؛عندئذٍ يمكن للتجار القتبانيين أن يقوموا بتلك المهمة شريطة حصولهم على تصريح بممارسة تلك التجارة الخارجية. ولم يكن بأي حال من الأحوال مسموحاً للتجار من غير القتبانيين الاشتراك في مثل تلك المتاجرة، وهذه النقطة تؤكدها العقوبة المذكورة في بداية نص المادة الخامسة؛ التي تفرض العقوبات على الخروقات التالية:-

1. محاولة غير القتبانيين الاتجارمع المجتمعات القروية مخالفة للمادة الرابعة.
2. الغش في التجارة.

وتبين المادة السادسة طبيعة الضريبة، فبينما يدفع جميع التجار الضريبة الأساسية فــإنّ الاتجار ببعض البضائع يكلف ضريبة إضافية سميت بـــ (امتياز الحبوب)، وهذه التســمية توحي بأن الاتجار بالحبوب هو المعني، ويعفى القتبانيون من دفع الضريبة ســواء أكــان هذا القتباني أو ذلك هو المشتري أم البائع. كذلك كان من الممكن لمن يدفعــون هــذه الضريبة أن يستبدلوها بدفع مبلغ معين فوق الضريبة الأساسية، وبذلك يتخلصون من دفع ضريبة (امتياز الحبوب) في كل صفقة تجارية.

المــادة الســابعة خاصة بالتجار الذين يستخدمون بيوتهم للمتاجرة، وفي مثل هذه الحالــة يجــب دفع ضريبة السوق، إما ممّا يمتلكه أو من البضاعة التي في حوزته، وتوحي زيادة الضريبة في بعض الحالات بقيمة بضاعة التاجر، وبأنّ هذه الضريبة لم تكن حسب قيمة الرسم الجمركي، وإنما هي نوع من ضريبة الرأس. ونلاحظ في هذه المــادة أيضــاً وجــود جاليات معينية أخرى من غير القتبانيين كانت تعيش في تمنع وتمتلك البيوت، وأنّ الجالية المعينية كانت من الأهمية بحيث تذكر في هذا القانون.

وتحــدد المــادة الثامــنة: اســتخدام سوق تمنع للصفقات التجارية التي يكون أحد أطرافها واحد من القتبانيين على الأقل، ويشير الجزء الأخير من المادة بأنّ هذا النظام لم يكن جديداً، وإنما كان تأكيداً لقاعدة سبق وأن رسختها تشريعات قديمة.

وتهــدف المــادة التاسعة إلى حماية التاجر الصغير من أن يخرج عنوة من حلبة الــتجار الكبار، ومن هذا النص نستشف أيضاً بأنّ منع الجميع من البيع بالجملة والبيع بالــتجزئة في آن معاً: معناه تدخل الدولة لصالح توزيع الأعمال بين الموظفين، ومن أجل الحد من الاستغلال .. وتمنع المادة العاشرة الاتجار في الليل، ولهذا المنع أهدافه المالــية والإداريــة .. وذلــك من أجل تسهيل مراقبة الصفقات والمبادلات التجارية في وضح النهار، وبذلك يمكن تجميع الضرائب المستحقة.

وقد شمل القانون العديد من المصطلحات التجارية المتصلة بالبيع، والشراء، والعقود، والأوامر التي كان الملوك يصدرونها لجباية الضرائب، وما يترتب على مخالفتها أو التهرب منها من عقوبات، أو لتنظيم المعاملات التجارية في جوانبها المختلفة.

سادسا: نظام الدفع في المعاملات التجارية:

لم يعرف إنسان عصور قبل الميلاد أي وسيلة من وسائل المعاملات التجارية، فحاجاته الغذائية كان يحصل عليها من الطبيعة المحيطة به، وعندما عرف الزراعة وتدجين الحيوان شعر بحاجة ماسة إلى الاستقرار، فتجمع حول المناطق الجغرافية الملائمة للاستيطان البشري، كضفاف الأنهار، والأودية، وعلى الشواطئ الساحلية، وحول مناهل المياه ... فكانت تلك المواضع مراكز حيوية للبدايات الأولى لنشوء المجتمعات الصغيرة، ومع مرور الزمن تكاثرت تلك المجتمعات، وتولدت حاجة الإنسان لأخيه الإنسان؛كضرورة ملحة فرضتها الطبيعة، فقد أنعمت تلك الطبيعة على كل إقليم جغرافي بمورد لا يتوافر في الإقليم الآخر، من هنا جاءت الحاجة إلى التبادل السلعي (المقايضة).

فكانت المقايضة تمثل خير وسيلة للتعامل التجاري بين الأفراد والمجتمعات، كلٌ يأخذ حسب حاجته من السلع بعد أن يستبدلها بسلعة أخرى متوافرة لديه. إلا أنَّ هذه الوسيلة من التعامل رافقتها كثير من المعوقات نظراً لعدم توافق الرغبات والأمزجة، فكان لابد من إيجاد سلعة وسطية مرغوبة لدى الأطراف المتبادلة، أطلق عليها (السلعة الوسطية)، وقد اختلفت تلك السلعة من بلد إلى آخر، فكانت السلعة الوسطية عند مجتمعات بلاد الرافدين: (الشعير) و (الفضة)، وعند الصينيين (المحار)، وعند اليونانيين حيوان (الثور)[167].

ومع تطور نظام المقايضة وازدياد الطلب على السلع أصبحت (المقايضة) بالسلعة الوسيطة، تواجه صعوبات كبيرة خاصة عند نقلها من مكان إلى آخر، وعند الاحتفاظ بها، مما دفع الإنسان إلى التفكير في وسيلة أخرى، فجاء تفكيره في العملة المعدنية.

1- العملة المعدنية:

إنَّ استعمال العملة عند شعوب الحضارات القديمة بدأ منذ أن عرف الإنسان صهر المعادن وتشكيلها، وقد ساعد في نجاح هذه الوسيلة ما تتميز به من خصائص في ذاتها عديدة منها:-

أ) سهولة صهرها وتشكيلها بأحجام مناسبة.
ب) سهولة نقلها من مكان إلى آخر نظراً لصغر حجمها.
ج) إمكانية الاحتفاظ بها دون أن تتعرض لأي تلف.

لهذه المميزات أصبحت العملة المعدنية هي الوسيلة التجارية المعتمدة لدى شعوب الحضارات القديمة، فقد جاءت لضرورة حتمية للحالة الاقتصادية التي كان يعيشها المجتمع، والتجارة الدولية التي كان يساهم فيها.

فقد عرف الأشوريون القطع النقدية ذات الأشكال والأوزان المحددة، فشاع استخدامها منذ القرن الثامن قبل الميلاد، أمّا المدن الليدية.[168] فقد طورت ما كان عند الأشوريين من قطع معدنية،وأقام حكامها داراً لسكّ العملات منذ القرن السابع قبل الميلاد (685 ق.م)، حيث نقشوا على مسكوكاتهم صورة لأسد فاغر فاه، كما عرفت جزيرة (إيجينا) الواقعة بالقرب من أثينا المسكوكات منذ القرن السابع قبل الميلاد (665 ق.م)، وحملت صورة (السلحفاء)[169].

أمّا أثينا فقد بدأت بسكّ عملتها في حوالي (615 ق.م)، ونقشت عليها صورة تمثل آنية فخارية كرمز للنشاط التجاري، حيث كانت تصدر الزيت الذي كان يعبأ في الآنية الفخارية (أمفورا)، وكانت أشكال تلك الآنية دائرية بفوهة طويلة ومقبضين على الجانبين. وبعد الانتعاش التجاري الذي حققته أثينا، نجد عملاتها تحمل شعارات جديدة منها رأس الآلهة "أثينا" مع غصن الزيتون، وتحمل الحروف الثلاثة من اسم المدينة (أثينا) EOA[170].

أمّا اليمن القديم فقد شكّل – بحكم موقعه الاستراتيجي، ومساهمته في التجارة العالمية، وتنوع سلعه – سوقاً للتعامل التجاري مع حضارات العالم القديم، وقد ظهر ذلك جلياً في الحركة الدائبة للتصدير والاستيراد لعهود طويلة .. ولمواجهة مثل هذا الانتعاش التجاري كان لابد من توافر نقد مقبول وموثوق يتم التعامل به .. وأقدم العملات التي عثر عليها في اليمن يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهي عملات أثينية .. ثم قامت الدول اليمنية بسك عملات محلية: نحاسية وفضية، تحمل التأثير الأثيني وبالذات (الدراخما الرباعية)[171].

إنّ دراسة تلك العملات له أهمية عظيمة: فمن خلالها نستطيع أن نتتبع تاريخ الدول والشعوب وتاريخ تطورها الاقتصادي، كما نتعرف من خلالها على مراكز السلطة والصلات التجارية التي كانت قائمة بين تلك الشعوب والحضارات المعاصرة لها .. فالعملات تحمل معها التاريخ والدلالات السياسية. أما من الناحية الفنية فيمكننا تتبع تطور الفنون عبر مراحله التاريخية المختلفة.

كما يجب الإشارة إلى أن وسيلة التعامل بالعملات المعدنية وسرعة انتشارها لم يقض نهائياً على نظام المقايضة، بل نجد أن التعامل بالمقايضة ظهر مجدداً وبالذات في القرن الثالث الميلادي عندما شهد تطوراً على المستوى الدولي، وكان لابد من توفير القوانين التجارية المنظمة له، أما السبب في ذلك فيعود غالباً إلى النقص في العملات المعدنية، كما حدث للتجارة الرومانية عندما أخذت في الذبول والاضمحلال، وانخفضت قيمة عملتها حينها لجأت إلى أسلوب المقايضة[172].

في تلك الفترة يحدثنا كاتب (الطواف Periplus) عن أسلوب المقايضة الذي كان متبعاً بين ملوك (حمير) وملوك حضرموت، فيقول: "... إنّ موظفي ملك (حمير) يستبدلون ما لديهم من: ملابس، وأقمشة، وحبوب القمح، وزيت السمسم بلبان البخور

الـذي كـان يـتوافر بشكل أكوام ممتدة على طول منطقة مترامية الأطراف؛خالية من الحراسـة بميـنـاء (موشا)، كما لو كان المكان متروكاً لحماية الآلهة .. حيث لا يمكن بالعلـن ولا بالسر، ولا بالاختلاس تعبئة وشحن السفن دون أخذ إذن من الملك، أما إذا حدث ونزلت كميات القمح بدون أذن الملك؛فإنَّه لا يمكن للسفن مغادرة المرفأ"[173].

- وصف لنماذج من العملات التي عثر عليها في اليمن:

1 - عملات إغريقية:

انظر شكل رقم (5):-

(أ) درخم أثيني نمط قديم من الفضة:

الوجه الأول: يحمل رأس الآلهة " أثينا " وعليها خوذة متوجة بشعار على اليمين.

الوجـه الثاني: يحمل مربعاً نشاهد داخله بومة واقفة على اليمين، خلفها غصن زيتون وهـلال وفـي اليمـين من ذلك نجد الأحرف (AQE) وهي الحروف الأولى من اسم الدولـة الأثينـية، الوزن 16.90جرام، ويعود تاريخ هذه العملة إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

(ب): درخم أثيني نمط جديد:-

أحـد الوجـوه يحمـل صورة بومة مواجه لإمفوار (قنينة من الفخار)، وهما معاً محـاطون بإكلـيل زهـور إلى اليسار وفي اليمين نجد الأحرف الأولى للدولة الأثينية (AQE)، الـوزن 16.18جـرام، ويعود تاريخ هذه العملة إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد.

شكل رقم (5)







ب أ

2- عملات يمنية قديمة من الفضة ذات تأثير أثيني:

أقـدم العملات التي عثر عليها في اليمن عملات فضية تحمل الطابع الأثيني القديم في القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً[174] فالرسومات - كمـا أشـرنا سالفاً - سكت في القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً، إلا أن ما يميزها أنها المنقوشـة علـى وجهـي العملة، من وحي العملات الإغريقية، إلا أن ما يميزها أنها أصـغر حجماً، وتحمل اسماً أو نعتاً، أو رمزاً كتب بخط المسند، أما قبل ذلك فقد عثر على عملات أثينية قديمة، يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد[175].انظر شكل رقم (6)

(أ):- (سبأ):
الوجه الأول: يحمل صورة الربة " أثينا " وعليها خوذة على اليمين، وعلى الخد علامة الحرف (ن).
الوجه الثاني: يحمل صورة بومة واقفة، وعلى اليمين شعار الدولة الأثينية (AQE)، وهـلال القمـر مع غصن الزيتون، ونجد أحرف الكلمة (ح م ر)، وفي الأسفل نجد الاسـم (ش ح ر) على شكل مونجرام، جميعاً واقعين داخل مربع، الوزن 5.40جرام، يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

(ب):- (سبأ):
أحـد الوجوه يحمل صورة بومة واقفة، وآثار غصن زيتون، وهلال في الخلفية، وإلى اليمين الأحرف (AQE)، والحروف الأولى من (ح م ر) على شكل مونجرام ، الوزن 5.40 جرام، يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

(ج):- (قتبان):
أحـد الوجوه يحمل صورة بومة واقفة على اليمين وعلى اليسار، الأحرف (ي ن ف) وفـي الأعلى نقوش بالخط اللحياني للاسم (ش هـ ر/ هـ ل ل)، وعلى اليمين رمـز الدولة الاثينية (AQE) ورموز أخرى الوزن 5.40 جرام يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

(د):- (قتبان):
الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل.
الوجـه الثاني: منقوش عليه رأس رجل ملتح، شعره ملفوف إلى الخلف، وفي الجزء الأيسـر الأحرف (ش+؟) على شكل "مونجرام"، وفي الأسفل اسم دار الضرب (ح ر ب)، الوزن 1.69جرام، القرن الأول قبل الميلاد والأول بعده.

(هـ):- (قتبان):
الوجـه الأول: منقوش عليه رأس رجل عربي محاط بإكليل زهور، الشعر على شكل خصلات.
الوجـه الثانـي: مـنقوش عليه بومة واقفة على يمين الأمفورة (قنينة فخارية) بدون مقابض، ورمز الدولة الأثينية(AQE)، إلى اليسار "مونجرام" أحرف من خط المسند متشابكة وهي الأحرف (ي ن ف)، إلى الأعلى نقوش باللحيانية لاسم (ش هـ ر/ هـ ل ل)، الوزن 5.50جرام، القرن الأول بعد الميلاد.

(و):- (سبأ):
الوجه الثاني: رسم عليه بومة واقفة محاطة ببرواز، وفي اليسار "منجرام" للاسم (ي ن ف) بالمسند، الوزن 5.37جرام، القرن الأول قبل الميلاد.

(ز):- (سبأ):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل عربي ؛ ذو شعر مصفف على شكل خصلات، وجملة هذا المنقوش واقع داخل إطار منقط يقطعه في الأعلى صورتا القمر والهلال، وفي اليسار نجد رموزا لأشياء أخرى.

الوجه الثاني: مرسوم عليه "مونجرام" مع قرون الظبي داخل لطار منقط يقطعها في الأعلى القمر والهلال، وإلى اليسار هناك "منجرام" لكلمة (هـ ر م)، وإلى اليمين رمز الإله (المقة)، الوزن 03,00 جرام لأواخر القرن الأول الميلادي.

(ح):- (حمير)

الوجه الأول: نقش عليه رأس رجل عربي، شعره مصفف على شكل خصلات، وهو واقع داخل هيكل مرسوم لثعبان.

الوجه الثاني: منقوش عليه رأس رجل مشابه للوجه الأول ولكنه أصغر، وإلى اليسار نجد "منجرام" للاسم (ي ن ف) والى اليمين رمز لشيء ما، وإلى الأعلى اسم الملك الحميري (ع م د/ب ي ن)، نحت اسم دار الضرب (ر ي د ن) ريدان في الأسفل، الوزن 1.40جرام، القرن الثالث الميلادي.

(شكل 6)عملات يمنية قديمة ذات تأثير أثيني



3: عملات يمنية ذات طابع محلي صرف:

أ. عملات حضرمية برونزية:[176] (انظر شكل 7):-

(أ) :

الوجـــه الأول: نقـــش عليه رجل متجه صوب اليمين، وإلى اليسار كتب الحرف (م)، والــى اليمين الأحرف (س ي ن) المكونة لأسم الإله الوطني لدولة حضرموت، الكل والعون داخل إطار.

الوجــه الثاني: منقوش عليه نسر واقف ناشر جناحيه باتجاه اليمين، وأمام النسر نجد كلمــه (ي ش هـــــ)، إلــى اليســار نجــد كلمة (ش ق ر) وهي اسم القصر الملكي لحضــرموت فـــي شــبوة، وتـــاريخ هذه يعود إلى القرن الثالث وبداية القرن الرابع المــيلادي، وهي عملة كبيرة الحجم يبلغ قطرها 5.1 سم. وهناك نماذج من هذا النوع في المتحف البريطاني تحت رقم (MN23).

(ب) :

الوجه الأول: نقشت عليه كلمة (ش ق ر) داخل إطار مربع.

الوجه الثاني: نقش عليه ثور (رمز إلهي)، وفي الأعلى نجد (س ي ن) المكونة لاسم الإلــه (ســين) المعروف، وفي الجنب نجد كلمة (ش ق ر) وهي اسم القصر الملكي المشهور، القطر 1سم ، 2سم .

(ج):

الوجـــه الأول: مـــنقوش عليه رأس شخص متوج واقع داخل دائرة، وهو مستدير نحو اليمين.

الوجـــه الثاني: رسم عليه خط على جانبه سعفتين، يعلوه قرص وهلال، لعل المقصود بـــه رأس ثـــور، وعلى الجهة اليمنى نجد كلمة (ش ق ر)، وعلى الجهة اليسرى رمز (مونجرام) لكلمة (س ي ن).

(د):

الوجه الأول: نقش عليه رأس ثور وأحرف كلمة (س ي ن)، فأما الحرف (س) فواقع بين قرني الثور، والحرف (ي) من يمينه والحرف (ن) من يساره.

الوجه الثاني: نقشت عليه أحرف كلمة (ش ق ر) وسطا.

(هـ):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل متوج ؛ مستدير نحو اليمين.

الوجه الثاني: نقش عليه ثور، وفي الأعلى نجد كلمة (ش ق ر).

(و):

الوجـــه الأول: مـــنقوش علـــيه رأس بشري ؛ مستديراً نحو اليمين، وفي اليسار هناك "مونجرام" للأحرف (ي ن).

الوجـه الثاني: نقش عليه ثور في الأعلى نجد كلمة (ش ق ر)، وعلى يمينه مونجرام لكلمة (س ي ن)، وكل ذلك منتظم داخل إطار دائري.

(ز):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل متوّج مستدير بوجهه نحو اليمين.

الوجه الثاني: راس ثور وعلى اليمين نجد كلمة (ش ق ر) داخل إطار دائري.

عملات يمنية ذات طابع محلي

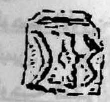
أ- عملات حضرمية برونزية (شكل 7)





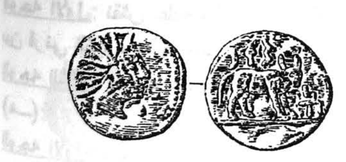
أ　　　　ب



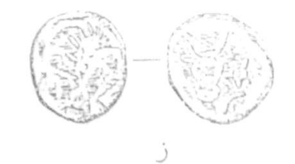



ج　　　　د





هـ　　　　و



ز

ب - عملات قتبانية:[177]

في القرن الثاني قبل الميلاد سكّت دولة قتبان نقوداً فضية تحمل اسم دار الضرب (ح ر ب)، وأظهـــر مـــا يميزها هو أنها تحمل رأس رجل عربي على كلا الوجهين للعملة، وهناك عملات قتبانية أخرى سكت في عهد ملكين من ملوك قتبان هما: (شهر هـــلال) و (ورو إل غيلان) تحمل تلك العملات شكل "مونجرام" مميز جميل .. ومن العملات القتبانية ما كانت ملامحه تقوم على نحو ما هو آت على سبيل المثال:-

شكل (1):-

الوجه الأول: نقش عليه رأس رجل مجعد الشعر حوله إطار من النقط.

الوجـــه الثانـــي: نقش عليه رأس رجل ملتح، وشعره ملفوف إلى الخلف وفي اليسار هـــناك الحرف (ش)، وعلى اليمين "منجرام" لحرفين متشابكين، أما في الأسفل فنرى الكلمة (ح ر ب) اسم القصر الملكي لقتبان، ويرجح أنّ هذه العملة إنما تعود إلى القرن الأول قبل أو بعد الميلاد.

وكان العثور على هذه العملة قد تم في موقع البريرة بوادي جردان بدولة حضرموت .

ج- عملات فضية وبرونزية سبئية - حميرية:-

تحمل العملات السبئية – الحميرية اسم دار الضرب (ر ي د ن) أي (ريدان) وهو القصـــر الملكي بـــ (ظفار) العاصمة الحميرية. ويعود تاريخ تلك العملات إلى عهود ملـــوك سـبأ وذي ريدان، إبان القرن الثاني ونهاية القرن الثالث الميلادي، وعلى هذا فهي تحمل أسماء عدد من ملوك سبأ وذي ريدان، ناهيك عمّا اتسمت به من تشابه أو تمـــاثل، ومـــا تحمله من "مونجرام" للنعت (وتر)، (انظر شكل 8) كما توضح ذلك أشكال نماذجها على نحو ما هو آتٍ:-

(أ):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس لرجل شعره مصفف على شكل خصلات داخل إطار، وهناك على الجهة اليسرى يوجد "مونجرام" ماثل للعيان.

الوجه الثاني: منقوش عليه رأس رجل عربي مشابه للرأس الأول إلا أنّه أصغر منه، وإلى اليسار هناك "مونجرام" للحروف (ي ن ف)، وإلى الأعلى نرى اسم الملك (ع م د ن / ب ي ن) عمد بيِّن، وفي الأسفل نجد اسم دار الضرب (ر ي د ن)، وتاريخ هذه العملة إنّما يعود إلى القرن الثالث الميلادي.

(ب):

الوجه الأول: يحمل رأس رجل بضفائر محاط بإطار من النقط، وفي الجهة اليسرى "مونجرام" لكلمة (وتر) اللقب الملكي الشائع عند اليمنيين الأقدمين.

الوجه الثاني: يحمل رأس رجل شبيه بالرأس المسكوك على الوجه الأول، إلا أنه أصغر منه بعض الشيء، وهناك في الأعلى نصادف اسم الملك الحميري (كرب إل يهنعم)، وفي الأسفل نجد كلمة (ر ي د ن).

(ج):

الوجه الأول: يحمل رأس رجل محاط بدائرة من النقط، وفي الجهة اليسرى "مونجرام".

الوجه الثاني: يحمل رأس رجل بضفائر، وفي الأعلى نرى اسم الملك الحميري (ثاران يعب)، وفي الأسفل نجد الاسم (ر ي د ن).

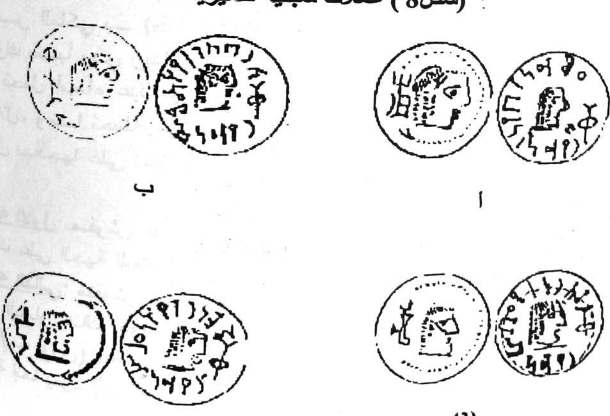
(د):

الوجه الأول: يحمل رأس رجل محاط بنقط، وهناك "منجرام" في الجهة اليسرى.

الوجه الثاني: يحمل أيضاً رأس رجل، وإلى الأعلى منه نرى اسم الملك الحميري (شمر يهنعم)، وهناك في الأسفل تراعيك كلمة (ر ي د ن). وتاريخ هذه العملة إنما يرجع إلى القرن الثالث لميلاد يسوع عليه السلام.

ومن مظاهر تنوع أو اختلاف النقود اليمنية القديمة، أن هناك عملات حميرية تحمل الاسم (ريدان) فقط، إذ هي تخلو من ذكر لاسم هذا الملك الحميري أو ذاك، وفي بعض الأحيان نصادف فقط نعت الملك مجرداً،مثل: (يعب)، أو (يهنعم)،أو ما إلى ذلك.

(شكل8) عملات سبئية حميرية



4- عملات ذهبية رومانية وأخرى أكسومية:.

فــي عام (1986) عثر على مجموعة كبيرة من العملات الذهبية، في موقع يدعى (المضــاربة) يقــع على بعد حوالي (60كم) شمال غرب مدينة (عدن)، بلغ عدد تلك القطــع النقدية ألف ومائة وأربعة وتسعون قطعة (1194) ذهبية، منها ثلاثمائة وستة وعشرون (326) رومانية، والباقي أكسومية.

فــالعملات الأكســومية يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من حكم النجاشي (عيزانا Ezana)، (320-360) حــتى عهد النجاشي (كالب Kaleb)(517-543). والملاحظ أنّ تلك العملات في أغلبها تحمل أسماء عدد من ملوك الحبشة.

أمّــا العمــلات الرومانــية فيعود تاريخها إلى عهد الإمبراطور (كونستنس الثاني Constanc II)، المعاصــر لنجاشــي الحبشــة (عــيزانا) وأخرى ضربت في عهد الإمبراطور (ثيودوس الثاني Theodose II) (430-439) .. إنّ وجود مثل ذلك الكمّ مــن العمــلات الأكسومية والرومانية، لدليل قاطع على عمق الصلات التجارية، التي كانت قائمة بين اليمن وأكسوم من جانب، واليمن وروما من جانب آخر. [174]

مــن خــلال استعراضــنا لنماذج من العملات اليمنية القديمة الفضية والبرونزية والذهبــية، نســتطيع أنْ نرســم صورة تقريبية للحالة التجارية لليمن القديم، والوضع الاقتصــاديّ بشكل عام، فنتائج تلك الدراسة تمثّل دون شك مصدراً هاماً من مصادر التاريخ والفنّ عند قدماء اليمنيين.

ومــن الملاحــظ أنّ العملات اليمنية الأكثر قدما هي تلك التي تحمل التأثير الأثيني القديــم، ولا غــرابة فــي ذلــك؛لأن النقد الإغريقي كان بمثابة العملة الدولية آنذاك، فانتشارها الواسع وقبولها لدى كثير من شعوب الحضارات القديمة جعلها تتبوأ مركز الصــدارة الأول بيــن عملات العالم؛لأنها تحمل في ذاتها قيمتها الاقتصادية المعتبرة عالمــياً ؛ كونهــا مسبوكة من الذهب الخالص أو الفضة، لهذا كانت تلك العملات - بالــرغم مــن التأثــير الأثينــي الواضح عليها - قد سكّت محليا في القصور الملكية للعواصــم اليمنــية، فكان الملوك اليمنيون يحرصون على تسجيل: أسمائهم، وألقابهم، ودار الضرب (القصر الملكي) مكتوبة بحروف المسند، وأحيانا كانت تنقش على شكل "منجرام" جميل، كما أنهم لم يغفلوا وضع الرمز الإلهي عليها كرمز إله القمر: (النسر أو الــثور أو الهــلال ...)، ولم يكن انتشار تلك العملات محصوراً في مناطقها ؛ بل عــثر على عملات حميرية في حضرموت، وأخرى سبئية في حمير، وهذا دليل على تداولهــا محلــيا، حيــث استخدمت للتجارة الخارجية أكثر من استخدامها في التبادل المحلــيّ .. وإلى جانب تلك العملات عثر على عملات أجنبية: أغريقية، ورومانية، وأكســومية .. وهذا - دليل لا يقبل الشك - على اتساع العلاقات الاقتصادية الدولية، والنشاط التجاري الفعّال الذي أسهمت فيه عالميا دويلات اليمن القديم.

وكان سك العملات قد توقف في اليمن القديم بحوالي عام 300م تقريبا، فمنذ هذا التاريخ لم يعثر على أيّ أثر للعملة اليمنية القديمة، ويعود ذلك إلى الاضمحلال العام الذي أصيبت به التجارة الدولية، وتناقص حركة البيع الشراء، فكانت مرحلة عاشت فيها الإمبراطورية الرومانية حالة من الضعف والهوان في تجارتها الدولية، وانخفضت قيمة عملتها، وعانت أسواقها الكساد والشلل الاقتصادي عموماً .. فالضعف إذن إنما ساد العالم بشكل عام آنذاك، ولم يأتِ القرن الرابع الميلادي إلا والتجارة اليمنية هي الأخرى تعاني من الانهيار ونكوص حركة الاقتصاد الوطني.

سابعا: المنشآت التجارية (الأسواق):

هناك مجموعة من المنشآت التجارية: كالأسواق، والوكالات، والحانات التي تخدم التجارة .. لكن مصادرنا الموثقة لتلك المنشآت في اليمن القديم شحيحة للغاية، إذ هي لا تتجاوز بعض الإشارات عن الأسواق التجارية ونشاطها القديم.

الأسواق: تعد الأسواق- دون شك -من أقدم أشكال النظم التجارية وأعرقها، فهناك أسواق محلية ثابتة تتم فيها التجارة طيلة العام، وتنتشر أساسا في المدن والقرى والمستوطنات على السواء؛حيث الاستقرار والإقامة، وهناك الأسواق الموسمية التي تنشط في مواسم معينة معروفة لدى التجار وعامة الناس، فإذا ما انتهى الموسم رفعت تلك السوق ليبدأ موسم آخر في سوق أخرى، ونوع من الأسواق هو الأسواق السنوية، التي اشتهرت بها بعض المدن، وتكون مرافقة – في الغالب – بمواسم دينية كالحج مثلا.

يرتاد الناس تلك الأسواق في مختلف مواسمها، وقد يأتون إليها من أماكن بعيدة طلبا أو ترويحا، فلم تعد تلك الأسواق تجارية فحسب، بل غدت منتديات أدبيّة واجتماعيّة وثقافية فعّالة .. وقد استغل كثير من المبشرين تلك الأسواق لنشر دياناتهم بين القبائل والوافدين إليها.

ولا ريب في أنّ هناك جملة من العوامل التي ساهمت – بشكل فعّال – في إنشاء مثل تلك الأسواق عند قدماء اليمنيين، منها:-

1- أسواق أقيمت على الطرق التجاري البري: على طول تلك الطرق أقيمت العديد من المحطات الأوليّة التي تحولت مع مرور الزمن إلى مراكز حضارية هامة، ومن ثم إلى عواصم الدويلات، وقد رافق ازدهارها التجاري انتعاش لأسواقها الداخلية الدائمة، مثل سوق شبوة، وسوق تمنع (شمر)، وسوق مأرب، وسوق صنعاء ، وأسواق براقش، ومعين، ونجران، وظفار (حمير).

وقد حرصت الحكومات في اليمن القديم على توفير الحماية والأمن لتلك الأسواق، فسنّوا القوانين والتشريعات لضبطها، والإشراف عليها، ومعاقبة كل من يخل بنظامها .. وكان قانون سوق تمنع المسماة (شمر) هو خير دليل على ذلك ... فالأمن شرط أساسي من شروط انتظام أمور التجارة في تلك الأسواق[179].

2- الموانئ: تمثل الموانئ أسواقا حيوية للغاية، فدائما ما تدب فيها حركة تجارية كبيرة أثناء رسو السفن - القادمة من مناطق بعيدة - على أرصفتها وهي محملة بالسلع النفيسة المتنوعة ... وقد وصف لنا تقرير (الطواف The Periplus) تلك الموانئ: الأسواق وما كان لها من انتعاش تجاري عظيم في القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي تقريبا[180].

وعن ميناء موزع يقول: "هناك مكان يدعى (موزا Muza) عبارة عن سوق تجارية أقيمت بمقتضى قانون محلي ... فالمكان مزدحم بملاك السفن العربية، وتجار البحار في شغل شاغل بشؤونهم التجارية فهم يقومون في تلك السوق بالتبادل التجاري مع أهل القرن الأفريقي عبر البحر، ويرسلون بسفنهم الى (بارجازا Baruggaza) ..."ويضيف" أمّا السلع التجارية المستوردة اليها (يقصد موزع) فتشمل: الملابس الأرجوانية ذات الأكمام البسيطة والمنسقة والمحبوكة والمنسوجة، والعباءات، والبطانيات بكميات قليلة ... وكثير من صنوف شاش الأخضاب الملون، والعطور، والمراهم بكميات كبيرة، وأيضا بعض أنواع القمح والخمور بكميات قليلة، والحبوب والأحصنة، والبغال، والأواني المصنوعة من الذهب والفضة اللامعة، وبعض الملابس المنسوجة، والأواني النحاسية للملك. أما صادراتهم فهي: المر النقي، والميعة: بخور المعينيين والقتبانيين"[181].

وعن سوق (عدن) يقول: "منطقة (Eudaeman) قرية تقع على الساحل، تابعة لملك حمير (كرب إل)، تشتهر بصناعة الحلويات والقشدة، التي تمتاز بحسن جودتها عن بقية الأماكن ...". ويضيف:" لقد كانت (Eudaeman) يقصد (عدن) مزدهرة تشبه الإسكندرية في الوقت الحاضر (يقصد القرن الأول الميلادي).[182]

وعن سوق (قنا) يقول:" وهناك سوق تجارية أخرى على محاذاة الشاطئ تدعى (قنا Cana) تابعة لمملكة (ايلازوس Eleazus) - يقصد إل عز يلط - مدينة اللبان والبخور ... وهذا المكان يتمتع بالتجارة مع الجهات المقابلة والبعيدة، ومع موانئ البحر الأحمر، مع كل من: (بارجزا Barugaza)و(سيثيا Scythia)، و (عمان Ommana)، ومع كل الشواطئ المجاورة لإيران[183].

وفي المصادر الإسلامية ورد حديث مطوّل عن بعض الأسواق في اليمن، وبالذات في العهد الإسلامي، والتي هي - بدون شك - امتداد للأسواق القديمة، وأبرز هذه الأسواق:

1- سوق الشّحر (المهرة):[184]

يحدثنا (ابن حبيب) عن سوق الشّحر بأنّها سوق موسمية، موعد قيامها منتصف شهر شعبان، تتصف بوعورة مسالكها، ولا تخلو من المخاطر، فالقاصد إليها يحتاج إلى حراسة تحميه من اللصوص في سوق لم تكن لتفرض على بضائعها أيّة عشور

لأنهـا بأرض بلا مملكة. [185] وكان أشهر ما يباع فيها: البز، والأدم، والندر، والمر، والصبر، والخرز، والبرود، والدخن[186].

2- سوق عدن:

بعـد أن ينفض الناس من سوق الشّحر يتجهون إلى سوق عدن، التي تبدأ من أول رمضان وحتى العاشر منه. أشهر سلعها: العطور الفاخرة؛التي كان لها شهرة في الهند والسـند، وكذلـك الـبرود والأدم. وتمـتاز سوق عدن بالأمن، فالتجار يطمئنون إلى تجارتهم فيها؛لأنها تقع في أرض مملكة حيث تتقاضى منها عشوراً مقابل حمايتها لها، فكان القائمون بالأمر فيها يتسلمون العشر من التجار. [187]

3- سوق صنعاء:-

بعـد أن يـنفض الناس من سوق عدن، في العاشر من رمضان، يتابعون رحلتهم فيصـلون إلـى صنعاء، وفيها يقيمون موسمهم الذي يبدأ من منتصف شهر رمضان وحـتى آخـره.[188] وأهـم السلع التي كانت تباع في سوق صنعاء: الأدم، البرود، الزعفران، الأصباغ، الخرز، القطن ...[189].

4- سوق الرّابية بحضرموت:-

كان موضع هذه السوق في رابية حضرموت، ولذلك عرفت بسوق الرّابية، وكان موسم نشاطها يجري في الوقت عينه الذي يجري فيه مهرجان سوق عكاظ، وذلك من ناصـفة شـهر ذي القعدة حتى نهايته .. وبسبب تزامن انعقادها السوقين في آنٍ واحد معاً؛كان رواد سوق الرّابية قلّة قليلة، فلم يكن ليرتادها عندئذٍ إلاّ من كان يقيم بأرضها، أو يعـيش حولهـا وبإزائهـا ... ولـم تكـن هـذه السوق لتنعم بالأمن والاطمئنان الكافيين؛لأنها ليست أرضا لأية مملكة، ولا هي من حمى سلطة بعينها ..[190].

ثامناً: الأطماع الدولية وعوامل انهيار التجارة اليمنية:

شـكّلت التجارة العالمية لليمن القديم ؛ دافعًا للكتّاب الكلاسيكيين إلى رسم صورة بـرّاقة امتزجت فيها الحقيقة بالخيال..! فقد أشاروا إلى الغنى الخارق وحياة الرفاهية التـي كان يعيشها السبئيون، ذلك الغنى الناتج عن الأثمان الغالية لسلعتي اللبان والمر (الـبخور)، التي كانوا يتقاضونها من أسواق البحر الأبيض المتوسط، فذاك سترابو قد كتب يقول: "إنّ السبئيين قد جمعوا ثروات طائلة من المتاجرة بالطيوب، فاقتنوا أواني مطبخية من الذهب والفضة، ومزهريات وأكواب كبيرة ذات إغطية.. وكانت مساكنهم فـي غايـة الفخامة والروعة، وأبوابها وجدرانها وسقوفها مطعّمة بالفسيفساء الذهبية والفضـية والعاجـية، والمزيّنة بالأحجار الكريمة .."[191] ويؤكد ذلك (بليني) بقوله: "الـبخور السـلعة الثميـنة التـي أدّت عوائدهـا الجمة إلى رخاء سكان شعوب تلك الحضـارات" – يقصد بذلك حضارة اليمن القديم – ثمّ يضيف قائلا: "دعونا نضع في لحساب العدد الكبير من الجنائز التي تشيّد كل عام في جميع أنحاء العالم، وكذلك تلك الأكـوام الزكية الرائحة التي تحرق على شرف أجساد الموتى .. إنّ ذلك يعد من رفاهية

الإنسان التي يتباهى بها عند الموت". ويشير إلى أنّ "الموطن الرئيس لتلك السلعة هي بلاد العرب السعيدة "[192].

وفي فقرة أخرى من كتابه يتحدث مغتاضًا: ومن الغرابة أن نقول: إنّ نصف هذه القبائل (العربية) التي تفوق الحصر تشتغل بالتجارة أو تعيش على النهب وقطع الطرق .. والعــرب أغنى أمم العالم.التدفق الثروة من روما وبارثيا (فارس) إليهم، وتكديسها بيــن أيديهم، فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر، ومن غاباتهم، ولا يشترون شيئًا مقابل ذلك"[193].

تلك الصورة البرّاقة، وذلك السخط الواضح – الذي عبّر عنه (بليني) في كتاباته – إنما ولدا – أحلامًا وطموحات شغلت بال أبرز قادة الإمبراطوريات الكبرى لذلك، فقد كان (الإسكندر المقدوني) أول من حاول، تجسيد تلك الأحلام وتحقيق تلك الطموحات، فبعد احتلاله لمصرَ في العشرينات من القرن الرابع قبل الميلاد؛ أرسل بعثة استكشافية انطلقــت من البحر الأحمر لتطوف حول شبه الجزيرة العربية، وأتبعها بعثات أخرى من مصب نهر الفرات والخليج العربي حتى مصرَ، ولكن تلك البعثات لم تحقق أهدافها المرجوة، إذ عادت قبل أن تدور حول (عُمان) حينما مات الإسكندر، ومات مشروعه الكبير..! وفي ذلك الحدث يقول المسعودي: "إنّ التجارة الشرقية كانت من أهم حوافز الإســكندر علــى غزواته التاريخية..." ثم يضيف: "في هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف (بسقطرى) إليها ينسب الصّبر السقطري، ولا يوجد إلا فيها، ولا يحمل إلا منها. وكان (أسطاطاليس بن نقوماقس) قد كتب إلى الإسكندر – حين سار إلى الهند – فــي أمر هذه الجزيرة يوصيه بها، وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين – أكثرهم من مدينة (أرسطاطاليس) – في مراكب وصلوا حتى بحر القلزم،فغلبوا على من كان بها من الهنود، وملكوا الجزيرة .[194]

لقــد فشــل مشروع الإسكندر، ولم يكن لخلفائه ما كان لزعيمهم من عزم،فتركوا المشــروع ولــم يتحمسوا له [195]. وعلى الرغم من عدم نجاح تلك البعثات إلا أنها – ولأول مرة – جعلت عالم البحر الأبيض يحصل على معلومات دقيقة عن جنوب شبه الجزيرة العربية.

أمــا خلفاء الإسكندر: (البطالمة Ptolemies) حكام مصر،فقد حاولوا اتخاذ المزيد من الخطوات في هذا الإتجاه، ففي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد (269 ق. م) قام (بطليموس الثاني فيلاد لفوس) بشق (قناة بطليموس) كما كلف أحد المقربين منه يُدعى (ارستون Ariston) بوضع دراسة للساحل الغربي حتى عدن [196].

لقــد وفق البطالمة – بفضل جهودهم الدؤوبة – حينما تمكنوا من مدّ نشاطهم إلى الــبحر الأحمــر، ووصــلوا إلى الشواطئ الشمالية للصومال وعدن، وشحنوا سفنهم بالبضــائع الهندية التي جلبها التجار اليمنيون والهنود، وشيئًا-فشيئًا أخذت القرصنة في

البحر الأحمر تبرز اهما دعم بالبطالمة بتنظيم نوع خاص من سفن الحراسه ووضع حد للقرصنة. بعدها أصبحوا محتكرين للبحر الأحمر . [197]

لم يتأثر اليمنيون وحدهم بسيطرة البطالمة على البحر الأحمر بل تأثر بها الأنباط أيضاً.. فقد حرموا من موارد رزقهم التي كانوا يحصلون عليها من الاتجار بالبحر، بعد أن وصلت سفن البطالمة التجارية والحربية – التي تحرسها – إلى موانئ البحر الأحمر الشهيرة، فتشتري ما تحتاج إليه وتبيع ما تحمله من سلع . [198]

في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد (115– 166 ق. م) وجهت ضربة للسيطرة اليمنية على الملاحة البحرية في المحيط الهندي، بعد أن تمكن البحار اليوناني (هيبالوس) من اكتشاف وسيلة لتنظيم رحلات بحرية مباشرة إلى الهند تنطلق من البحر الأحمر عند باب المندب، حين تكون الرياح الجنوبية الغربية مواتية للهبوب، وتعود مع هبوب الرياح الشمالية – الشرقية..! ومنذ ذلك الحين أخذ الإغريق يقومون برحلات منتظمة إلى الهند، ووصلوا إلى شواطئ حضرموت.. وبعد احتلال روما لمصر وسوريا في القرن الأول قبل الميلاد قامت باتخاذ الخطوات اللازمة لفرض سيطرتها على التجارة الشرقية، ونشطت الملاحة البحرية، وفرض الرومان الضرائب، وأنشئوا العديد من المراكز للمراقبة على طول الطرق التجارية الواقعة تحت نفوذهم البحرية منها والبرية . [199]

لم يكتف الرومان بتلك النجاحات التي حققوها على مستوى الملاحة البحرية، بل كانت أطماعهم أكبر من ذلك، فهم مازالوا يدفعون بالأموال للبضائع التي يحصلون عليها، بالذات منتجات اليمن القديم (المر واللبان) وكان لابد من التفكير في وسيلة للسيطرة على أرض اللبان، ولحتكار الطريق البرية التي بقيت تحت قبضة اليمنيين، قبل أن يسبقهم إلى ذلك منافسهم التاريخي (فارس)، وكلف (أوغسطس) إمبراطور روما حاكم مصر (جاليوس) بتنفيذ حملة للسيطرة على أرض جنوب شبه الجزيرة العربية، كان ذلك في عام 24 ق. م، فكان أن انطلق جنود الحملة من الشواطئ المصرية، قادمين عبر أرض الأنباط، حيث اجتازوا ارض شبه الجزيرة العربية مشيًا على الأقدام، وهي أرض صحراوية وعرة، أي أنهم قطعوا خلال هذه الرحلة البرية حوالي (1500كم) إلى أن وصلوا إلى أرض الدولة السبئية وبالذات مأرب، حيث حاصروها لعدة أيام، ألا أنّ تلك الحملة باءت بالفشل الذريع، فعادت الحملة أدراجها بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في المعدات والأرواح.. إنّ هزيمة كهذه ليست هينة على سمعة إمبراطورية عظمى كالإمبراطورية الرومانية. فكل ما استفاد منه الرومان آنذاك بعض المعلومات عن موقع أرض اللبان . [200]

في عام (225م) حلت الأسرة الساسانية في إيران، وفي عام (330م) أصبحت القسطنطينية عاصمة للإمبراطورية الرومانية بدلاً من روما .. فكان لتلك المتغيرات الدولية انعكاساتها الخطيرة ؛ إذ زادت حدة الصراع بين الإمبراطوريتين: الفارسية والبيزنطينية، وتأرجح الصراع الديني بين المزدريين والمسيحيين، في الوقت نفسه

كــان اليمنيون يشكلون وحدة سياسية لكل اليمن القديم، وعلى الجانب الآخر من البحر الأحمر ؛ كانت أكسوم في الحبشة تزداد قوة ونفوذا ."(201)

عــاود البيزنطــيون التفكير بحلم أجدادهم القديم؛وهو السيطرة على البحر الأحمر ومــنافذه، وبســط أيديهم على جنوب شبه الجزيرة العربية (أرض اللبان)، وكان مما استفادوه ممن سبقهم من الرومان في هذا المنحى: أنّ القوة العسكرية ليست مجدية في كــلّ المواقف، فلم يكن أمامهم حينئذٍ إلا اللجوء إلى الأسلوب الدبلوماسي لتحقيق تلك الغايــة، فدخلت بيزنطة في تحالفات مع الأحباش ؛ الذين اعتنقوا الديانة المسيحية منذ عــام (330م)، [202] وأصبحوا أخوة في الدين، فالمصلحة واحدة، خاصة إذا استرجعنا ذاكرتنا قليلاً نجد أن أطماع الأحباش في اليمن ليست وليدة القرن السادس الميلادي ؛ بل لها تاريخ طويل منذ القرون الأولى للميلاد.

كما أنّ محاولات الرومان الدبلوماسية لم تهدأ في كسب ود الحميريين، وإذا تم لها ذلــك تكون قد فوّتت الفرصة على الفرس الذين كانوا يسعون لتحقيق تلك الغاية عنها .. وقــد أشار مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) إلى المحاولة الرومانية بقوله: "هناك العاصمة (ظفار Saphar) التي يقطنها الملك (كرب إل Charibael) الذي كان حاكمــا علــى كل القبائل الحميرية (Howerites)، وعلى كل من كان يجاورهم من القبائل السبئية، ومن خلال الرسل والعطايا والمبعوثين كان صديقاً للأباطرة"[203].

في عام (354م) تقريبا أرسل الأمبراطور (قسطنطين) أول بعثة تبشيرية مسيحية - برئاســة (ثيوفــيلوس Theophilus) - إلــى اليمــن، وكانت البداية لنشر الديانة النصرانية، فانتشرت الكنائس في كثير من المدن اليمنية .. أما الأحباش فلم ييأسوا من تكرار محاولتهم بالتوغّل في الأراضي اليمنية مع أيّ فرصة سانحة، فعادوا إلى اليمن من جديد بحجة التبشير بالديانة النصرانية وحمايتها، فكان هذا هو الهدف الشكلي، أما الهــدف الجوهــري فكان تحقيق الحلم الحبشي القديم باحتلال اليمن، وحماية مصالح حلفائهم الروم أمام خصومهم الفرس[204].

وفي عام (525م) سيّر (الأصبحا) ملك أكسوم - بعد استعدادات كبيرة ودعم مادي بيزنطــي كبير - حملته الشهيرة على اليمن، انطلقت من (ادوليس) عبر البحر الأحمر، وقــد حــاول اليمنــيون مقاومة ذلك الغزو، لكن عدم التكافؤ بين القوتين كان السبب المباشــر لهزيمة ملك حمير. في الوقت ذاته نجده يفشل في جمع كلمة اليمنيين، فهزم وتمكــن الأحــباش من السيطرة على اليمن، بذلك النصر الذي حققوه، وعندئذٍ تحقق هــدف بيزنطة؛فأصــبح البحر الأحمر ومنافذه والطريق البرية الغربية تحت نفوذهم، بذلــك يكــون قــد تحقق لهم نصر كبير على عدوهم التاريخي (الفرس) .. ولم ينته الصــراع الفارســي - البيزنطي عند ذلك الحد ؛ فبعد ثلاثين عاماً من حكم الأحباش لليمــن: تدهــورت الأوضاع الاقتصادية في اليمن وانهارت التجارة .. وكان الفرس يراقبون الأحداث من بعد ويترقبون الفرصة المواتية للسيطرة على اليمن، حتى تحقق

لهـم ذلك، عندما لجأ أحد زعماء اليمن (سيف بن ذي يزن) إلى الفرس لطلب النجدة منهم ضد الأحباش[205].

وجـد الفــرس في ذلك الطلب فرصة ثمينة ليتسنى لهم التخلص من نفوذ أعدائهم الــروم فـــي جـنوب شبه الجزيرة العربية، وبمساعدة الفرس استطاع اليمنيون بقيادة (سيف بن ذي يزن) من القضاء على الأحباش، وتولى ابن ذي يزن زمام أمور اليمن مدة قصيرة، وبعدها قتل من دون أن يعرف من كان القاتل هل هم الأحباش؟ أم الفرس ؟ بعــد مــوت (ســيف) عززّت الحامية الفارسية وجودها في اليمن .. فما أن تنفس اليمنيون الصعداء من حكم الأحباش حتى وجدوا أنفسهم -هذه المرة - خاضعين للنفوذ الفارســي .. ظــل الوضـــع كذلـــك حتى بزغ فجر الإسلام،[206] وقضى على أعظم إمبراطوريتين سيطرتا على العالم القديم قروناً طويلة.

ومــن نـــافل القول أن بوادر الضعف في تجارة اليمن القديم فقد بدأت تظهر منذ القرن الرابع الميلادي، عندما قلَّ الطلب على اللبان والمر، بعد انتشار الدّيانة المسيحية واعتـــناق الإمبراطورية الرومانية لها. فلم يعد يستخدم البخور في الاحتفالات الدينية، ولا في مراسيم الدفن كما كان في العهد القديم، وقد رافق ذلك التغيير مظاهر جمَّة من الــتدهور الاقتصادي ؛ عانت منها الإمبراطورية الرومانية: كالتضخم الحاد الذي شلَّ اقتصادها، وأضعفها، وسبَّب في زعزعة أمن وسلامة طريق القوافل[207].

فـــي شبه الجزيرة العربية، أصيبت الطريق البرية بشلل حاد في حركتها وحيويتها منذ مطلع الميلاد،بسبب في ضعف الممالك اليمنية الواقعة على الأودية الشرقية، إلاَّ أنَّ الــتجارة الــبحرية استمرت في انتعاشها .. ولقد كان لضعف وتضاؤل حركة القوافل الــتجارية والمســـافرين علـــى الطريق البرية، وسيطرة البطالمة على البحر الأحمر: انعكاســـات ســـلبية على الممالك العربية في شمال شبه الجزيرة العربية أيضا، حيث تدهورت الدويلات النبطية التي ظلت قائمة حتى القرن الرابع الميلادي [208] .

ولـــم يأت القرن السادس الميلادي إلاَّ وقد عمَّ العالم أنذاك متغيرات جوهرية: فقد تمكن الأحباش - عام 525 م - من السيطرة على اليمن بدعم عسكري من بيزنطة .. وبســقوط الدولة المركزية اليمنية: انهار النظام التجاري، وعاش اليمن - في ظل الحكم الحبشي - حالة من التّمزّق والتّشتّت لم يشهد التاريخ لها مثيلاً من ذي قبل.

وفـــي ظل الصراع الفارسي - البيزنطي، تمكّنت الدولة الساسانية عام 572 م - مـــن الســـيطرة على البحرين وعمان واليمن، بعد أن ساندت اليمنيين في التّخلص من الأحـــباش، فمدّت نفوذها إلى كل الموانئ الواقعة جنوب شبه الجزيرة العربية: كعدن، وصحار، ودبا. [209]

وكمـــا أشرنا آنفا، بأن هناك ثلاث طرق رئيسة للتّجارة العالميّة، الطّريق الشرقية عـــبر الفــرات، والتـــي تعطلت بسبب الصراع الساساني - البيزنطي، طريق البحر الأحمـــر والتـــي لـــم تعـــد لتستخدم لخطورة الإبحار بسبب الشعاب المرجانية، وخلو

الشـــواطئ مـــن الموانـــئ الصالحة للرسو على جانبيه، ولم يبق سوى الطريق البرية الغربية كطريق وحيدة مأمونة لنقل البضائع المطلوبة .(210)

إنّ ارتـــياد تلـــك الطريق البحرية أدى إلى بروز بعض المدن وسط شبه الجزيرة العربية، والقائمة في واحات كانت بمثابة مراكز دينيّة يتوجّه إليها التّجار للحج سنويا، ويـــرافق الحـــج إقامـــة الأسواق الموسمية النشيطة، من بين تلك المدن : مكة ويثرب (المديـــنة المـــنوّرة) فـــبرزت مكّة - كمركز دينيٍّ وتجاريٍّ - وسوقا خطيرةً منافسة للمراكز اليمنيّة، فكان أن أرسل حكّام اليمن - بزعامة ملوك حمير - حملات عسكرية ؛ لإخضاع تلك القبائل العربية (نقش Ry 509)، إلا أنّ أثر تلك الحملات كان مؤقتا، وكـــان آخـــرها حملـــة (أبرهة) - الحاكم الحبشيّ في اليمن - على مكة، فباءت تلك الحملـــة بالفشل الذريع، بعدها اشتدّ ساعد تجّار مكّة (القريشيين)، وتعاظمت مساهمتهم فـــي الـــتجارة البرية، فقدموا نمطا جديداً في مجال التّجارة العالمية منذ القرن السادس الميلادي؛حيث كانوا يقومون برحلتين خلال العام: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة فـــي الصيف إلى الشام .. وكانت قوافلهم تنقل السلع الواردة من آسيا وأفريقيا، وكميّة محدودة من البخور اليمني، فارتبطت تلك القوافل بموسم الحج بمكة .(211)

ولقـــد علّـــل بعـــض الباحثين انهيار النّظام التجاري في اليمن القديم بسبب الغزو الحبشي لليمن في الربع الأول من القرن السادس الميلادي .(212)

وهـــناك رأي آخـــر يقـــول: "في الوقت الذي شهدت فيه اليمن انهيارا لحضارتها ودخولها تحت نير الاحتلال الحبشي؛ كانت مكة قد بدأت تكوّن مجتمعا حضاريا عربيا مهمـــا في الجزيرة العربية، حيث تمكّنت من استغلال فرصة القتال الدائم بين الفرس والـــروم، وتعطّـــل طرق التّجارة، وضعف الدولة الحميرية في أواخر عهدها، فقامت بالخدمات التجارية التي كانت المميز الأساسي لاقتصاد الجزيرة العربية"(213).

ويمكن لنا أن نجمل تلك العوامل السابقة التي أدت إلى الانهيار التجاري لليمن في النقاط التالية:

1. توقف الطلب على منتجات اليمن القديم : اللبان والمر ....
2. الاحتراب بين اليمنيين، وتفكك جبهتهم الداخلية، وتمزق شملهم .. فكان ذلك سبباً أساســياً فـــي ضـــعف كيانهم السياسي، وتدهور نشاطهم الاقتصادي، وانحسارهم الحضاريّ تدريجياً.
3. الغزو الحبشي لليمن، واحتلالهم له،فكان بذلك أن انتهت الدولة المركزيّة اليمنيّة، ووضع نهاية لحضارة اليمن عموماً.
4. تدهور زراعة اللبان تدهوراً عظيماً في الأماكن الأساسية لإنتاج مادة اللبان، ففي إبّان تلك المرحلة أخذت شجرة اللبان عينها بالاختفاء شيئاً فشيئاً، إذ لم يعد لها - آنذاك - قـــيمة تذكر؛بسبب الرعي المستمر لنباتها، وما أصابها من التلف المريع؛الناجم

أساساً عن إهمالها واستخدامها للطهي والطباخة، بسبب ما آل إليه الطقس من تغيّر سلبيّ تدريجيا، خلال القرنين: الخامس والسادس الميلاديين .(214)

5- المنافســة الــتجارية الصاعدة لمكة إزاء التجارة اليمنية فانهيار الحضارة اليمنية هــيأت لـــ (ملكة) دون شك ظروفا خارجية وداخلية مواتية، وفرصة سانحة للقيام بنشاط تجاري كبير وجليل على المستويين: الإقليمي لشبه الجزيرة العربية، والعالمي .. في آن معا، وكان ذلك في وقت لم تعد هناك طريق آمنة، وسالكة إلى دول البحر المتوســط غير أراضيها، لذلك سيطر التجار المكوّن من قريش على زمام التجارة الدولــية، وهيمــنوا على أمورها عموما ... فما كان لمكة – عندئذٍ – إلاّ أنْ تكون الوريث الوحيد الشرعي للنظام التجاري في اليمن القديم.

الهوامش والمراجع:

1. الكتاب المقدس، العهد القديم، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1992م، سفر الخروج، الفصل الثلاثون، وسفر نشيد الاناشيد، الفصل الثالث.
2. أوفير: مشكلة شغلت الجغرافيين والمؤرخين أكثر من ألف سنه، ومازالت دون حل قاطع، فمنهم من يرى أنها الهند ، وآخرون يرون أنها في أفريقيا وفريق آخر يعتقد أنها في جنوب شبه الجزيرة العربية، دون تحديد، أو في ظفار عمان (سفارا)، راجع حوراني، جورج فضلو: "العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى"، ترجمه وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر، راجعه د. يحى الخشاب، مكتبة الأنجلو – المصرية، مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة ، نيويورك، 1964م، ص (116).
3. الذهب المقدم لسليمان والذي يزن أربعة أطنان غير معقول إلا إذا اعتبرنا بأن الذهب المقدم إلى سليمان ليس ذهبا، بل هو نوع من الطيب اليمني الذي يسمى في النقوش (ذ هـ ب) ، وقد سمي بذلك الاسم ربما بسبب لونه الذهبي، وهذا يعني أن هدية ملكة سبأ لسليمان حمولة بعض الجمال من اللبان وأنواع من الطيوب.
4. حوراني، المرجع السابق، ص (116).
5. في التراث الاثيوبي نجد الاعتقاد السائد بان ملكة سبأ إحدى ملكات بلادهم، ولا غرابة في ذلكالإعتقاد، فالاكسوميين ينحدرون من السلالات السبئية.
6. الكتاب المقدس، سفر الملوك الثالث، الفصل العاشر.
7. القرآن الكريم سورة النمل.
8. أرض (بونت Punt) لم يعرف لها تحديداً جغرافيا حتى الآن، فمن العلماء من يرى أنها الصومال، وفريق يرى أنها بلاد العرب، وآخرون يرون أنها تشمل المنطقة المحيطة بمضيق باب المندب من شبه الجزيرة العربية، والقارة الأفريقية، حيث الظروف المناخية الملائمة لنمو أشجار البخور، وأنواع أخرى من الصمغيات.
9. - Groom . Nigel St. J : Frankincense and Myrrh A Study of The Arabian Incense Trade (Arab Background Series) London and New York (1981) , p (22) .

انظر أيضا حوراني: "المرجع السابق، ص (29 – 31).
10. - Beek G.W Van: South Arbian History and Archaeology extrait par the Bible and the Ancient near East, ed,by .G .Ernest wright , London (1961) , pp. (229-230)
11. الجرو، اسمهان سعيد: " موجز التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية، (اليمن القديم) "، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، اربد، الأردن، 1996م ص(47–50).
12. لمعرفة المزيد عن هذه النصوص النقشية، راجع موضوع العلاقات الدولية في هذا البحث.
13. الهمداني، الحسن بن أحمد: "صفة جزيرة العرب " تحقيق، محمد بن علي الاكوع الحوالي، الرياض (1394هـ–1974م) ص، (168)، انظر أيضا: المسعوديه أبو الحسن

علـــي بـــن الحسين: "مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق، شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، (1966)، ص (128-129).

14. لمعرفة المزيد عن شجرة اللبان وأماكن تواجدها راجع الفصل السادس من كتاب:

-Groom , N : op. - cit , pp. (96-120)

البخور: يطلق على المواد التي تحرق ، ويصدر منها رائحة عطرة، وهي في الغالب عبارة عن مواد صمغية منها اللبان، والمر، والصبر ... ويتم حرق بعضها بصورة مباشرة، كاللبان والمر، ويدخل الصبر في إنتاج مواد مركبة لها رائحة زكية.

15. غريا ستارك: "البوابات الجنوبية لبلاد العرب"، ترجمة: علي محمد باحشوان مجلة (اليمن) مركز البحوث والدراسات، جامعة عدن، العدد الثاني، 1990 ص (127-164).

16. المرجع نفسه، ص (133-134).

17. - Pliny : Natural History , with an english translation , by . H Rakham (The loob classical) cambridge , London , Book XII , 84 .

18. حمور، عرفان":أسواق العرب دار الشورى، بيروت، 1979، ص (187).

19. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الفصل الثلاثون.

20. -Pirenne , J : Prospection historiqque dans la region du royaume de Awsan , dans , Raydan , 3 , Louvan , 1980 , p. (222)

21. يعتـــبر المـــر من المواد الطبيعية الفعالة، يستخدم حتى يومنا هذا لعلاج بعض الأمراض النسائية، ويقوم مقام المضادات الحيوية.

22. نعـــيم زكي فهمي: "طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1973)، ص (234).

23. سحاب فكتور: "إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف "كمبيو نشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، (1992)، ص (201-203).

24. - Pliny , op. -cit , BkII , ch4 , 88

25. - Diodurus Siculus: The library of History ,loeb classical library (trans : OLDFATHER , Heienemann , London , 1935 .

26. - Strabo: The Geography of Strabo ,trans ,Jones H . L ,loeb classical library London , 1930 .

27. شـــهاب، حسن صالح: "أضواء على تاريخ اليمن البحري"، دار العودة بيروت، (1981)، ص (237).

28. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، بغداد (1971)، ص (240).

29. نعيم زكي: المرجع السابق، ص (227).

30. حسن شهاب، المرجع السابق، ص (144-145).

31. نعيم زكي، المرجع السابق، ص (231).

32. سحاب، المرجع السابق، ص، (188).

33. حمور، المرجع السابق، ص (188).

34. حسن شهاب، المرجع السابق، ص (164).

35.نعيم زكي، المرجع السابق، ص (232).
36.المرجع نفسه ص (244).
37. Schoff , wilfed . H: The Periplus of the Erythraen Sea (trans and commentary) Longman ,.Green, New York , (1912) .
38. Ibid , Secs , (31-33)
39. Groom , op.-cit , pp. (36-37).
40. Bowen , Lebaron , and Albright , : Archaeological Discoveries in South Arabia , publication of the American Foundation for the Study of man , Baltimor (1958) , pp. (287-295) .
41. Rodinson , Maxime , : Mahomet , 3 eme e dition , Paris , 1979 , p.33 .
42. Groom , op.-cit , p. (175).
43. Ibid , (175).
44.أنظــر نقــش البعــثة الفرنسية (Mayft - Ma^cin 13) في: Robin , ch: premiere mention de Tyr chez les Mineen d Arabic du Sud , dans , SEMITICA XXXIX, 1990, Hommages a Maurice Szny cer , 11, Paris , 1990, p. 138 .
45. The periplus , Sec , (27) أنظر أيضا - Groom , op.cit, p. (167)
46. Groom , op.-cit , p (166)
47. Ibid , (165)
48.جــرها: مديــنة تجارية تقع على الخليج العربي ، تحدث عنها الكلاسيكيون كثيرا ويرجح أنها مدينة (الهفوف) حاليا، ولقد كان لأهل (جرها) أهمية خاصة في مجال التجارة .
49.علــي ســور (قلت) عثر على نقش يذكر اسم الباني للسور، والغرض من بنائه، فقد بناه المكــرب الحضــرمي (شــهر إل يهرعش بن ابيسع) لصد الهجوم الحميري أنظر النقش (RES , 2687).
50.الســوط: جــاءت هــذه التسمية في النقوش (سوطم) وبالذات في نقش (Glaser 1000 =RES 3945) كاســم للهضــبة التي تشبها بعض الأودية الجنوبية التي تصب في وادي حضرموت الكبير، ونذكر منها (عرمه) و (دهر) و (رخيه) و (عمد) و... . كلمة السوط نجدها متداولة عند بعض المؤرخين بدلا من كلمة (الجول) التي تعني الهضبة أيضا.
51. Pirenne , J : fouille de shabwa , tome I , Paris , 1990 , p. (51) .
52. Groom , op.-cit, pp. (168-169)
53.البيلوبونيز: اسم يطلق على شبه جزيرة اليونان.
54. Pirenne, Shabwa , p. (35)
55.لقد كان وادي ميفعة ، يمثل خط طبيعي يفصل بين ممكلتي حضرموت في الشرق، وقتبان فــي الغــرب، وقد دون جغرافيا لكل منهما ، ولاسباب سياسية، نجد القوافل تتجه صوب الطــريق الغربــي (غــرب وادي مــيفعه) في اتجاه الإقليم القتباني، تجنبا من الاحتكاك بالحضــارمة، وعــندما ظهــر الحميريون في هذا الإقليم كانوا بمثابة نذير خطير لدولة

حضرموت حيث نجدهم يبنون الأسوار والقلاع في وادي ميفعة، ووادي حجر تحسبا لاي هجوم مباغت من قبل الحميرين.

56. Pliny , op.-cit , BKXII , Secs, (30-32) -

57. Pirenne , J : Premiere mission Archcologique Francais au Hadramout , dans CRAT , 1975 , p. (269) .

58. Pliny , Sec, , (68)

59. Groom , op.-cit , p. (196) -

60.مرخه: وادٍ خصب قامت عليه دولة أوسان التي امتدت على نطاق زراعي اشتهر بزراعة المر ، و من أهم مراكزه التجارية منطقة (هجر لم النقب)، و (هجر يهر)

61. انظر ايضا - Bowen , op.-cit , p. (37)

62. Philby , H . St . John : The Land of Sheba , dans Geographie Journal , vol XCLL , July , 1938 , p. (54) .

63.نجران: أحد المراكز التجارية الهامة، تقع على وادي يحمل نفس الاسم، والذي يقع بدوره على بعد (250كم) شمال مأرب، جاء ذكرها في نقش النمارة (RES 483) كمدينة للملك (شمر)، وينبع وادي نجران من الهضبة الغربية، متجها صوب صحراء الربع الخالي، يفصل نجران عن الجوف، إقليم يعرف باسم الافراط (Ja 660)، لقد كانت نجران في عهد المكرب السبئي (كرب إل وتر) مركزاً هاماً لدولة سبأ، فهي بمثابة حلقة وصل بين الممالك اليمنية القديمة، وشمال شبه الجزيرة العربية.

64.الهمداني، الحسن بن أحمد: "صفة جزيرة العرب"، تحقيق، محمد بن على الأكوع الحوالي، الرياض (1394-1974) ، ص (167).

65. Bowen , op.-cit , p.37 -

66. Ibid , pp. 36-37

67. Robin , ch , et de Maigret Alessandro : Yatill , Appelle Au-jourd -

68. Groom , op.-cit , p. 192 -

69. Ibid , p. 193

70. Ibid , p. 193

71. Ibid , p. 193

72.لقد كان الكتاب الكلاسيكيون يعتقدون أن البحر الأحمر والمحيط الهندي، والخليج العربي، بحر واحد فاطلقوا عليه البحر الارتيري (الأحمر) راجع كتاب (The Periplus).

73.حوراني، المرجع السابق، ص (59-60). انظر ايضا:

- Pirenne , J : Prèmiere mission , p. (263)

سحّاب، المرجع السابق، ص (266-267).

75. The Periplus , Sec , 27

76. - Pirenne , J : l A Ala de scovert de l Arabie Paris , 1958 , p.43

77.حوراني، السابق ، ص (75) ، انظر ايضا:

- Groom , op.-cit , p. (157)

كرب إل: يرجح انه الملك الحميري (كرب إل ليفع) ملك سبأ وذي ريدان، تذكر عهده النقوش في حوالي (250م)، يوسف عبدالله: "مدينة السوا".

مجلة دراسات يمنية ، العدد 34 (صنعاء) 1988، ص (30).

80.السوا: جاء ذكر مدينة السوا في نقش (Ja 585)، تسمى اليوم حصن القدم ، يقع الحصن في عزلة السوا : والسوا ناحية المواسط من قضاء الحجرية، على بعد (34كم) غرب مدينة تعز، تدل الشواهد الأثرية والنقشية في الموقع، على أهمية المدينة، وعلى عظمتها، فهناك آثار لحصن منيع ومعابد ومقابر وخزانات، وقطع أثرية متنوعة، راجع: يوسف عبد الله، السوا، مرجع سابق، ص (33-35).

81.الإرياني، مطهر علي: "تاريخ اليمن ، نقوش مسندية وتعليقات" ط2 مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990) ص (109-122).

82.ظل الميناء في موقعه بمنطقة صيره التي يطلق عليها أيضاً منطقة الخليج الأمامي، حتى القرن التاسع عشر وبالذات في عام (1840) عندما نقل الإنجليز الميناء إلى منطقة المعلا والتواهي لاسباب طوبغرافية بحتة.

83.حسن شهاب، المرجع السابق، ص (239-240).

84.الإصحاح 27/ الأيتان 22، 23.

85.أوكيليس Ocelis، هي اسيلا عند سترابو، والاسم الحديث لها هو: سيلا Cella ، انظر (The Periplus) هامش رقم (3) لفقرة رقم (26).

86.ستادا وحدة قياسية عند اليونان .

87.هامش الفقرة (26) من كتاب (الطواف The periplus) .

88.الصلوي: إبراهيم: "قصة أصحاب الأخدود "، الجامعة اللبنانية، بيروت (1979) (رسالة ماجستير لم تنشر).

89.الهمداني، الصفة، ص (94).

90. Ja 74, 756 , 632, Ry 538, 333, CIH 621, 728, 948, IR 13 .

91.عمانه: جاء ذكرها في كتاب (الطواف The periplus) فقرة (27)، وربما المقصود بها صحار أو مسقط ، الحوراني، المرجع السابق، ص (49).

92.الارياني، المرجع السابق، ص (117-122) (نقش رقم 13) .

93. - DOE Brian : Port of Husn al Guran or Site of Qana Bulletinn : 3, Centre of Ancient Archaeological Aden , July 1964 , p. (13).

94. ظفار:اسم للإقليم الممتد بين عمان والمهرة على الشريط الساحلي للبحر الأحمر .

95. - Bafaqih, M.A: l unification du Yemen la lutte entre Saba-Himyar, et le Hadramaut , du 1ème Siecle de l ere chretienne , Paris , 1990 , p. (239) .

96. The Periplus , Sec , 29 29

97. Ibid , Sec , 29

Bafaqih , op.cit , p. 240 .98

Ibid , p. 241 .99

The Periplus , Sec , 32.100

. Albright, F. P: Exploration Dhofar Oman , Antiquity 113, 1955, p. .101
37-39 .

. Albright , F.P : The Himyarites Temples at khor-Rory Orientalia , .102
XXII, 1953, p. 787 .

103.حوراني، المرجع السابق، ص 62.

The Periplus , Sec , 30.104

Bafaqih , op. - cit , p. 241 .105

Groom , io. - cit , pp.104-105 .106

Bafaqih , op.-cit , p. 241 .107

108.حوراني، المرجع السابق ص 63.

The Periplus , Sec , 30.109

110. زارت جزيرة سقطرى بعثة أثرية من جامعة اكسفورد للتنقيب عن الآثار عام 1954م، كمـا تقـوم بعثة فرنسية منذ مطلع الثمانينات من هذا القرن وحتى الآن بالعديد من الدراسات والابحاث في المجال الانثروبولوجي.

The Periplus , Sec , 32 .111

Ibid , Sec , 27 .112

113.جزيـرة (سـارابز Sarapis)، تقع على بعد (2000) ستادا من جزز زنوبيا، (كوريا موريا) كما جاء في كتاب الطواف فقرة (33)، لعلها جزيرة مصيرة.

The Periplus , Sec , 32.114

Ibid , Sec, 31-32.115

Ibid , Sec , 36.116

Ibid , Sec , 39.117

Ibid , Sec , 39 .118

119.حوراني، المرجع السابق، ص 76.

The Periplus , Sec , 16.120

Ibid , Sec , 17 .121

Ibid , Sec , 14 .122

Ibid , Sec , 19 .123

- Von, Wissmann: Himyar Ancient history , le maseon , 77, 3-4, .124
19- 64, p.- 144

125. الشـيبه، عـبدالله حسن: "اسهام عرب الجنوب في قيام وتطور اكسوم" مجلة الاكليل، وزارة الثقافة والاعلام، العدد الرابع السنة السابعة، 1989، صنعاء، 1989، ص (31-34).

126.المرجع نفسه، ص 34.

127.رهابتا، هي الان (كويليمن Queliman) على الفرع الشمالي من دلتا الزمبري، ويرى جلازر أن الاسم عربي الصيغة، قريب من ربط.

128.The Periplus , Secs , 21-27

129.- Albright , Exploration ... , p.37-39

130.- Groom , op.-cit , p. 22

131.Ibid , p. 22

132.بافقيه، محمد عبدالقادر، الفريد بيستون، كريستان روبان، ومحمود الغول: "مختارات من النقوش اليمنية " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985 ، ص 293.

133.عبد الحليم نور الدين: "مقدمة في الآثار اليمنية " منشورات جامعة صنعاء، 1985، ص 190.

134.جواد علي، المفصل، جـ 7، ص 35-37.

135.أشر: لم يعرف موقعها على وجه التحديد، ولكن يرجح أن المقصود بها سوريا، انظر:

- Robin , ch : Premiere mention de Tyr , pp. (144-1455)

- Robin,ch: Egypte dance les inscriptions de l Arabic meridian de pre-islamiqque, dans , Hommages a Jeaule clant (volume 4) biblio theque d etude , 106/4 , 1994, pp. 286-301

- De Magret . A , and Robin , ch : les fouilles de Yala , nouveles donnees sur la chronologie de l Arabie du sud , pre - islamique , Paris , 1989 , pp. 264 -266 .

136. - Robin et De Margret , Yathil , pp. 56-57 .

137. - De Margret et Robin , Yala , pp. 264-266 .

138.بافقيه وآخرون، مختارات، ص 290-293.

139.المرجع نفسه .

140. - Robin , Egypte , pp. 286-301

141.فخـــري، أحمد: "رحلة أثرية الى اليمن، ترجمة: هنري رياض، ويوسف محمد عبدالله مـــراجعه: عبدالحليم نور الدين، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية اليمنية، (مشروع الكتاب 2/21) صنعاء 1988م، ص 160-162.

142.الكتاب المقدس، سفر التكوين الثالث، الإصحاح العاشر.

143.الجرو، المرجع السابق، ص 41.

144. - Pirenne , J : la rinceau dans l evelution de l art Sud-Arabe , dans , SYRIA , tome XXVIV , 1957 , pp. 99-126 .

145.ويكمـــنز، جاك: "حضارة قبل الاسلام"، ترجمة ، علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد (28) ابريل، مايو، يونيو، 1987م، ص (111-137).

146. - Caton Thampson : The Tonbs and moon Temple of Hureida (Hadramaut) , Oxford , 1944 , p.20 .

147.بافقيه وآخرون، مختارات، ص 296.

. Pirenne , J : Deuxieme mission Archeologique francais au .148
Hadramaut , december , 1970 , fevriere 1967 , p. 423 .

149.القرن ماتوصل اليه الباحثان في كتابهما الموسوم بـــ:

. Rathjens and von wissmann : Voristamische Altertum , Bd , I
Hambrug , 1932 .

وبين ما أشارت اليه العالمة جاكلين بيرن في دراستها:

. Pirenne , J : Chronique d arachaeologie II , 1956 , pp. 37-68 . -

Berton J. F. : Wadi Dwra , Rapport de la mission francais au Yemen ,
Aden, 1985 .

. Prienne , J : Shabwa , deux campagnes de fouille 1980-1981 , .152
mission francais (لم ينشر) (Rapport de la

Albright , W. F. : the chronology of Arcient South Arabia , in the .154
-first campagne of Excaption in Qataban , dans , BASOR light of the
119 , (1950) , pp. 8-15 .

- Berta Segall : Sculpture from Arabia felix the Hellenistie Period , .155
American Journal of Archaeology 59 , (1955) pp. 207-214 .

- Berton , Dura , (rapport) .156

- Caton Thompson , op.-cit , p. 13 . .157

- Breton , Dura (Rapport) .158

159.الهمداني، الحسن بن أحمد: "الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تحقيق (كريستوف تول) لو بسلا (1968).

- Pirenne , J : le rinceau , pp. 102-105 . .160

- Pirenne , J : la Greca et Savanta a l academie des inseriptions et .161
belles-lettres , Paris X (96) .

- Beek : South Arabia , p. 229 . .162

- Ueli Brunner : Die Erforchung Der Antiken Oase Von Ma rib mit .163
Archaologische Berichte Aus Dem Yemen , Ban II , Mainz , 1983 .

- Pliny , BK 12 , Sec , 65.164

- Groom , op.-cit , p. 155.165

- Beeston , A.F.L : The Mercantile Code of Qataban, part, of .166
Qahtan Studies in old South Arabian Epigraphy , London , (1959) .

انظر أيضا: يوسف محمد عبدالله: "أوراق في تاريخ اليمن وآثاره" بحوث ومقالات، وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء ، 1985. ص (60-62).

167. ناهض عبد الرزاق: "المسكوكات وكتابة التاريخ" هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1988، ص 6.

168. المدن الليدية: هي المدن الواقعة أراضيها على الساحل الغربي لتركيا.

169. ناهض، المرجع السابق، ص 16.

170. ستيفنســـون ج . هـــ: تجارة العالم القديم والبحر المتوسط، ترجمة: محمد بكير خليل الفصـــل الحادي والخمسون من تاريخ العالم، المجلد الثالث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت ص (147-172).

171. - DOE Brian : Southern Arabia , London , 1971 , pp. 118-122 .

172. ستيفنسون: المرجع السابق، ص (149)، حوراني المرجع السابق، ص، 89 .

173. - The Periplus , Sec 32 .

174. - Doe : Southern Arabia , p. 119 .

175. - Pirenne , J : Shabwa , p. 35.

176. - Walkar, J : The Mon-God on Coin of Hadramaut , dans BSOAS , XIV, 1952 pp. 623-626 .

177. Doe : Southern , p. 121 Arabic, p. 121.

Pirenne , J : le royowme Sud-arabe de Qataban , et a datation , louvain , 1961

. انظـــر أيضا ,
- Walker , J : A New Katabanian Coin from South Arabia , Israel Exploration Society Journal , Jerusalem (1963)

178. Stuart Munro-Hay : The al-Madhariba Hoard of Gold Aksumite and late Roman Coins: , dans , le Numismatic chronicle (1989) , pp. 83-100

179. الافغانـــي، ســـعيد: "أســـواق العرب في الجاهلية والاسلام"، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1937، ص (73).

180. The Periplus , Secs, 21-22.

181. Ibid , Sec, 22.

182. Ibid , Sec, 26.

183. Ibid , Sec, 27.

184. الاسبـــعاء، أو الشحر أو المهرة، أسماء تطلق على الاقليم الساحلي الجنوبي، الممتد من شـــرق عـــدن وحـــتى غرب عمان، ومن المرجح أن كلمة (يمنت) في النقوش يقصد بها هذا الاقليم.

185. ابن حبيب محمد: كتاب المحبر، حيدر أباد، 1942م، ص 266.

186. جواد علي، المفصل، ج7، ص 377.

187. ابن حبيب، المحبر، ص 266.

188. نفسه، ص، 266.

189. جواد علي، المفصل، جـــ 7، ص 374.

190. ابن حبيب، المحبر، ص 266 –267.

191. - Strabo : The Gaeography , BK 16 . ch 4 , Sec 19 .

192. - Pliny : Natural History , BK 6 , Sec , 32 .

193. Ibid , BK 12, Sec , 84 . .

194.المسعودي، المرجع السابق، ص 128-129.
195.جواد علي، المفصل، جـ 7، ص 267-268.
196.حوراني، المرجع السابق، ص 57. انظر أيضا :
Radonson , op.-cit , p. 34
197.حوراني، المرجع السابق، ص 57.
198.المرجع نفسه، ص 58.
Pirenne : a la decouvert ... , p. 26.199
- Strabo : Gaeography , BK 16 , ch 4 , Sec 22-25.200
201.حوراني، المرجع السابق، ص 94.
202.الصلوي، المرجع السابق، ص 16.
- The periplus , Sec , 23.203
204.الصلوي، المرجع السابق، ص 17.
205.المرجع نفسه، ص 28-29.
206.حوراني، المرجع السابق، ص 104.
Groom , op.-cit, p. 162.207
208.سحاب، المرجع السابق، ص 198.
209. نفسه، ص 198.
210. نفسه، ص 199.
211. نفسه.
Rodinson , op.-cit , p 35.212
213.الصلوي، المرجع السابق، ص 135.
- Groom , op.-cit, p. 163.214

الفصل الثالث

الفكر الديني عند قدماء اليمنيين

أولاً : أسماء الآلهة ونعوتها ورموزها
ثانيـــــاً : المعابد : أجزاءها، ومحتوياتها، ومواردها.
ثالثـــــاً : الكهان وخدام المعبد من الأرقاء.
رابعـــــاً : الوحي.
خامساً : شعائر الطقوس الدينية.
سادساً : معتقدات أخرى.
سابعـــاً : العقيدة الدينية وأثرها في تنظيم حياة المجتمع
ثامنـــاً : البدايات الأولى للتوحيد.

ما الدّين؟ وكيف عرّفه علماء الأديان؟

هناك من علماء الأديان من عرّف الدين بأنه : موقف الإنسان من الطبيعة(1)، تلك الطبيعة التي جهد الإنسان – منذ أن وجد عليها – للتقرب إليها وتفهم مقاصدها ولكتساب رضاها، فهي تثير في نفسه أحاسيس مختلفة : من رهبة، وقلق، واطمئنان، وخضوع..! وعرّفه آخرون بأنه : إيمان بكائنات روحية تكون فوق الطبيعة والبشر، لها تأثير قوي على حياة هذا الكون(2).

ومهما اختلفت التعريفات لحقيقة الدين هنا وهناك، فإن العقيدة الدينية – ولا ريب – قد كانت منذ نشوء الحضارات الإنسانية هي الدافع المعنوي للإنسان في الحياة، والقوة الحيوية التي تصبغ كل مظاهر الثقافة والمدنية بصبغتها الروحية، وتطبعهما بطابعها الإيماني العام .. ولذلك فقد كانت – وما زالت – روح القواعد والسلوك في حياة الإنسان : فردًا ومجتمعًا .. وأساس التنظيم ومصدر الحكم والإدارة، ودائمًا ما تترجم على شكل طقوس وشرائع ؛ تهدف – في كل الأحوال – إلى توازن المجتمع واستقرار بنيانه.

من هذا المنطلق لا يمكن أن نفهم أية حضارة ما لم نسبر غور تاريخها الديني، وندرك عقائدها، ونظمها، فمعرفتنا بديانة قوم من الأقوام تساعدنا إلى حد كبير في معرفة سلوكهم، وآرائهم، وفلسفتهم الروحية.. وهذا هو ما ينطبق على الحضارة اليمنية، إذ بفضل المعطيات الأثرية والنقشية استطعنا أن نكوّن صورة عن الديانة الوثنية في جنوب شبه الجزيرة.

عبد اليمنيون قديمًا – كغيرهم من الشعوب السامية – آلهة تجسّدها أجرام سماوية ؛ تتمثل في : القمر، والزهرة ، والشمس .. مضيفين عليها أسماء، ونعوت، وألقابًا متعددة ومتنوعة، كما كانوا يقيمون لها المعابد، ويعيّنون عليها فئة من الرجال والنساء تقوم بالإشراف على إدارتها.

لقد كان للعقيدة الدينية أثر بالغ الأهمية في حياة قدماء اليمنيين الروحية والمادية، كما كانت لها بصمات على شتى مجالات الحياة، فهم يرون في الآلهة ما يجعلهم يتّجهون لعبادتها والتقرب إليها من خلال قيامهم بطقوس شعائرية مختلفة، فيقدمون لها القرابين، بل يقدمون لها أحيانًا حصونهم، وأبراجهم، ومنازلهم، وأرضهم، وأنفسهم، وحيواناتهم .. رغبة في كسب حظوتها ورضائها، وطلبًا لحمايتها ووقايتها.. فهذا الورع الديني العميق لم يتغلغل في نفوس الأفراد فحسب، بل وفي حياة الشعب بأسره.

كما نلمس اعتقادهم الراسخ بالحياة بعد الممات، وإيمانهم بمعتقدات أخرى : كالحسد مثلاً الذي كان له تأثير على سير حياتهم.

وبتطوّر الديانة الوثنية تمهــدت الطريق أمام اليمنيين قديمًا ؛ للتفكير بأسلوب تجريدي، والتجريد بمثابة خطوة أولية نحو التوحيد حيث أطلق على المعبود (رب السماء)، ثم : (الرحمن رب السماء والأرض) .. كل ذلك يعدّ مرحلة جنينية لفكرة وحدانية الله، مما ساعد -- لاحقا – على التقبل السريع للديانات التوحيدية.

أولاً : أسماء الآلهة ونعوتها ورموزها :

حفظت لنا النقوش والآثار النذرية وشواهد القبور – (جمع شاهد) – العديد من الأسماء ونعوت الآلهة التي كان الناس يتوددون ويتقربون إليها بالنذور، والقرابين، والهــبات .. ويقرأ المرء أعدادًا هائلة من أسماء ونعوت الآلهة ؛ فيصعب عليه معرفة تفسيراتها واشتقاقاتها، فالاسم يدل – أحيانًا – على صفة من صفات الآلهة، فيظل يتداول، ومع مرور الزمن يغدو شائعًا يتناقله القوم، ويبقى مستعملاً كاسم علم .. والملاحظ أنّ تلك الآلهة لا تعرف حدودًا جغرافية، بل نجدها مشتركةً بين كثير من القبائل، وقد يصل سلطانها إلى مناطق خارج نطاق عبادتها.

ومهما اختلفت نعوت تلك الآلهة ومناطق انتشارها، فإنه بالإمكان إدراجها تحت أحد أجزاء الثالوث الفلكي، وقد نجد – أحيانًا – أنّ بعض أقاليم وقبائل اليمن القديم تشــترك فــي عبادة إله واحد، وإن تباعدت فيما بينها جغرافيًا، فسبأ وفيشان كانتا تعبدان الإله (المقه)، وقتبان وردمان ومضحى كانوا يعبدون الآلهة (عم)، أما حاشد وبكيل ويرسم فكانت تعبد الإله (تألب ريام)(3) ومبرر اشتراك مجموعة من أقاليم وأقــوام اليمــن القديم في عبادة إله واحد يعود إما للسيادة السياسية، وإما للتحالف السلمي القائم بينهما(4).

لــم تقدم لنا المعطيات الأثرية والنقشية أي دليل يشير إلى شكل تلك الآلهة أو المعــبودات، سوى الرموز المعبرة عن تلك الآلهة والتي غالباً ما تكون على شكل صـــور مـــن حيوانات مقدسة : كالثور، والوعل، والثعبان، والنسر ....، ومثل تلك الصور الرمزية نجدها مرسومة في بداية أو نهاية النصوص النقشية عادةً.

1- (الإله (إل) :

إله مشترك لكل المجتمع السامي، (ينطق اسمه هنا بكسر الهمزة وتشديد اللام) ويستدل من كتابة هذا الاسم على أنّه أقدم أسماء كافة الآلهة القديمة على الإطلاق ؛ نظــرًا لقدمه الموغل بعدًا في الظهور فيما بين النهرين –، فأول ذكر ورد له كان في النقوش الأكادية التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد(5).

وقـــد ورد ذكر إله (إل) في نقش عثر عليه في مدينة (هرم) في الجوف، إلى جانـــب آلهة أخرى، ذلك هو (نقش، Halevy150). أما في نقش (Halevy144) فـــنجد (أوس إل) من قبيلة (ريمن)، وكانت وظيفته هي : (رشو إل وعثتر) أي :

كاهــن الإله (إل) والإله (عثتر)[6]، وينعت الإله (إل) بــ (حوكم) أي : الحكيم كما جاء في نقش (Ja 2898)[7].

فاسم الإله (إل) يدخل في تركيب عدد كبير من أعلام الناس تيمنًا وتقربًا، مثل : (يــدع إل)، و(شــرح إل)، و(كــرب إل) ... كذلــك نجده في التراث اليهودي والمسيحي. أما المصادر العربية فتذكر أنّ المقصود بــ (إل) هو(الله) عز وجل[8].

2- إله القمر :

الإلـــه الرئــيس لقدماء اليمنيين، ولهذا كان ينفرد بالكثرة المطلقة من الأسماء، والألقاب، والنعوت التي تختلف من منطقة إلى أخرى.

وكـــان القمــر يهيمن هيمنة مباشرة على سائر نواحي الحياة لديهم، ولعل ذلك يعــود إلــى الأهمية العظيمة التي كان يحتلها هذا الكوكب كمرشدٍ للقوافل البرية، ومعيــن لهـــا فـــي الطريق الصحراوية الطويلة، كما أنّ نوره الناعم يجلب للنفس الــراحة والطمأنيــنة أثناء الليل مخففًا بذلك ويلات الشمس وحرارتها اللافحة أثناء النهار.

ومن أبرز أسماء إله القمر (المقه) عند السبئيين، ويسمى(عم) عند القتبانيين، و(ود) عــند المعينيــن والأوسانيين، وهو الإله(سين) أو (سيان) عند الحضرميين. وعرف باسم (كهل) في "كندة" الدولة العربية التي قامت على طريق التجارة وسط شبه الجزيرة العربية، وعرف باسم (تالب ريام) عند قبائل همدان، كما يطلق على القمــر اســم (ورخ) أو (شهر)، ومن الطريف أنّ يرد هذا الاسم الأخير (شهر) - وهو من ألفاظ العربية الجنوبية أصلاً - في لغة القرآن الكريم ؛ مستعملاً بالمعنى المــألوف عينه عند عرب الجنوب، والذي يدل على (الهلال أو القمر) في العربية الشمالية. وذلك في قوله تعالى من سورة البقرة" ... *فمن شهد منكم الشهر فليصمه* ..." (البقرة 2/ 185).

وعلـــى الــرغم من تعدد تلك الأسماء الدالة على ذلك الكوكب النيّر، واختلاف تسمياته لدى اليمنيين الأقدمين ؛ فإنها في دلالتها على "القمر"، أو على "إله" القمر وطقوســه الدينــية وشعائر عبادته عندهم، تظل واحدة في جميع الأقاليم ومناطق الممالك اليمنية.

وإلـــى جانب ما كان لكوكب القمر من تلك الهيمنة البارزة في أسفارهم، وفي حلهــم وترحالهم ؛ كانت له - كذلك - مكانة رفيعة للغاية في تصريف مواقيتهم، وإدراكهــم لعدد السنين والحساب .. ولم يكن هذا فقط عند عرب الجنوب ؛ وإنما لـــدى العرب جميعًا في عموم جزيرتهم : شمالها وجنوبها، شرقها وغربها. فعلى منازله الفلكية كانت تقوم معرفتهم للمواقيت الزمانية، وحساباتهم لمواعيد المناسبات الدينــية، والمواسم الزراعية المختلفة، وفصول السنة الأربعة، وتقويماتهم للتواريخ

أيامًا وشهورًا ... وهذا إنما يدل على إدراكهم المبكر، ووعيهم العميق لجوانب أساسية من علم الفلك الذي كانوا يستلهمونه من منازل القمر المتعددة في إطار المجرة الشمسية، ومجال حركات الفلك الدائبة في الكون، وما تؤديه هذه المنازل من وظائف عظيمة في الطبيعة والحياة، وما يترتب على هذه الوظائف من آثار عميقة الفوائد في تعاقب الليل والنهار، وتواتر سير الزمان متناسقًا في حركات ثلاث مطردة التعاقب دون انقطاع البتة : (حركة ماضية، وحركة آتية، وحركة تفصل ما بين الماضية والآتية) ... وذلك وفقا لما أشار إليه التنزيل الكريم بوضوح في قوله تعالى : *"ويسألونك عن الأهلة ؛ قل : هي مواقيت للناس والحج .."* (البقرة 2 / 189) وقوله : *"هو الذي جعل الشمس ضياء، والقمر نورا وقدره منازل ؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون"* (يونس 10 / 5) – وقوله : *"والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم"* (يس 36 / 39).

ولعل ما كان للقمر من هذه المكانة، وتلك الهيمنة ؛ هما مما كان يبعث الأمان والاطمئنان والراحة في نفوسهم .. وهذا هو ما يفسر لنا سر تقديس عرب الجنوب له ؛ إلى حد الاستعقاد به وتنصيبه إلها يعبدونه، ويقيمون له الطقوس الدينية والاحتفالات والشعائر الرهبانية ؛ فيقدمون له خلالها القرابين الرهيبة، والنذر الكثيرة، والهبات المدرارة الوفيرة[9].

الإله المقه :

المعبود القومي لسبأ، وكان يعد من الآلهة الرئيسة الاتحادية، له مكانة مهمة عند أقوام يمنية أخرى كهمدان وغيرها .. ولا نعرف بالضبط اشتقاق الاسم، فقد ورد في المئات من النقوش بكتابات مختلفة : فيكتب في – الغالب – (المقه)، ونجده يكتب (مقهو) أو (يملقه) أو (المقت).

وكانت انتشرت عبادة الإله (المقه) حيثما انتشر السبئيون، بل نجد عبادته قد تجاوزت اليمن القديم، فمنذ الألف الأول ق. م، نقل السبئيون معبودهم الرئيس (المقه) إلى الهضبة الإرتيرية، فأغلب أسماء الآلهة الحبشية تذكر بأسماء آلهة سبئية مثل : (المقه) و(هوبس) أو (هبس)، و(ذات بعدن)، و(ذات حميم) مع وجود آلهة حبشية أخرى، ويرمز إله (المقه) بالوعل، أو الثور أحيانًا، وبالهراوة، أو صاعقة البرق (CIH . 367)، أو القرص النجمي، وأحيانًا مفصل اليد[10].

لقد بيّنت النقوش السبئية المتوافرة لدينا الأهمية الدينية التي حظي بها الإله القومي لسبأ، وما كان له من أثر عظيم في توطيد وترسيخ دعائم الدولة، فهناك ربط وثيق بين الإله والدولة ؛ كما جاء في النقشين : (RES 3954 , RES 3946) ؛ لذلك نجد السبئيين يتقربون إلى الإله (المقه) بالقرابين والنذور في

معـــابدهم المختلفة ؛ طلبًا لتحقيق لمنياتهم، ويشكرون له انتصاراتهم التي تحققت بفضل رعايته وحمايته، كما كانوا يعتقدون.

لما أهم معابد الإله (المقه) معبد (أوام) في مأرب، كما بنيت له معابد أخرى في العديـــد من المناطق السبئية أو تلك المتحالفة معها[11]، ومن معابده معبد (معربم)، نقش : (الغول – المساجد)[12].

الإله (عم) :

المعبود الرسمي للدولة القتبانية، والاسم (عمّ) من أسماء القرابة ؛ أطلق على هـــذا الإله كذلك لتقربه من الناس، فهو بمنزلة العمّ .. ومن خلال النقوش القتبانية نســتطيع أن نتعرف على الأهمية التي احتلها هذا المعبود، فالعاصمة (تمنع) كانت تســمى "مديـــنة قبائل عم"، وأهل قتبان يسمون بــ "أولاد عم"، وملك قتبان يسمى (كبير أولاد عم).

وكثــيراً مـــا كان الاسم (عم) يدخل في الأعلام المركبّة عند القتبانيين. وكان القتبانـــيون يتقرّبون إليه بتقديم القرابين له حمداً وشكراً، ويقيمون المنشآت بعونه، كمـــا أقـــاموا له المعـــابد في المناطق القتبانية، وأهم معبد يسمى (لبخ) الذي أنشئ جـــنوب غرب مدينة (تمنع)، وله معبد يسمى (ظرن) في منطقة (المعادية) جنوب (تمنع) ومعابد أخرى[13].

وكـــانوا ينعتون الإله (عم) بـــ (رعيان).و(سحرم)[14] كما راحوا يرمزون إليه بشكل هلال وبداخله دائرة – كرمز للتزاوج المقدس بين القمر والشمس في اعتقاد قدماء اليمنيين – ويشار إليه بحرف المسند (٢) وهو حرف (الهاء) رمز البرق ؛ للدلالة على ارتباط الإله (عم) بالريّ، كما يرمز إليه أيضًا برؤوس الثيران للدلالة على القوة والتناسل، أما قرونها فهي رمز الهلال[15].

الإله ود :

وهـــو الإله الأكبر والأساسي في الجوف، وكان هذا الإله (ود) يعبد في أرض (مـــأذن) شمال صنعاء، وفي أرض سهمان، وكذلك في دولة أوسان. أما في نطاق سبأ فقد عثر على نقش يعود إلى عهد المكاربة ؛ وهو يشير إلى الإله (ود)، ناهيك عن أنّ له معبد صغير في بيت (دغيش)، وفي شعوب شمال صنعاء[16].

جـــاءت تســـمية الإله (ود) من المودة والحب، ويرمز له بحرف المسند (٢) الهاء، كسابقة، كما يرمز له بشكل ثعبان، أو ثور، أو وعل.

وتشـــير الـــنقوش المعينـــية إلى أنّ المعينيين ينقشون عبارة (ودم أبم) أي (ود الأب) – بشـــكل خـــاص – على التعاويذ التي يحملها بعضهم لغرض الحماية،[17] وبـــنفس الطـــريقة ولنفس الغرض كانت تنقش صور الثعابين. كما يدخل اسم الإله (ود) في الأعلام المركبة.[18] ومن نعوته (القمر) أو (شهران).

ويستدل من النقوش التي وجدت في تلك المعابد بأنّ أصحابها كانوا يتقربون إليه بقرابين بغية حصولهم على الحماية والسلامة لهم ولممتلكاتهم العامة والخاصة، وتحقيق ما يرجون منه : كمنحهم أولاد ذكورا سالمين ..

وتقدم النقوش إشارات إلى عبادة المعينيين للإله (ود) أينما استوطنوا، فقد عثر على كتابات تذكر الإله (ود) في مدينة العلا (ددان) شمال الحجاز، ووسط شبه الجزيرة العربية، وفي منطقة الجيزة في مصرَ. وفي جزيرة (ديلوس) اليونانية – في بحر (إيجه) – عثر على نقش سجل على مذبح اسطواني يتضمن إهداءً بالخطين المعيني واليوناني للإله (ود) (RES 3570) .

أما الأوسانيون فنجدهم يعبدون نفس الإله، فقد أطلق على ملوكهم ابن (ود)، ومنهم الملك (يهصدق إل فرعم شرح عثت). وكان للإله (ود) في أوسان موضع يسمى (نعمن) أي (نعمان)، تقدّم فيه القرابين وتقام فيه الطقوس الدينية الأخرى[19].

أما في العهود الأكثر قدما فقد كان الأوسانيون يعبدون إله يسمى (بلو)،" بلو إل لوسن" أي بلو إله أوسان[20].

وقد أشار القرآن الكريم إلى الإله (ود) ذاكرا إياه مع أربعة معبودات أخرى ؛ ممّا كان يعبدها كثير من العرب قديمًا في الجاهلية، وتلك هي : (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر) .. وذلك في قوله تعالى من سورة (نوح) : "وقالوا ولا تذرنّ آلهتكم، ولا تذرنّ ودا، ولا سواعا، ولا يغوث، ويعوق، ونسرا" (نوح 71 / 23). وواضح أنّ هذه الأسماء بعينها الواردة في الآية إنما تطابق تمامًا آلهة كانت تعبد لدى قدماء اليمانيين، إذ هي مما ورد ذكرها في النقوش القديمة.! وهذا يدلنا على أنّ عبادتها عند سكان وسط الجزيرة العربية إنما هو من تأثير عرب الجنوب.

– الإله (سين أوسيان) :

وهو الإله الرسمي لحضرموت، فلفظ (س ي ن) سبق أن أطلقه الأكاديون والبابليون على معبود هم الذي تخيّلوه معنيًا بالقمر أيضًا، وهذا يعني أنّ هذا الاسم ساميٌ قديم واسع الانتشار.

وكانت معابد الإله (سين).قد انتشرت في كل المناطق الحضرمية، وكان كل معبد منها يعرف في كل منطقة باسم محلي ؛ ففي (شبوة) العاصمة الملكية كان يسمى معبد الإله سين (اليم) ؛ فلقب هذا الإله عندئذٍ بـ (سين ذو اليم)، أما في (باقطفة) – منطقة بوادي حضرموت – فيسمى معبد الإله سين بـ (حلسم)، ولهذا عرف الإله بـ (سين ذو حلسم)، وفي (حريضة) – المنقطة الواقعة على وادي (عمد) أحد الفروع الجنوبية لوادي حضرموت – فيسمى الإله (سين ذو مضيم) نسبة لاسم المعبد[21].

وكانـت عبادة هذا الإله قد امتدت إلى ظفار (عُمان) التي كانت جزءًا لا يتجزأ مـن دولـة حضرموت، وما يؤكد هذا أنه عثر على آثار لعبادته في موقع (خور روري) الساحلي الذي كان يطلق عليه – وفقا للنقوش القديمة – اسم (سمهرم).[22] ويرمز للإله (سين) بالنسر، الذي نجده مرسومًا على العملات الحضرمية.

– الإله (تألب ريام) :

إنّـه إلـه خاص بقبيلة همدان، كانت عبادته تنتشر في نطاق إقليم اتحاد قبائل سمعي، فثمة نقوش عدة تتحدث عن هذا الإله (تألب ريام) وأهميته المقدسة بين تلك القبائل ؛ إذ عبد في مدن : حاز، وناعط، وشبام الغراس، وأكانط، وبيت دغيش، وريام، ولتوه..[23] أما تفسير كلمة (تألب) فتعني الوعل، ومعروف أنّ الوعول كان من الحيوانات المقدسة عند عرب الجنوب.

ذكـرت النقوش أسماء عدد من معابد الإله (تألب ريام) التي ترتبط في الغالب بـالمواقع والمـدن التـي توافـرت فيها، مثال : تألب ريام بعل رحبن، أي (سيد رحـاب)، (RES 4190)، و ،، تألب ريام بعل ترعت''، أي (سيد ترعت)،(GL 1228) وتألب ريام بعل ذ مرمر (سيد ذي مرمر){جربيني 50}.

كما ذكرت النقوش آلهة أخرى يقترن اسمها باسم الإله (تألب ريام) هي الآلهة (نوشم) ؛ مما يوحي بأنها قرينته[24].

(3) إله الزهرة (عثتر) :

هـو الإلـه الأكـبر الـذي عبدته كل الشعوب السامية في جنوب وشمال شبه الجزيـرة العربـية، تحت اسم واحد، وإن اختلفت كتابته، فنجده يكتب (عشتر) أو (أشتر) في الأقاليم الشمالية، و(عشتر) أو (عثت) في الأقاليم الجنوبية. ويرى بعض العلمـاء أنّ عبادته كانت قد انتقلت من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمالها ؛ استنادًا إلى تعليل لغويّ ؛ في اليمن القديم ينطق (عثتر) بالعين والثاء اللذين فقدا عند البابليين والآشوريين، فتحولت (العين) إلى (همزة)، و(التاء) إلى (الشين)، وبما أنّ (العين) و(الثاء) هما الأقدم. فإنّ الصورة الأصلية لذلك اللفظ وجدت في جنوب شـبه الجزيـرة، ثـم انطلقت إلى المناطق الشمالية بيد أننا نجده مذكرًا عند عرب الجنوب، ومؤنثًا عند عرب الشمال[25].

ومن الملاحظ أنّ الاسم (عثتر) إنما كان يرد على ألسنة عرب الجنوب – في بعـض الأحيان – مرخّمًا على حرفين : (عث)، بحيث كانوا يكتبونه بحرفي العين والثاء فقط، حاذفين منه الحرفين الأخيرين، وهما : التاء والراء، "وذلك وفقًا لقاعدة الترخـيم عند العرب عمومًا ؛ لأنّ في الحذف ترخيمًا، وفي الترخيم تخفيف على اللسان، والاقتصاد في النطق، واستلطاف وتقدير للمسمّى ...[26] كما هو مفهوم من قول الشاعر (عقبة بن غيلان) صاحب ميّة ؛ حينما وصف منطقها بذلك قائلا :

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وإنمــا يــرخم أحــيانا هذ الإسم – أعني : عثتر – على (عثت) أو (عث) عند اليمنييــن القدماء ؛ إذا جاء مركبًا مع أحد أسماء الإعلام الشائعة أنذاك، من نحو قولهــم – على سبيل المثال– : "قرعم شرح عثت"، وما إليه من مركبات الإعلام ؛ التي تعرف وهي على هذا النحو من التركيب بالأسماء المركبة. [27] وغالبًا ما كان يدخــل اســم الإله (عثتر) في كثير من أسماء الإعلام المركبة – من نحو : (أوس عثت)، و(لحي عثت)، وغيرهما – تبركًا وتيمنًا به.

ونــرى فــي بداية النقوش ونهايتها أنه يرمز إلى الإله (عثتر) بحرف (ᛉ)، وهــو حرف الهاء، ناهيك عما كانوا يرمزون إليه به من : نجمة، أو طفل،(28) أو كف إنسان..

وكــان من معتقداتهم – كما يبدو من خلال النقوش المختلفة – أنّ للإله (عثتر) تأثــيرا على الأنواء الجوية ؛ من : رعد، ومطر، وعواصف عمومًا، ومن ثمّ على الــري والخصــوبة، والــنماء الزراعي كذلك .. إذ نرى أحد النقوش – وهو (نقش فخــري 71) – يروي لنا أنّ أحد ملوك سبأ راح يهدي نذرًا لهذا الإله ؛ لأنه أنعم على الأراضي لملكية في مدينة (مأرب) بمطر الربيع!.[29]

وتلــك النقوش – إذن – إنما تؤكد هذا الاعتقاد لديهم، وهو ما نستشفه بوضوح مــن أســلوب التضرع لهذا الإله ؛ لكيما يحميهم، ويحمي ممتلكاتهم، وقبورهم ؛ كمــا كــانوا يدعــون باسمه للانتقام من منتهكي القبور، ويقدمون له القرابين حمدًا ووفــاءً لمــا كان يتحقق لهم من أمنيات تمنّوها، إضافة إلى ما كانوا يوقفون له من الأراضي الزراعية، وغيرها من الأوقاف الجزيلة.

وثمّــة آلهــة أخــرى كان يرد ذكرها مع (عثتر) في الدعاء والتقرّب)، منها : الإلهــة (هوبــس)، والألهــة (نورو)، وهذه التسمية الأخيرة – التي هي بمعنى : "الضــوء" أو "الفجــر" – غالــبًا ما كانت تظهر بعد الإله (عثتر) ؛ إذ لعلها تسمية لقرينــته، (CIH 459)، ثــمّ تأتــي الآلهة (سحر) التي يرد ذكرها أيضًا بعد الإله (عثــتر)، ويرمــز لهــا بالأفعى، و(سحر) هنا يعني : "الفجر"، وهو إنما يشير إى الوقــت السابق لبزوغ الفجر مباشرة، أو هو – إن شئت – بمعنى : "غسق الصباح" أو "شــفق الصــباح"، أو هــو بمعــنى أدق : "غبش الصباح". وكذا كان حال الإله "كوكــون" أو "كــاكوان" الذي يأتي ذكره بعد (عثتر)، أما اسمه – كما نرى إنما هو قريب من لفظ (كوكب) الذي هو بمعنى:"نجم"امما يدلنا على انه كان إلهًا فلكيًا ..![30]

وللإله (عثتر) كثير من الألقاب والأوصاف التي كانوا يلقبونه ويصفونه بها، فمن ألقابــه لديهــم – على سبيل المثال : – (عثتر شرقن) ؛ أي : "الشارق" الذي يطلع من الشرق، و(عثتر غربن) ؛ أي : "عثتر الغارب" ؛ ومعناه : نجمة الغروب[31].

وأما ما كان من أوصافه عندهم فهو من نحو : (ذو هرق) ؛ أي : الذي يريق الماء ويسيله ؛ لأنّ الفعل (يهرق) من الماضي (هراق) الذي هو عين الفعل (أراق) المشهور في العربية الشمالية، وذلك بقلب همزة التعدية (هاءً) في العربية الجنوبية، كما هو وارد – وهو بصيغة اسم الفاعل – في قول امرئ القيس في معلقته المشهورة :

وإنّ شفائي عَبْرَةٌ (مهراقة) • فهل عند رسم دارسٍ من معوّلِ؟!

أما في معين فكان يطلق عليه – أعني "عثتر" – اسم أو لقب (حجر) ؛ أي : "صخر" ..!. ومن الملفت للانتباه أنّ ثمّة إلهًا خاصًا بـ (غيمان) و(نعض) كان يسمى : (حجر قحمم)[32].

و لاريب في أنّ عرب الجنوب الأقدمين كانوا يقيمون لمعبودهم (عثتر) هذا : المعابد الكثيرة، ومواضع العبادة الوفيرة في شتى الديار من مناطقهم المختلفة ؛ ذلك لأنه كان يحتل المكانة الأولى لديهم، والرفيعة في وجدانهم وقلوبهم، دون غيره من آلهتهم ومعبوداتهم الأخرى..! ومن ثمّ كانوا يزورون تلك المعابد والمواضع على مدار الأوقات والمواسم المحددة للعبادة، فيتبركون به، ويتقرّبون إليه فيها بالأدعية الضارعة، والأضاحي الغالية الجزيلة، وإقامة مختلف مراسيم العبادة والتقديس.

(4) الإلهة (الشمس) :

عبد اليمنيون القدماء الشمس . وتشير معظم النقوش – التي اطلعنا عليها – إلى أنّ الآلهة (الشمس) إنما كانت تحتل المرتبة الثالثة بين آلهتهم ومعبوداتهم المتعددة، وذلك هو ما استطعنا استنتاجه من الصيغ الدعائية الواردة في تلك النقوش، غير أنّ هذه الآلهة عينها كان لها المكانة الأولى لدى بعض الأقوام اليمانية ؛ مثل قبيلة (بني جرةّ) الواقعة أراضيها جنوب شرق صنعاء.

وقد أشار التنزيل الكريم إلى عبادة الشمس لدى العرب عمومًا في جزيرتهم : جنوبها وشمالها، ولدى الشعوب السامية الأخرى الواقعة ديارها شمالاً خارج الجزيرة العربية، ومن ذلك قوله تعالى : "... وجئتك من سبأ بنبأ يقين • إنّي وجدتُ امرأةً تملكهم، وأتيتْ من كل شيء، ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم ؛ فصدهم عن السبيل، فهم لا يهتدون" (سورة النمل 27 /22 ،23، 24) وقوله تعالى : " ومن آياته : الليل، والنهار، والشمس، والقمر.. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهنّ ؛ إن كنتم إياه تعبدون" (سورة فصلت 41 / 37)، وقوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم – عليه السلام – حينما راح يعرض بأبيه (آزر) وقومه – وهم من الشعوب السامية الشمالية – لعبادتهم الشمس والكواكب الأخرى، وذلك في موضع

الاســتدلال على وحدانية الله جل شأنه : "... فما رأى الشمس بازغة ؛ قال : هذا ربــي، هــذا أكبر. فلما أفلت ؛ قال : يا قوم إني برئ مما تشركون ..." (سورة الأنعام 6 / 78)، وغيرها.

وكان نصب "الشمس" أو صنم ألوهيتها عند عرب الجاهلية من المعبودات التي تســمى بهــا عدد من الأشخاص ممن عرف بــ (عبد شمس)، "وذلك في إطار ما كانوا يتسمّون به من أسماء الأعلام المركّبة التي نحوا فيها – مع آلهتهم المتعددة، ومعــبوداتهم المختلفة الأخرى – المنحى عينه، كما يبدو واضحًا من نحو : (عبد يغــوث)، و(عــبد يعوق)، و(عبد العزى)، و(عبد اللات)، و(عبد منات) ... وغير ذلك".

لمــا أهم معبد للآلهة (الشمس) في اليمن القديم ؛ فهو المعبد المعروف بمعبد (المعســال) الكائن ضمن أطلال مدينة (وعلان) الأثيلة، وبين خرائبها، تلك المدينة التي كانت عاصمة (ردمان) قديمًا، كان يطلق عليها (عليت) ؛ أي : العالية[33].

وثمــة معبد آخر لهذه الآلهة "الشمس" عثر على آثاره في همدان، وخاصة في منطقة (حقة) الواقعة شمال صنعاء.

ولفــظ (الشــمس) – "ســواء أكان عندهم دالاً على ما هو معروف من جرم الكوكب الضخم الذي يضيء نهاراً ؛ أم على واحد من معبوداتهم المتعددة آنذاك" – إنما هو اسم مؤنث عند اليمنيين الأقدمين وعموم عرب شبه الجزيرة، بينما كان يذكّــره ســاميّو الشمال ؛ من الذين كانوا يقطنون أقاليم الهلال الخصيب (الشام وبلاد الرافدين)، ولاشك أنّ الاختلاف – في التعامل مع (الشمس) تذكيرًا وتأنيثًا – بيــن الساميين في تلك المواطن، وأشقائهم العرب في جزيرتهم ؛ إنما يعود إلى طبيعة البيئة الخاصة بهذا الموطن أو ذاك، وتأثيرات عواملها في هذه اللغة البشرية أو تلك ؛ لأنّ كل لغة من اللغات الإنسانية إنما تخضع لوقائع العوامل البيئية في موطــنها، وهــي عوامل متنوعة : طبيعية، واجتماعية، وحضارية، وثقافية ... فتســتمد اللغــة أحكامها التعبيرية، وخصائصها الدلالية من هذه العوامل مجتمعة. وعلــى هــذا فإنّ ما ساد من الظروف البيئية المتنوعة – التي خضعت لتأثيراتها العربية الجنوبية والشمالية من ناحية، واللغات السامية الأخرى من ناحية أخرى – إنما هي تختلف إلى حدّ كبير فيما كانت عليه في مواطن الساميين الشمالية (الهلال الخصــيب) ؛ عمّــا هي عليه فعلا في أقاليم شبه الجزيرة العربية عموما، ولعل تذكــير الشمس لدى ساميي الشمال – فيما نرى أيضًا، إضافة إلى تأثيرات العوامل البيئــية لديهم – إنما كان من تأثير قربهم بالآريين، ومن ثمّ تأثرهم باللغات الهندية الأوروبــية التي عادةً ما تذكّر الشمس وتؤنث القمر، على عكس ما هو حاصل في العربيتيــن : الجنوبــية والشمالية..! فالاستعمالات اللغوية، وكل ما يصحب اسم

(الشمس) – في سياق التعبير – من وسائل وعلامات التأنيث، أو أدوات تشير إلى نوع المسمى أو جنسه في العربية الجنوبية، إنما تدل بوضوح – كما هو الحال في العربية الشمالية تمامًا – على أنّ الشمس مؤنثة عند اليمنيين القدماء)،[34] ومن تلك الوسائـل – علي سبيل المثـال : -

أ – أنهـم كانوا يشيرون إلى الشمس بلفظ الإشارة (ذات) الدال على التأنيث ؛ من نحـو قـول السـبئيين : (ذات حميم)، و(حميم) هنا إنما تعني عندهم : الحرارة الشديدة، أو الحر الشديد، وقول القتبانيين : "ذات بعدن"، أي البعيدة، ذات البعد.

ب – أنهـم كـانوا يستخدمون للدلالة على تأنيثها لفظ الكنية المؤنث بالوضع (أم / الـتم) : مـن نحو قولهم : "أم لات"، وهذا ما يبرزه لنا نقش كان قد دوّن على صـحيفة من البرونز، حيث يروي هذا النقش : أنّ صاحبه قدّم قربانًا للإلهة (أم لات) ؛ لتحقق السلامة لمولاه يزأن[35].

وكانـت أسـماء (الشمس) وأوصافها عند قدماء اليمنيين قد تعددت تبعًا لتعدد واخـتلاف المناطق اليمنية آنذاك، فالنصوص المعينية تذكرها باسم (نكرح)، ولعله هـو الاسم (ننكر شو) عينه الذي كان يطلق على إله "اللوركا" السومري والبابلي! وكان السبئيون – كما ذكرنا آنفا – يصفونها بـ (ذات حميم)، وعلى غرارهم كان القتبانيون يصفونها تارة بـ (ذات بعدن)، وتارة أخرى يسمونها (أث رت)، بمعنى : المتوهجة، أو ذات التوهج.

وفي وقت متأخر من العهود السالفة التالية شرعوا يذكرونها بالاسم المعروف الـدال عليها مباشرة، وهو لفظ (الشمس)(Ja 268,354)، الذي غدا فيما بعد اسمًا شائعًا ومألوفا لدى العرب جميعًا وكان ثمة من القبائل عند ذلك من اعتبرها معبوداً إلهـياً خاصـًا به ؛ فقيل بذلك إنها : "شمسهم"، بصيغة الإفراد تارة، أو قيل – بصيغة جمع التكسير– (شموسهم) تارة أخرى ..؟ "ولعلهم كانوا يعنون بهذا الجمع معـنى : (الضـياء) المدلول عليه بقوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء ...) (سورة يونس 10/ 5)، أو بمعنى (الشعاع أو الأشعة) الصادرة عن الشمس ؛ لأن الشمس – كعين بذاتها، أو كجرم سماوي لكوكب بعينه – إنما هي واحدة في الكون والوجود لا ثاني لها من جنسها البتة".

وكانوا أيضًا يرمزون إلى الشمس برموز شتى، فمنهم من رمز إليها بالنسر ؛ لمـا له مـن سيادةٍ وهيمنة، و(قوة وشموخ) .. وكان الحصان كذلك يمثل حيوانها المقدس ؛ فينوب عن الإلهة (الشمس)،[36]، ومن ثمّ يرمز به إليها.

(5) الإلهَ(ذي سموي) أو ذو سماوي :

ورد اسم الإله (ذي سموي) في العديد من النقـوش،منها النقشـان (CIH 972)، و(RES 3247) .. وفي النصوص المعينيّة يمكن للمرء أن يرى بوضوح

رمز هذا الإله على شكل "ضربة الباب" ؛ كما هو حاصل في ثلاثة من نقوشها[37] وكانــت عبادة هذا الإله قد شاعت كثيرًا لدى قبيلة (أمرم)[38] أي : أمير، فعرف لذلك بأنه إلهها ومعبودها الأمثل، بيدَ أنه عبد أيضًا في إقليم الجوف عمومًا وخاصة في منطقة (هرم)[39].

وقــد اجتهد العديد من العلماء المتخصصين في تفسير ما يدل عليه الاسم (ذي سموي) من معنى ؛ فذهبوا إلى أنه يعني : (إله السماء)، أو "أنه يشير إلى الإله (صـــاحب الســماء) ؛ لأن كلمة (ذي ، أو ذو، أو ذا) – وفقا لسياق استعمالها – تعنـــي : (صـــاحب) فيما تعنيه في العربية، وعليه يكون التركيب الإضافي في الاســم (ذي ســموي) كناية عن الذات الإلهية العليا. حيث إنهم استنتجوا من هذه التسمية – وهي على هذا النحو من التركيب اللغوي – أنّ عبادة الإله (ذي سموي) عند اليمنيين الأقدمين إنما كانت قد ظهرت مع بداية انبلاج فكرة التوحيد.

والواقع أنّ الاسم (ذي سموي)، كان قد عرفه اليمانيون القدماء، واستعملوه بما يدل عليه من معنى "الوحدانية" في فترة متقدمة هي أبعد زمانًا في قدمها من زمان ظهــور الديانات السماوية التوحيدية، وهذا يؤيده إثباتًا ما توافر لدينا واطلعنا عليه من النصوص النقشية، ومن ذلك :

أ – مــا عثر عليه في منطقة همدان من نقوش، تروي نصوصها أنّ أصحابها إنما راحــوا – مــن خلالهــا – يــتقرّبون إلى الإله "ذي سموي" ... وكان تدوين هذه النصــوص قــد تزامن مع تدوين نصوص نذرية أخرى وهبت للإله (تألب ريام) الخاص بهمدان، وذلك في فترة لم تكن عقيدة التوحيد قد ظهرت بعد أو انتشرت في الأصقاع المترامية الأخرى، أو أنّ ملامح فكرتها – على الأقل – لم تكن قد عرفت في الآفاق البعيدة.

ب – ذلــك الــنقش المدون على لوحة برونزية صغيرة ؛ عثر عليها في موضع (هجر بن حميد) الواقع نطاق دولة قتبان، ومن دراسة وتحليل ما تحويه هذه اللوحة من نص نقشي ؛ اتضح أنها كانت قد صنعت في حوالي القرن الأول الميلادي،[40] أي قبل أن تظهر الديانات التوحيدية السماوية في اليمن بثلاثة قرون.

ج – ذلك النقش الذي يعود تأريخه إلى القرن الثالث الميلادي، وتبيّن من نصه عند العــثور علــيه أنــه كان قد دوّن في عهد الملك الحميري (شمر يهحمد)، إذ ينص الــنقش عينه على أنّ "كليب يهأ من عامل شمر يهحمد بذي معافر الأشاعر... شيّد ولقــام معــبد الإله (ذي سموي) إله (أمير) بالبرحة [41] المسماة الصّيرات الكائنة تحــت مديــنة (السوا)، [42] فليتعهد الإله (ذي سموي) إله (أمير) بالسلامة والنجاة والحماية لكليب يهأمن وقبيلة دي معافر سادة القصر شبعان [43].

وهــناك مــن المؤرخين من يرى أن الإله (ذي سموي) إنما يناظره في الدلالة الإله (بعل شميم) عند عرب الشمال، فيعني هو الآخر لديهم بأنه : "إله السماء" أو "سيد السماء"[44].

وثمــة في ــ المقابل ــ إله آخر ذكر مع الإله (ذي سموي) بضاده في التسمية دلالــياً، وذلــك هــو الإله (ذو أنبيت) الذي لعله يعني "إله الظلام" فهذا المعنى إنما يتــناقض تمامــا مــع مــا يوحي به الاسم (سموي) من دلالة على النور والهدى والــرفعة والســمو المــتفرد ... ؛ لأن الأصل فيما يعنيه الاسم (أني) في العربية الجنوبــية هو : (منتصف الليل) الذي عادة ما تكون فيه عتمة حالكة ؛ يفقد معها الوضوح في الرؤية تماماً .

(6) آلهة محلية (مناطقية) :

أنصب حديثنا آنفا عن أبرز الآلهة القومية الرئيسة في اليمن القديم، وهنا نأتي إلى الحديث عما كان إلى جانبها من آلهة محلية مدنــية أخرى، إذ لا ريب في أن ثمة فرقاً بين هذه وتلك- :

فالآلهة الوطنية الرئيسة هي التي كان سلطان عبادتها يتعدى مواطنها الأصلية، ومراكزها الأساسية الأولى ؛ ليصل إلى مناطق أخرى عديدة أبعد منها. وكان مــن بين تلك الآلهة القومية ما هو مؤنث أيضا ؛ يدخل في نطاق (الآلهات)، كما مر بنا، وذلك من نحو على سبيل المثال : -

- الإلهة (هوبس) أو (هبس) :

غالباً ما يرد اسمها في النصوص النقشية بعد ذكر الإله (عثتر) مباشرة، ولعل هذا الاسلوب يدلنا على أنها كانت تمثل قرينته. غير أننا نرى في بعض النصوص مــن صــيغ التوسل في مدلولها الديني ــ أن الآلهة الثلاثة : أنما هي بمثابة وحدة إلهــية متكاملة، كما يفيد النص النقشي القائل : "لما أنعمت به الآلهة ومستعم على أنمــار، وبني غيمان ..بحق عثتر وهوبس والمقه ... وبحق ذات حميم ... وبحق ذات بعدن "[45]. ومن المناطق التي كانت تعبد فيها الآلهة (هوبس) منطقتا : (ريدة) الواقعــة شــمال صنعاء، و(شبام الغراس) شرق صنعاء[46] (ولما لهذه الآلهة من مكانة مرموقة عند السبئيين ؛ رلحوا ينقلونها مع إلههم القومي (المقه) إلى الهضبة الأرتيرية[47].

أما الآلهة المحلية أو المناطقية : فهي التي لم تكن عبادتها لتتجاوز نطاق أماكن وجودهــا أصــلاً، إذ كان كل منها إلها خاصا بمنطقة محددة بعينها، أي أن الواحد مــنها كان يستأثر بعبادته معبد معين بعينه، أو أن عبادته كانت تقتصر على أهالي موضع محدد بعينه أو مدينة بعينها. ومن هذه الآلهة المحلية ما يلي :

- الإلهة (سمع) أو (سميع) :
يطالعــنا ذكــر هــذا الإلـــه فـــي أكــثر مــن نقــش أو نص نقشي، فالنقش (RES 4983/2) راح يوثق لمنطقة عبادته ؛ حيث كان يعبد في وادي (رغوان) مــن إقليم الجوف، وخاصة في موضع (جنفير بن منيخير) على وجه التحديد،[48] وعلــى النحو نفسه راح النقش (إرياني 49) – الموسوم بنقش "بيت ضبعان – هو الآخــر ينوه بذكره. [49] أما النقش (إرياني 14) فقد أورد ذكره مباشرة بعد الإله (علــم) أو (علــيم) ؛ مقرونين معًا بآلهة قومية أخرى مما كان لها شهرة، وشأن عظــيم لــدى عبادها، وذلك في سياق صيغة من صيغ التوسل والتضرع المألوفة، حيث ينص النقش قائلا : "بحق عثتر وهوبس والمقه وعليم وسميع ... وبحق ذات بعدان، وبحق شمس الملك تنوف ..."[50].
- الإله (نكرح) "الشمس عند المعينيين" :
عــثر علــى آثــار الإله (نكرح) في (درب الصبي) بأنحاء (براقش) من إقليم الجــوف، (RES 2980)، وتفيد النقوش أنه كانت تقام لهذا الإله المراسيم القدسية مع الإله (ود) في معبد معيني كائن في منطقة (ددان) العلا الواقعة شمال الحجاز. (RES 3696)، ناهــيك عــن أنّ ذكره كان قد ورد أيضًا مع الإله (أنبي) – الذي سيعقب الحديث عنه مباشرة – وذلك كما هو منصوص عليه في أحد النقوش على النحو الآتي : ... أنبي ونكرحم..."[51].
- الإله (أنبي) :
عادة ما يــــذكر هذا الإله في النقــــوش بلفظ (شيمـــن) أي : "الراعي" (Ry 3692/1)[52]. أمـــا مـــا تعنــيه كلمـــة (أنبي) فهو : الموحي أو المتحدث. وكان القتبانيون قد عبدوا هذا الإله قديمًا–
الإلهة (حوكم) :
تبرز النقوش القتبانية ما كان هنالك من علاقة حميمة بين الآلهة (حوكم) والإله (أنبــي) ؛ إلى درجة أنها تكاد تكون هي قرينته فعلاً..! وتشير هذه النقوش عينها إلــى أنّ (حوكــم) ، أي الحكيمة هي ابنة الإله (عم). ومما يثير الانتباه أنهم كانوا يعتــبرون ملــك قتبان بأنّه الابن الأكبر لــ (حوكم) و(أنبي)، ولذلك كان دائمًا ما يطلق عليه ذلك ويدعى به[53].
-الإلهة (منضح) أو مناضح :
في العربية الجنوبية نلاحظ أنّ (منضح) – أو مناضح – هو جمع (منضحت)، وهــو اسم لعدة إلهات ذوات صلة بالري، ولعل هذا يدلنا على أنّ الآلهة (منضح)

كانــت آله مصادر المياه والأراضي الزراعية،[54] وكانت هذه الآلهة خاصة بقبيلة بني بتع[55].

- الإلهة (توشم) :

ورد ذكــر هذه الآلهة في العديد من النصوص النقشية، [56] إذ كانت تعبد في مــناطق : (ريــام)، و(صرواح، و(لتوه)، و(ناعط) .. ناهيك عن أنها كانت قرينة للإله (تألب ريام) إله همدان.

- الإله (قينن) :

لــيس لدينا من معلومات عن هذا الإله سوى ما جاء في نقشي : (RES 4648)، و(نامي 32 ، 49) من أنه كان يعبد في منطقتي : (شبام الغراس)، و(ناعط)[57].

-الإله (حلف) أو "حلفان" :

من السهل أن ندرك بأنّ اسم هذا الإله جاء من لفظ الفعل (حلف) بمعنى : أقسم اليمين، وما نعرفه عنه أنّ معبده يقع في مدينة (هرم) من إقليم الجوف[58].

- الإله (رمن) :

لم نعرف شيئًا عن هذا الإله سوى أنّ ذكره ورد في نقش عثر عليه في (شبام كوكبان) (CIH 140)[59].

- الإله (الو زعان) :

لــم يكن ليعرف هذا الإله آلا برفقة الإله (عثتر)، ولعل الاسم (الوزعان)، كان احــد نعــوت هــذا الأخير. وعلى أية حال فقد كان يعبد في مناطق : (عجيب)، و(عمران)، و(شبام كوكبان)[60].

- الإله (نسر) :

مــر بــنا فــيما سبق أنّ القرآن الكريم أشار إلى هذا الإله مع آلهة أخرى كان يعــبدها فـــي الجاهلــية عــرب الجزيرة العربية الأقدمون، وهي : (ود، ويغوث، ويعوق، ثم نسر) وكان الإله (نسر) قد عبد لدى عرب الجنوب في منطقة (ناعط)، (CIH 189/1) وكــان أيضًا يعبد مع الإله (عثتر) في بلاد همدان، (Gl 1208)، كمــا هو منصوص عليه أيضًا في نقش (RES 725/2) على نحــو : (... عثتر ونسر ...). وإذا كان من مصادر معرفتنا بهذا الإله عند سكان جنوب شبه الجزيرة العربــية هـــي الــنقوش، فإنّ معرفتنا به لدى سكان وسطها تكون كذلك من خلال بعض تلك النقوش أيضًا[61].

وكمــا كان للعديد من الآلهة الأساسية المشهورة الوطنية أو القومية أسماء من مركبات الأعلام – كما مرّ بنا سابقًا – فإنّ ثمة العديد من الآلهة المحلية (ذكورًا أو إناثــا) تكــون أسماؤها هي الأخرى من مركبات الأعلام أيضًا منها – على سبيل

المثال لا الحصر – ما يبدأ جزء مركبه اسمي الأول بلفظة (مثب) التي هي بمعنى : "أنجـز أو حقـق"، وذلك من نحو : اسم الآلهة (مثب طين) التي كانت تعبد في منطقة (هرم) من إقليم الجوف،[62] ومما لا شك فيه – كما يبدو واضحًا – أنّ هذه الآلهة هي من الآلهات المحلية التي كان يعزى إليها أنها تحمي الغلال والأراضي الزراعية.

وممـا سـبق من حديث عن الآلهة في اليمن القديم يمكن أن نستخلص أمرين مترابطين :

أولهما : أنـنا نلاحظ مما كان يطلق على الآلهة من أسماء، وما يضفى عليها من ألقـاب ونعـوت أو أوصاف ؛ أنّ الآلهة عندهم عادة ما تكون في الأساس هي : الأب والعـمّ، فكانت توصف بالمحب، والسميع، والحكيم ... وهذه الأوصاف إنما كانـت تعبّر عن مدى الاعتقاد الراسخ بهذه الآلهة لدى اليمنيين الأقدمين، وما كان لها من إجلال وتقديس عظيمين في وجداناتهم.

وثانيهما : أنّ اليمنييـن القدماء كانوا يرون أنّ للآلهة تأثيرًا مباشرًا على مجريات حـياتهم، ولذلـك كان المؤمن منهم يتقرّب إليها لطلب الحماية والنجاة والشفاء ... فـثمة نقـش معينـي – هو نقش (RES 2975) – يروي لنا أنّ صاحبه راح فيه يتوسـل بكـل آلهة معين وينّل (براقش)، وكل الآلهة الوطنية والحليفة، وكل آلهة البحر والأرض المزروعة، والشرق والغرب... يتوسل إليهم ان ينجوه من كل شر، وأن يحفظوه من كل مكروه.

ثانيًا : المعـابد : أجزاءها، ومحتوياتها، ومواردها :

كـان للمعبد – في إطار المؤسسة الدينية – وظيفة قدسية ذات شأن عظيم في بنية المجتمع اليمني القديم، إذ كان لكل منطقة وقبيلة معابدها الخاصة بها .. وكانت منشـآت تلـك المعابد "تبنى داخل المدن وخارج أسوارها. ولا ريب في أنّ المعبد راح مع الأيام يتطور في بنائه وتصميمه الهندسي، حتى غدا موضعًا مقدسًا رسميًا ذا هيـبةٍ ورهـبة ؛ يؤمـه الناس للعبادة، وإقامة الشعائر الدينية، وتقديم الهبات والقرابين للمعبودات..

ولذلـك كان قد أطلق على المعبد اليمني قديمًا – كما جاء في النقوش – الاسم (حرم) أو (محرم) ؛ الذي هو بمعنى "المقدس" (RES 3266)، (Ry 4176/7).

وقـد ورث العـرب جمـيعًا – في جزيرتهم فيما بعد – هذا الاسم من قدماء اليمنيين ؛ حتى غدا – في العصور المتأخرة واللاحقة، وفي كنف الإسلام بالذات – وصـفًا يلازم أماكن العبادة المشهورة، ويطلق على الرحاب الإسلامية المقدسة، وعلى أربعة أشهر بعينها من السنة الهجرية .. فهذا التنزيل الكريم يطلق على مكة المكرمة وما حولها (حرمًا) ؛ وذلك في قوله تعالى : (... أو لم نمكن لهم حرمًا

آمنًا ؛ يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) (القصص : 28 / 57)، وقوله تعالى : (أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا، ويتخطف الناس من حولهم ...!؟) (العنكبوت : 29 / 67) – ويصف الكعبة المشرفة تارة بـ (البيت الحرام) أو (المحرم) ؛ كما في قوله تعالى : *(جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس، والشهر الحرام، والهدى، والقلائد ؛ ذلك لتعلموا أنّ الله يعلم ما في السموات وما في الأرض أنّ الله بكل شيء عليم.)* (المائدة : 5 / 97)، وقوله تعالى على لسان نبيه (إبراهيم) عليه السلام : *(ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم...)* (إبراهيم : 14 / 37)، وتارةً يصفها مع الحرم المكي عمومًا بـ (المسجد الحرام) كما هو في قوله تعالى من (سورة البقرة : 144/2) : *(قد نرى تقلب وجهك في السماء ؛ فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ...)*، وفي الآيات : (149، و150، و191، و196) في السورة عينها، كما نرى ذلك في الآية (2) من سورة المائدة، والآية (34) من سورة الأنفال، والآيات : (7، و19، و28) من سورة التوبة، والآية (1) من سورة الإسراء، والآية (25) من سورة الحج، والآيتين : (025، و27) من سورة الفتح.

ونرى الكتاب الكريم يصف منطقة (المزدلفة) كلها – الكائنة بمكة المكرمة – أو جبل _فرح) فيها بـ (المشعر الحرام). وذلك في قوله تعالى : *(... فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ...)* (البقرة : 2 / 198).

أما الأشهر الهجرية الأربعة، وهي : (محرم، رجب، ذو القعدة، وذو الحجة)، فمرة يطلق عليها وصف (أربعة حرم) في قوله تعالى : *(إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ؛ منها أربعة حرم، ذلك الدين القيّم ...)* (التوبة : 9 / 36)، ومرة ثانية يصفها بـ (الأشهر الحرم) في قوله تعالى : *(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...)* (التوبة : 9/ 5)، وتارة أخرى، يطلق عليها الوصف مفردًا (الشهر الحرم) ؛ ليشملها جميعًا، وذلك في ثلاث آيات ؛ اثنتان منها في سورة البقرة، إحداهما هي قوله تعالى : *(الشهر الحرام بالشهر الحرام، والحرمات قصاص...)* (الآية 194) وثانيهما هي قوله تعالى : *(يسألونك عن الشهر الحرام : قتال فيه؟ قل : قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله، وكفر به ...)* (الآية 217)، أما الثالثة فهي الآية رقم 97) من سورة المائدة ؛ وقد مر بنا ذكرها سلفًا.

ومن الملاحظ أنّ أحد هذه الأشهر الحرم الأربعة قد ظفر بالوصف عينه (محرم) ؛ ليكون اسمًا له وعلمًا عليه، وذلك هو الشهر الأول من السنة الهجرية،

وهـذا ممـا يدلنا على ما يكون عليه هذا اللفظ من مفهوم جليل ومعاني سامية بما يوحي به من قدسية ورهبة لأحدث لها ؛ سواء أكان ذلك لدى اليمانيين الأقدمين أم عند العرب والمسلمين جميعًا على مدى العصور ومرور الأزمان[63].

وعلـى أية حال كانت مواضع العبادة في البداية – عند قدماء اليمنيين – بدائية بسـيطة ؛ لم تكن لتتجاوز في طبيعتها الأماكن العادية المكشوفة والبرحة الخالية من البشر والسكنى ؛ حيث كانوا يعتقدون أنّ المعبودات إنما تكون مستقرة ساكنة فـيها، فهي إما موضع لنبع، أو صخرة، أو شجرة، أو ما شابه ذلك ... فاعتبرت المنطقة الواقعة حول ذلك الموضع برمتها موقعًا مقدسًا تقام فيه الصلوات، وتجلب إلـيه العطايا والهبات .. ثم أخذ شكل موضع العبادة عينه يتطور تدريجيًا مما هو علـيه مـن حال بدائية بسيطة وعادية إلى حال أرقى حينما راحوا يشيدون جدرانًا تحـيط بموقعـه المقدس عندهم. وكان هذا الشكل المتطور في بنائه نوعيًا هو مما اتسم به معبد الإله (المقه) في مدينة مأرب. ثم راح بناء المعابد يتطور أكثر فأكثر حـتى أصبح أشد تركيبا، وأجمل تشييداً، وأوفر جمالاً، كما أستجابت هندسة البناء لمتطلبات الطقوس والشعائر الدينية المختلفة، إذ راحوا يقيمون الأعمدة الفخمة حتى صـار المعبد في تصميمه البنائي وشكله الهندسي مربعًا أو مستطيلاً، وإذا به يغدو في هيئته الفنية شكلاً معماريًا آخر في نهاية المطاف!...

(1) أجزاء المعبد :

إن الـبقايا الأثرية من تلك المعابد، والتي حافظ عليها الزمن ؛ إنما تشير إلى مـدى مـا وصل إليه من رقي وعظمة الفن المعماري في مجال المنشآت الدينية المهيـبة والضخمة لدى عرب الجنوب قديما، فقد كشفت لنا بعثات الآثار عن عدد مـن المعـابد الفخمة والمتكاملة البناء بأسوارها، وأروقتها، وسلالمها، ومحاربها، ومحافرها، وما لها من اتساع في باحاتها ومساحاتها ... وبالإضافة إلى ذلك تخبرنا النقوش عن جملة من المصطلحات الاسمية الخاصة بأجزاء المعبد وأقسامه الداخلية مـن نحـو: (مختـن)، و(صـرح أو صرحت)، و(بيت)، و(مسال)، ة(محراب)، و(مذبـح)، و(مطهر) .. فكل من هذه المصطلحات إنما كان يطلق على قسم بعينه مـن الأقسام المكونة للمعبد ؛ ليعبّر عن الوظيفة الدينية التي يؤديها بها ضمنه هذا القسم أو ذاك في سياق ممارسة الشعائر والطقوس المختلفة، وذلك على نحو ما هو آت : –

أ –(مختن) : هو الموضع الذي كان يمارس فيه نوع من الطقوس الدينية الأساسية فـي المعـبد. و(مختن) على زنة (مفعل) اسم مكان في اللسان العربي ؛ هو من الفعل : (ختن يختن ختنًا وختانًا) الذي اكتسب في مراحل تطوره عدة معان، ومن معانيه المشهورة في 'سلم التطور هو : أنّ (الختان) عملية تطهيرية ؛ يوجب على

المسلمين إجراؤها على العضو الذكري للمواليد الأطفال، أو الصبيان قبل البلوغ أو الزواج ؛ لأن الفقه الإسلامي يوصي بأدائها ضمن فروض الطهارة وتطهير الجسد، وهذا مرتبط ارتباطًا جدليًا بشروط النظافة وممارسة شعائر العبادة وطقوسها في آن معًا .. ومن هنا ندرك العلاقة الوثيقة بين ما كان للكلمة من معنى قديم عند عرب الجنوب وما آلت إليه من مفهوم جديد في العربية والفقه الإسلامي.

ب – (صرح) : وهو جزء مهم وأساسي من المعبد .. ولعله كان موضعًا واسعًا مهيبًا يتصدر المعبد من الداخل، يجتمع فيه الناس لتأدية الشعائر الدينية بصورة جماعية ومهيبة، إذ يبدو من اسمه أنه مكان ذو أبهة وجمال ؛ مميز بوسوعه وأناقته، وعلو موضعه وارتفاعه عن غيره من أجزاء المعبد ؛ لأنّ الصرح هو المبنى العالي المصروح بالبلاط، والمزود بالزجاج والرّخام .. وهو ما تكون عليه القصور والأبنية الترفيّة والأرستقراطية الضخمة والفخمة. ومن هنا ندرك أنّ كلمة (صرح) اكتسبت – في مراحل تطورها – معاني عدة ؛ منها :

1 – القصر أو ساحته. 2 – البناء المكشوف الشامخ في علوه.

وقد وردت الكلمة بهذين المعنيين في القرآن الكريم، فحملت المعنى الأول في قوله تعالى – من سورة النمل – عن ملكة سبأ ونبي الله (الملك سليمان بن داوود) عليه السلام : (قيل لها : ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة، وكشفت عن ساقيها، قال : إنه صرح ممرد من قوارير، قالت : ربي إني ظلمت نفسي، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (النمل : 27 /44). وحملت المعنى الثاني في قوله تعالى من سورة غافر : (وقال فرعون : يا هامان ابن لي صرحًا ؛ لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات ؛ فأطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه كاذبًا ...) (غافر : 40 / 36)، وفي قوله تعالى من سورة القصص كذل : (..فأوقد لي يا هامان على الطين، فاجعل لي صرحًا، لعلي أطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه من الكاذبين) (القصص : 28/ 38)، ولعلنا نلاحظ أنّ ثمة تقاربًا كبيرًا بين ما يكون عليه هذين المعنيين من دلالة الكلمة عينها ، وما كانت عليه في مفهومها الأصلي عند عرب الجنوب القدماء.

ج- (بيت) : ويعني معبدًا خاصًا بكهنة المعبد، أو أنه مكان إقامة الكهنة في المعبد. إذ لعله كان غرفة مهيبة واسعة، ذات نمط خاص ؛ أعدت لكهنة المعبد فيه خصيصًا دون غيرهم من القائمين عليه ؛ لكيما يقيمون فيها ويستقرّون على الدوام، لذلك أطلق عليها (بيتًا) على سبيل المجاز المرسل ؛ من باب تسمية الجزء باسم الكل ؛ لأن المعبد كله هو بيت عبادة، وذلك لما كان عليه ذلك الجزء من أهمية قدسية قصوى ريادية ؛ ولما كان له أيضًا من رهبانية خاصة عظيمة تسود رهبانية أجزاء المعبد الأخرى!.. ومن هنا يبدو لنا أنّ معنى (بيت) ارتبط في

الأصـــل ومـــن أول وهلـــة – عند العرب عمومًا، وفي أنحاء جزيرتهم – بمفهوم الحــرمة والقداســـة والعــبادة ؛ لكونه موضعًا يتجمع فيه الناس لأداء شعائرهم المقدسة وطقوس عباداتهم الدينية المختلفة بصورة جماعية، وهذا ما يدلنا عليه قوله تعـــالى : (إنّ أول بيتٍ ُوضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدىً للعالمين * فيه آياتٌ بيـــنات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنًا. ولله على الناس حج البيت من استطاع إلـــيه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.) (آل عمران : 3 / 96، 97)، ولذلـــك راحـــت القـــبائل العربية منذ عهود سحيقة موغلة في القدم تعظيم الكعبة المشرفة وتقدسها، وتقوم بحمايتها والحفاظ عليها مع مر الأزمان بتجديد بنائها كلما بلي أو تعرض لعبث عوامل الزمن، وهذا ما أثبته زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة بقوله :

فأقسمت بالبيتِ الذي طاف حوله * رجال بنوه من قريشٍ و جرهم

و(جرهم) قبيلة يمانية سكنت مكة المكرمة قديمًا قبل قريش، كانت تجلّ الكعبة وتقدسها بالطواف حولها والعبادة فيها، ومن ثم القيام عليها بخدمتها والحفاظ عليها ... ولـــم يكـــن لتكون تلك العناية بها، وذلك التقديس والتعظيم ؛ إلا لكونها البيت الحـــرام، وموضع الأمن والأمان، وملجأ العبادة وطلب الخير والثواب ؛ مصداقًا لقوله تعالى : (*جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس* ...) (المائدة :5 / 97) وقـــوله تعـــالى : (*وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين، والعاكفين والركع السجود* ...) (البقرة : 2 / 125).

وكمـــا أُطلق لفظ (بيت) – كمصطلح يحمل معنى الحرمة والقدسية والعبادة – علـــى قســـم من الأقسام المكونة للمعبد اليمني القديم، وعلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ؛ أُطلق كذلك على أماكن العبادة بمصرَ القديمة في عهد نبي الله (موسى) عليه السلام، وهو ما يبرزه لنا قوله تعالى : (*وأوحينا إلى موسى وأخيه : أن تبـــوءا لقومكمـــا بمصـــرَ بـــيوتًا، واجعلـــوا بيوتكم قبلةً، وأقيموا الصلاة، وبشر المؤمنيـــن.*) (يونس : 10 / 87)، وأُطلق أيضًا – في كنف الدعوة المحمدية – على المساجد (بيوت الله) ؛ فقد قال تعالى : (*في بيوتٍ أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال.*) (النور : 24/ 36) .

وقـــد اكتســـب مصطلح (بيت) – عبر مراحل تطوره مع الزمن – دلالاتٍ من معانـــي جديـــدة أخـــرى غير ما ذكرناه آنفا، بيد أنّ معظمها – إن لم يكن كلها – يشـــترك مع ما كان لمفهومه في البداية والأصل عند عرب الجنوب القدماء ؛ من معنى الحرمة، والإجلال، والحماية والحصانة...

د- مسأل : وهو المكان الذي يتلقى فيه المؤمن الوحي من الآلهة في المعبد،.. يبدو لنا واضحًا من المصطلح (مسأل) انه كان موضعًا للاستخارة في المعبد، يقف فيه العابد بين يدي معبوده ؛ بتسخيره بدعاءات وتضرعاته ؛ سائلاً اياه أن يفرج عـنه كـربه، ويحقق له أمانيه ورغباته في الحياة، وان يقضي له حاجاته وطلباته الملحـة فـي يومـه وحاضرة ومستقبله .. ولا ريب في أنّ صيغة (مسأل) – في اللسـان العربـي – اسم مكان على زنة (مفعل) متصرف من الفعل (سأل، يسأل سـؤالا) الذي اكتسب عبر مراحل تطوره في العربية الفصحى معاني عدة مختلفة الـدلالات، غير أنه بقي محتفظا – في إطار هذه المعاني – بجوهر ما كان له من معـنى غابـر عند اليمنيين الأقدمين، بحيث راح العرب والمسلمون – فيا بعد – يسـتعملون الفعـل (سأل) ومصدره (سؤال) – ضمن استعمالاتهم المختلفة لهما – بمعـنى الدعاء إلى الله جلت قدرته، وطلب قضاء الحاجة منه أساسا، وهو المعنى المفهوم من قوله تعالي : (قال : قد أوتيت سؤلك يا موسى، ولقد مننا عليك مرة أخرى)، فمعنى (أوتيت سؤلك) هنا : أعطيت مطلبك، وتحقق لك مرادك بدعاءاتك لله .. وقوله تعالى : (*يسأله من في السموات والأرض ؛ كل يوم هو في شأن* ...) (الرحمـن :55 / 29)، فمعنى (يسأله) هنا : يدعوه ويتضرع إليه، ويطلب مـنه .. ومن هذا المعنى ما نلحظه أيضًا في قوله تعالى : (*... واتقوا الله الذي تسألون بـه والأرحـام، إنّ الله كان عليكم رقيباً*). (النساء : 4 / 1)، فمعنى (تسألون) هنا هو : يسأل بعضكم بعضاً طالباً منه قضاء حاجته[64].

ومن الطريف أننا في كثير من الأحيان نسمع الناس يرددون ما يحمل هذا المعنى، فـي قولهم : (السؤال لغير الله مذلة) ، حتى غدا هذا القول – مع الأيام – يجري مجرى الحكمة، أو المثل السائر...

هـ- المحراب : وهو أقدس أقسام المعبد الأخرى على الإطلاق، ولخصها بعبادة الإله فيه، ولذلك كان يطلق عليه : "قدس الأقداس". (إرياني 71).

وكـان مصطلح (محراب) – بما له من طبيعة قدسية، ومفهوم عقائدي ديني – قـد راح يعمّـم في الديانات السماوية التوحيدية لدى الشعوب السامية الأثيلة ؛ إذ راحـوا يطلقونـه على جزء أو قسم بعينه من أماكن عبادتهم، أو على (المصلى) كموضع خاص بتأدية فريضة الصلاة، أو مبنى المصلى عمومًا، فضلاً عما له من معـنى عـام ألا هو : (صدر المبنى من مسجد أو بيت). وكل هذه المعاني التي حملها هذا المصطلح أو ردها التنزيل الكريم، كما سيتبين لنا أدناه.

وظل اللفظ عينه – أعني (محراب) – في اللسان العربي كما هو محافظًا على هيئته الأجرومية، وما يدل عليه معناه في اللغة والاصطلاح من مقصد لغوي علم، ومفهـوم دينـي خاص، وإن أخذ – كما يبدو يتطور شيئًا ما في ملمحه الدلالي ؛

بحيــث غــدا له مفهوم أكثر تحديداً ؛ يتلاءم مع طبيعة التطورات النوعية العميقة لمجرى العلاقات الدينية الوحدانية في العصور التالية، وعلى مدى العهود الإسلامية المتعاقــبة .. فصار في كنف الإسلام يطلق على جزء بعينه من أجزاء المسجد أو الجامع، وهو الموضع الخاص بالإمام حيث يقف في الصلاة يؤم جماعة المصلين، والمعــروف عــند العامة من الناس – في الديار اليمانية – بقبلة المسجد التي تقع دائمًا في صدارته وسطا[65].

أما القرآن الكريم فيذكر المصطلح في خمسة مواضع منه، ومن تتبعنا لسياقات هذه المواضع ؛ رأينا أنه لم يخرج فيما يقصد إليه من معنى عن ثلاث دلالات : اثنــتان تكــادان تتقاربان فيما منه من معنى، بل لعلهما تصلان إلى حد التماثل في ذلك إلا لماما، أما الثالث فتشترك معهما على قاعدة ما له من مفهوم عام في اللغة، وهو : مقدمة الشيء أو صدره، وذلك على النحو الآتي :

1 – أنّ المقصود به هو : (غرفة العبادة في بيت المقدس) خصوصاً، وذلك في قولــه تعــالى عن مريم بنت عمران (... *كلما دخل عليها زكريا المحراب ؛ وجد عـندها رزقًا ...*). (آل عمران : 3 / 37)، وفي قوله تعالى عن زكريا – عليه الســلام – من السورة عينها : (*فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب : إنّ الله يبشــرك بيحــيى مصــدقًا بكلمــة مــن الله، وسيداً، وحصوراً، ونبياً من الصالحين*). آل عمران : 39/3).

2 – أنّــه قصد به الدلالة على مبنى (المصلى) عموماً ؛ بكل أجزائه وأقسامه بما فــي ذلك الغرفة التي يتمّ التعبد فيها، التي هي عين المحراب ذاته، وذلك من باب تسمية الكل باسم الجزء ؛ لما يحمله هذا الجزء من أهمية كبرى، وقدسية عظمى .. وقــد ورد هذا المعنى العام للمصطلح (محراب) في قوله تعالى _ من معرض قصة زكريا عليه السلام : – (*فخرج على قومه من المحراب، فأوحى إليهم : أن سبحوا بكرةً وعشياً*.) (مريم : 19 / 11)، وقوله تعالى – في سياق عرضه لجانــب مــن حكايــة نبيه (داود) عليه السلام مع طرفين من الملائكة ظهروا له بصــورة بشر : (*وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا والمحراب * إذ دخلوا على داود، ففزع منهم قالوا : لا تخف ...*). (ص : 38 / 21، 22).

3 – أنه قصد به : (صدر المسجد أو البيت)، كما هو في قوله تعالى عن تسخير الجن لخدمة نبيه (سليمان بن داود) عليهما السلام : (*يعملون له ما يشاء من : محاريــب، وتماثــيل، وجفــان كالجواب، وقدور راسيات. اعملوا آل داود شكرًا، وقليل من عبادي الشكور*.). (سبأ : 34 / 13). [66]

وهنا – في هذا المعنى الثالث – نلاحظ أنّ المصطلح الجمع (محاريب) نكرة، ليدل – فيما يدل عليه – على ما له في أصله اللغوي من عام، وما يوحي به أيضًا

- فـي الوقت عينه - من معاني الرهبة، والأبهة، والفخامة والجمال... فضلا عما قد يتبادر إلـى الذهـن من دلالات أخرى مما اكتسبها عبر مراحل استعمالاته المختلفة، وذلك هو ما جعل التعبير به عمومًا - عند إطلاقه جمعًا أو مفردًا - عما هو بارز وواقع في الأصل صدرًا من المباني العظيمة والعمارات الضخمة قديمًا، أو ليدل بـه خاصة عما يحتل موضع الصدارة من مبنى مسجد أو بيت ؛ بحيث يكون ذلك الموضع هو الجزء المهيب والبارز، الكائن وسطًا في مقدمة هذا المبنى أو ذاك مـن دور العبادة أو البيوت - عموما - من ذوات الحرمة والحمى، متقدمًا بقـية الأجزاء سواءً من حيث موقعه الخاص والمميز، أم من حيث أهميته القدسية ومكانته الرفيعة في القلوب ؛ مميزًا عنها بما انيط به من وظيفة ريادية اعتبارية جليلة المقام - وذات شأن عظيم في كل الأحوال - تفوق سائر ما خصص لتلك الأجزاء الأخرى من وظائف دينية أو حيوية أخرى، وبما قد يكون له - وفقا لذلك - مـن رعاية أكثر، وعناية أعظم، واهتمام أشد .. إذ عادة ما تتطلع الأنظار إلى هـذا الجزء بالذات، فتتفكر فيه العقول، وتعقد عليه النفوس الآمال - اعتقادًا - في تحقيق أمانيها، وما ترجوه بدعاءاتها وتضرعاتها من قضاء لحاجاتها وطلباتها.

وفـي إطـار ما سقناه آنفا من دلالات، هنا ؛ نلاحظ أن مصطلح (محراب) - مفـردًا - أطلـق على مبنى (المصلى) عموما تارة، أو يطلق خاصة على (الغرفة المخصصة للعبادة والصلاة فيها) تارة ثانية، وعلى الموضع الواقع قبلة في صدارة المسـجد ومقدمـته تارة أخرى.. وعلى هذا يكون من اليسير على المرء أن يدرك العلاقة - القائمة على معنى القداسة - بين هذه الثلاثة الأماكن على وجه التحديد، وما الذي كان يعنيه (قدس الأقداس) في المعبد اليمني القديم، ومن ثم إدراك الصلة - فـي المفهوم العام - بين هذه الأربعة معاً ؛ وما يعنيه (صدر المبنى) من دور العـبادة أو البـيوت، والعمـارات الضـخمة والمهيبة ؛ ليطلق عليها المصطلح (محراب) كما رأينا..

هـ- (المذبـح) : وهـو الموضع المخصص في المعبد لذبح الأضاحي التي توهب قرابين لهذا الإله المعبود أو ذاك لدى عرب الجنوب الأقدمين.

ولـم تكن فكرة تقديم الأضاحي وذبحها قربانًا للآلهة قد اقتصرت .. فحسب - على عرب الجنوب القدماء، ومن ثم تخصيص مواضع بعينها داخل المعابد، أو في سـاحاتها ؛ لنحرها تبعًا لذلك، وإنما كانت قد امتدت ممارستها - على النحو عينه - إلـى مناطق بعيدة شتى، وأمم نائية أخرى ؛ إذ هي شاعت كذلك لدى أصحاب الديانـات الوثنية الأثيلة الأخرى في عموم الجزيرة العربية وخارجها، وهذا هو ما نستشـفه مـن تحريم القرآن الكريم : أكل لحم ما نذر لغير الله من الأنعام، أو ما اسـتهل عند ذبحه بذكر اسم آخر غير اسمه تعالى، وما ذبح على النصب الحجرية

التـــي كانوا يعظمونها ؛ فينحرون الضحايا عندها . وذلك هو من ضمن ما حرم على المؤمنين بالله والمسلمين كافة، مما نصت عليه الآية الثالثة من (المائدة)، وهي السورة الخامسة من سور التنزيل العظيم.

وكذلك مارست الديانات التوحيدية السماوية القديمة هذه الفكرة، فقد عرفها قوم نبي الله (موسى) عليه السلام – من بني إسرائيل، منذ أن طلب منهم هذا النبي تنفيذ أمره تعالى لهم بذبح بقرة، وهو ما يدلنا عليه بوضوح تام قوله تعالى : *(وإذ قال موسى لقومه : إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا : أتتخذنا هزءوا؟ قال : أعــوذ بــالله أن أكون من الجاهلين...)* وحتى قوله تعالى : *(.. فذبحوها، وما كادوا يفعلون)* (البقرة : 2 / 67 ، 68، 69، 70، 71).

وكانت هذه الفكرة عينها قد شاعت – من قبل – أيضًا لدى جماعات الحنفاء من أتــباع نبــي الله (إبراهــيم بــن آزر) عليه السلام، سواءً كانوا من الذين يقطنون الجزيــرة العربــية ؛ أم يقطنون أقاليم أخرى خارجها، إذ راح هؤلاء يمارسونها انتهاجاً لسنته عليه السلام، وذلك منذ أن همّ بذبح ابنه (إسماعيل) عليه السلام، وكاد يقدم على ذلك بالفعل الأكيد ؛ تصديقًا لرؤياه في منامه، وإيقانًا بها ؛ لولا أن فداه الله فــورًا بذبــح عظيم من عنده قبل أن يتم فعله ذاك .. وذلك ما يدلنا عليه النص القرآني من قوله تعالى : *(فلما بلغ معه السعي ؛ قال : يا بني، إني أرى في المنام أني أذبحك ؛ فانظر ماذا ترى؟ قال : يا أبت، افعل ما تؤمر به ستجدني – إن شاء الله – من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه : أن يا إبراهــيم * قــد صــدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين * إنّ هذا لهو البلاء المبيــن * وفديناه بذبح عظيم *)* (الصافات : 37 / 102، 103، 104، 105، 106، 107)

فكان أن غدت تلك الفدية من حينها تقليدًا متبعًا، وشعاراً مقدساً، وفرضاً واجباً الــتزم به كافة الحنفاء المسلمين على ملة إبراهيم عليه السلام من بعده، فظل لذلك أثــراً عظيمًا باقيًا على مر العصور اللاحقة التي سبقت البعثة المحمدية، يمارسونه باتــتظام وإكبار لمعانيه القدسية العظيمة، يؤدونه في الميقات المحدد من أيام موسم الحج الكبير والمعتاد إلى البيت الحرام، فيقومون بعملية نحر هدية المعلوم له سلفا، فلــم يكن لهم أن يحيدوا عن ذلك البتة ؛ اقتداءً بنهج ما كان يؤمن به أساساً أبوهم إبراهــيم عليه السلام، وتكريماً دائماً له، وتخليداً لسيرته النبوية العظيمة، ولأفعاله الســامية الجلــيلة ... وذلــك مصداقا لقوله تعالى : *(وتركنا عليه في الآخرين)* (السورة الآنفة الذكر، الآية : 108).

ومــا أن جاءت الدعوة المحمدية ؛ غداة انبلاج فجر الإسلام العظيم في القرن السابع الميلادي ؛ حتى راحت تثبت – على أثر ذلك النهج الإبراهيمي الحنيف –

فريضـــة ذبـــح الأضاحي على كافة جموع الحجيج، في يوم النحر المشهود، دون استثناء، وذلك ضمن تأديتهم شعائر الحج الأخرى وفرائضه المعلومة، والمكتوبة عليهم وفقًا للمبادئ الإسلامية الجديدة، المبنية على أسس وحدانية حنيفية، بحيث يتم تقديم تلك الأضاحي من حجاج بيت الله الحرام – في كنف الإسلام وأعرافه – نذرًا خالصًا لوجه الواحد القهار والدار الآخرة، مبرأة من كل ما كان قد الحق بها – قبل الإســلام – من مظاهر الشرك الباطلة والدخيلة عليها، فصار الحجّاج يأكلون شيئًا مــن لحومهــا – وهــم حــرم فــي الرحاب المقدسة – ويطعمون منها الفقراء، والمحتاجيــن من السائلين، والأعفاء من عزيزي النفوس المحرومين، وذلك امتثالاً لقوله تعالى : (*ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهــم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير* * *ثم ليقضوا تفثهم، ولــيوفوا نذورهــم، ولــيطوفوا بالبيت العتيق.*) (الحج : 22 / 28 ، 29) وقوله تعــالى من السورة عينها : (*والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير، فاذكــروا اسم الله عليها صواف، فإذا وجبت جنوبها، فكلوا منها وأطعموا القانع والمعــتر، كذلــك ســخرناها لكــم ؛ لعلكم تشكرون* * *لن ينال الله لحومها، ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم، كذلك سخرها لكم ؛ لتكبروا الله على ما هداكم، وبشر المحسنين.*) (الآيتان : 36 : 37).

وعلــى أية حال فإننا نرى في اللسان العربي أنّ مصطلح (مذبح) – على زنة (مفعــل) – إنما هو اسم مكان متصرف الاشتقاق من الفعل (ذبح) ؛ ليطلق عادة علــى كــل ما حدد، أو يحدد عموماً من المواضع المخصصة في الأسواق العامة لــنحر الناس – في بعض الديار اليمانية حاليًا – من راح يسمي المكان الذي تذبح فيه المواشي، أو يخصص لنحرها : (مسلخًا)، أو (مسلخة)، أو (ملخانة)، ومنهم مــن يسميه (مجزرة). ولعل هؤلاء – على ما يبدو – عندما يطلقون أيًا من الثلاثة الأسماء الأولى هذه ؛ إنما يريدون به في آن واحد : المكان الذي تراق فيه دماء الماشــية نحراً ؛ أي (المذبح)، والموضع الذي تسلخ فيه جلودها إثر الانتهاء من عملــية.ذبحهــا أو نحرها، وهو : (المسلخ، أو المسلخة، أو السلخانة) ؛ بحيث يكتفون بإطلاق واحد من هذه الألفاظ ؛ ليشمل في دلالتهم به على الموضعين معًا ؛ أعني : موضع الذبح أو موضع السلخ، وذلك لما لذلك من علاقة التلازم بينهما، فراحوا يتوسعون في الدلالة والمفهوم. أما الاسم الأخير (مجزرة) فلا يكون – على الأغلب – إلا مرادفًا لمصطلح (مذبح)، وإن أريد به أحيانًا الدلالة – في وقت واحد – على ذينك الموضعين.

ولا ريب في أنّ المصطلح (مذبح) عينه – في لفظة ومفهومه العام عند عرب الجــنوب القدمــاء – قد صلح إطلاقه أيضاً – في إطار العربية الفصيحة – على

الموضـــع المخصص بمكة المكرمة لنحر الأضاحي من الهدي أثناء تأدية فريضة الحج، وذلك هو الموضع الواقع تحديدًا في جبل (منى)[67].

و- (المطهــر) : وهي بركة ذات ماء نقي، دائمًا ما كان بناؤها يطلى بالنحاس، أما موقعها فغالبًا ما كان يقع وسط المعبد، وكان المتعبدون يلجأ ون إليها لممارسة الطهارة القدسية فيها، ولإزالة ما يعلق بهم من أدران وأوساخ، فيتطهرون من كل ما قـد وقـع عليهم من أنجاس ؛ ليتمكنوا بعد ذلك – مطمئنين – من أداء شعائرهم الدينـية وهـم علـى ما يرام من الطهارة المثلى، والنظافة التامة .. ولذلك راحوا يطلقون على بركة المعبد تلك (مطهرا).

ومصــطلح (مطهر) في اللسان العربي – كما هو واضح من لفظه – إنما هو اســم مكان على زنة (مفعل) – بكسر الميم وسكون الفاء وفتح العين – مشتق من مادة (ط هــ ر).

وكان هذا المصطلح قد نشأ في أجرومية العربية الجنوبية ؛ فشاع فيها كثيرا، وظل كذلك متداولا في كثير من البيئات اليمنية الحديثة ولهجاتها المحلية.. وهو مما يــدل علــى اعتناء الأقدمين من اليمنيين بالطهارة وتقديسهم لها، وحرصهم الأكيد على النظافة المثلى، وشغفهم الدائم بالغسل والاغتسال ... إذ كانوا يدركون – على مــا يــبدو – أنّ النظافة من دواعي الإيمان، وأنها تقربهم زلفى من معبوداتهم ؛ كــيفما كانــت الحــال قد دارت بتلك المعبودات، كما يدلنا أيضًا على توافر المياه الغزيرة في تلك الأحقاب الأثيلة.

وقــد عمد المتأخر ون اليمنيون في العصور الإسلامية المتعاقبة إلى بناء برك فــي المساجد والجوامع ؛ لإجراء فروض الوضوء فيها قبل أداء الصلاة وفي كل أوقاتهــا الخمســة المعلومــة. ولعل هؤلاء قد راحوا – وهم في رحاب الإسلام – يقتبسون فكرة بنائها في المساجد من إنشاء أسلافهم الأقدمين للمطاهر في معابدهم الوثنية القديمة.

ولكــثرة شــيوع فكرة إنشاء المطاهر في معابد قدماء اليمنيين ؛ أخذ أحفادهم على مر العصور يتوارثونها – بصورة أو بأخرى – في أبنية مساكنهم الخاصة إذ لــم تعــد الفكــرة – بل لم تكن من قبل ولا من بعد – مقصورةً على دور العبادة وحدهــا، وإنمــا راح الناس يخصصون مواضع بعينها للمطاهر في معظم الغرف الداخلــية من المنزل السكني الواحد، وما برحت الدور السكنية المبنية على النمط التقلــيدي القديــم ؛ وذات الخلوات (الغرف) العديدة – في كثير من القرى اليمنية علــى وجه الخصوص – تحتفظ بالمطاهر على غرارها التقليدي حتى يومنا هذا، وإن كــان إنشاؤها فيها قد أخذ منحىً آخر متواضعًا في الشكل والتصميم، وبسيطًا فــي الحجم والوسوع ؛ بحيث آلت مع مرور الزمن – على ما يبدو لنا – أشبه ما

تكــون بالحمامات المخصصة للاغتسال في العصور اللاحقة القريبة، أو المعهودة مؤخــرًا وحديثًا ... ويبدو لنا جليًا – مما سبق من حديث عن أجزاء المعبد اليمني القديــم – أنــه كان لكل جزء من تلك الأجزاء وظيفة محددة لممارسة نوع خاص بعينه من أنواع الطقوس الدينية المتعددة لديهم.

ولا غــرو فــي أنّ أهمــية المعبد لم تكن عندهم لتكمن فحسب في كونه مكانًا مقدسًا للعبادة وممارسة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة، وإنما كانت المعابد تقوم – فضلاً من ذلك – بوظيفة المراكز الإدارية ؛ إذ كانوا يحتفظون فيها بالسجلات الخاصة بالعقارات ومساحات الأراضي، وبسندات تحصيل ضريبة العشر المقدس، وبنســخ مــن المراسيم والعقود العامة والخاصة التي نراها منحوتة التدوين على جدران المعابد.

ومما يسترعي الإنتباه أنّ ثمة نوعين من المعابد : –

1– معابد محلية كانت تشيد داخل المدن أو المناطق.

3–ومعــابد مركزية كانت تبنى خارج المستوطنات ؛ على بعد كيلو متر واحد إلى الشــرق من هذه المستوطنة أو تلك، كمعابد : مارب ، والسوداء الكائنة في إقليم الجوف .. أو على بعد كيلو مترين اثنين فيما إذا كان المعبد المركزي هذا أو ذاك واقعــا إلــى الغرب من المسترطنة، كما هو حال معابد : (ريبون)، و(هجرة)، و(مشــغة)، و(ســونة)، وحصــن (الكيس)، و(باقطفة) ... في إقليم حضرموت.. والســبب فــي ذلــك إنما يعود إلى أنّ هذه المعابد كانت مركزية اتحادية، فكان لا يــرتادها إلا القبائل المستوطنة المنتشرة في المناطق المجاورة للمدن التي تشترك معًا في عبادة إلهٍ واحد.

1– محتويات المعبد :

يتبيّــن لــنا من خلال ما تمّ العثور عليه من محتويات المعابد ومقتنياتها ؛ أنّ الأدواتَ التــي كانــت تستخدم لأداء شعائر الطقوس الدينيةَ ؛ إنما هي ذات أنواع مختلفة ؛ من أظهرها ما يلي :

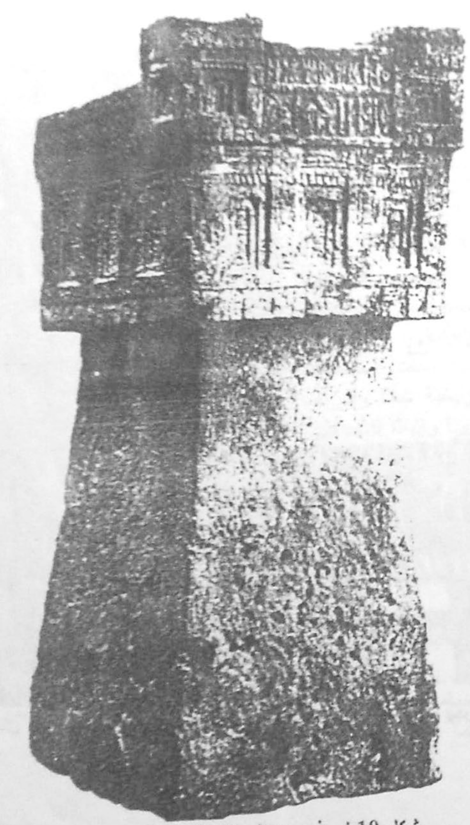
أ– أداة الذباحة : التــي كانت تسمى عندهم (منبحت) ؛ أي : "(المنبحة) ؛ على صيغة (مفعلة) – بكسر الميم – اسم آلة في اللسان العربي"، وهي الأداة التي كانت تمدد عليها الأضحية من الأنعام الحيوانية ؛ لإراقة دمها نحراً أو ذبحاً. وهذه الأداة مصنوعة من الحجر أو المرمر، تتخذ شكل منضدة على صورة ثور، وذات حافة تنتهــي بفــتحة أو عدة فتحات ؛ لينفذ منها الدم المراق نحو الخارج إلى الموضع المحــدد لتجميعه. أما طولها احيانافيبلغ (40، 66سم) تقريبًا، وعرضها (94، 27 سم) وأما ارتفاعها فيبلغ (7، 17سم) تقريبا ايضا، (انظر الشكل رقم 9).

ب- **مباخر متنوعة بديعة الصنع** ؛ لحرق البخور، وكانوا يطلقون على المباخر اسم (م ق ط ر)، أو (ق ط ر ت)، ولعل الاسمين – وقد اختلف جناسهما اللفظي هنا – إنما هما صيغتا جمع مختلفتين لمفردين مختلفين جناساً، فيكون الأول منهما : (مقاطر) على صيغة (مفاعل) ومفردة (قطارة)، اسم آلة على زنة (مفعلة) بكسر الميم وسكون الفاء وفتح العين. أما الآخر فهو جمع مؤنث سالماً (قطارات) – تشديد الطاء – ومفردة



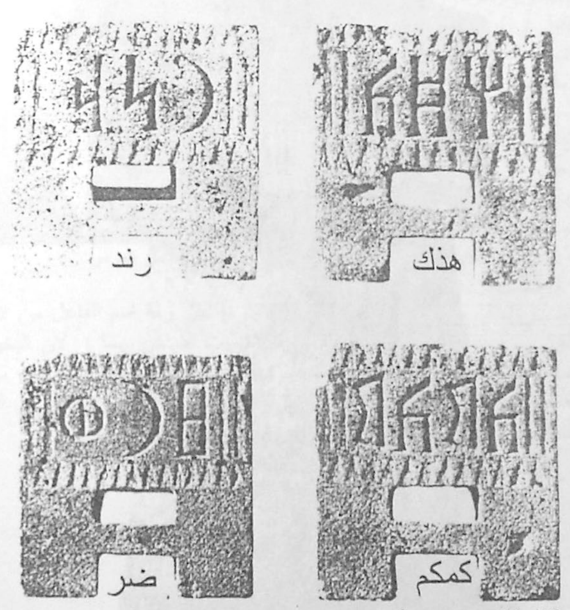
شكل 9 مذبح منصوع من المرمر

(قطارة)، أو هو (قاطرات) ومفردة (قاطرة) على زنة اسم الفاعل من الماضي الثلاثي. ويبدو من لفظي الاسمين أنه إنما سميت المباخر بهما ؛ لأن البخور من كثرة ما يحرق منه فيها إنما يذوب بها وينساح عليها، فيقطر منها – من شدة الحرق – كما يقطر الماء من الآنية أو الغيوم، أو كما يتقاطر الندى من الزهور وأكمامها... (أنظر شكل رقم 10).



شكل 10 نموذج من المباخر الحجرية

وقد تم العثور على أعداد وفيرة من هذه المباخر في معابد مختلفة مما تبينت أطلالها في نواحي شتى من الأرض اليمنية، وهي إنما تتميز بما لها من أشكال متنوعة رائعة، منها – على سبيل المثال - : ما هو مربع، وما يحمل عليه نقشًا ؛ أو زخرفه بديعة، وما يحمل اسم نوع البخور الذي كان يحرق فيها....(انظر الشكل 11).



شكل 11 مباخر حجدية كل واحدة منها تحمل اسم البخور الذي يحرق عليه

التماثيل : وهـي مـن أجمـل وأروع مـا عثر عليه من مقتنيات المعابد إذ هي مصنوعة إما من البرونز أو الرخام. وهذه التماثيل إنما ترمز غالبا لكائنات حيوانية كانت عندهم ذات شأن عظيم التقديس ؛ من نحو : الثور، أو الوعل، أو النسر ...

ومـن المثير – تباعًا لذلك – أن يعثر المنقبون عن الآثار في اليمن على قواعد مرتفعة مهيبة البناء ؛ تحيط بواجهات المعابد الأمامية، كانت قد جعلت خصيصا لتنصب عليها هذه التماثيل، (أنظر شكل 12).



شكل 12 تمثال نذري من البرونز لشخص يدعى (معد كرب) قدم بلاله المقه من معبد بصرواح (القرن السادس ق.م)

ج- النصوص النقشية : وهي – ولا ريب – أهم ما تحويه المعابد القديمة من المقتنيات الأثرية على الإطلاق ؛ لكونها – كما هو معلوم – أعظم المصادر الوثائقية التاريخية شأنًا وقدرًا، واصدقها تصويرا وإثباتًا للأحداث وحياة الأقدمين في عصورهم الأثيلة، وأوفرها فائدة ووثوقا لدراسة التاريخ اليمني القديم عموما ؛ لأنها من صنع الأقدمين ذاتهم، وتوثيقاتهم التي لا يعارضها شك، و لا يقاربها تحريف أو تصحيف غيرهم من البشر سواء في زمانهم أم غير زمانهم. ومضامين تلك النقوش إنما تتنوع فيما تحكيه وتذكره،

وأهم ما تذكره : بناء المعبد، واسم بانيه .. (انظر شكل 13).

وقد ألمحنا مشيرين في أكثر من موضع وموضع سبق - سواء في كتابنا هذا أم في غيره - إلى أنه قد عثر في اليمن على العديد من النصوص النقشية القديمة ؛ إلا أنّ من تلك النصوص ما عثر عليه مدونًا على جدران المعابد الداخلية والخارجية، وما تتضمنه هذه من كلام مكرس للمعبود أصلاً.

غير أنّ الغالبية العظمى، من نقوش المعابد هي نصوص لنذور قدمها مهدوها للآلهة من أجل تحقيق رغبة، أو أمنية، أو وعد... ومما يلاحظ على النقش المهدى من النقوش النذرية أنه يروي بإيجاز شديد غرض الإهداء، وإذا به ينتهي - مباشرة وللتو - بصيغة دعائية ؛ يطلب فيها صاحبه (المهدي) رزقاً وفيراً من المحاصيل الزراعية للآلهة - كتقليدٍ في حينه - إنما قد جرى اتباعه بعد ميلاد يسوع عليه السلام، أما قبل ذلك فلم تكن النذور إلا أضاحي حيوانية، ومن ثم راح المؤمنون - يقدمون نوعًا آخر من النذور ؛ يتجسد بتلك التماثيل التي يحمل الواحد منها اسم مهديه ووظيفته.

شكل 13 نموذج من الخط المسند مزين أطار بعناقيد العنب

وفي القرن الثاني للميلاد توسعت في المعابد دواعي النقوش وأهداف إهدائها، وما غدا لتلك الدواعي والأهداف من ضرورة ملحة، ذلك أنه بدلاً من إبراز الطريقة العامة لما كان قد تحقق - قبلاً - من الحماية خلال عمليات حربية بعينها، وذكرها بصورة موجزة مقتضبة للغاية وكفى ؛ راحوا منذ ذلك الزمن - أعني القرن الثاني الميلادي - يصفون الأحداث والمعارك الحربية في النقوش وصفًا شاملاً ؛ بتفصيل أكثر، وبطريقة أوسع ؛ فأخذ النص النقشي يذكر : اسم الموضع الذي دارت فيه رحى المعركة، والقبائل المشاركة فيها، واسم الملك الذي قادها، وتعدد أنواع الغنائم المستولى عليها فيها .. فضلاً عما صار يشمل عليه النص من قوانين ومراسيم تهدف إلى تنظيم إدارة البلاد، وجباية الضرائب. ولهذا كله فإن هذا

النوع من النصوص يمثل بحق – ودون أدنى شك – المصدر الأساسي الأشمل، والأهم والأعظم من بين مصادر تاريخ اليمن القديم.

غير أنّ الشواهد تدلنا على أنّ مقتنيات المعابد الأثرية – في عموم اليمن – كانت دائمًا عرضة للنهب والعبث المستمرين على مرور الزمن، وعبر المراحل التاريخية المتعاقبة.

(3) موارد المعبد :

مما هو يقين وثابت أنه كان للمعابد موارد دخل مادية وفيرة متنوعة : ثابتة دائمة، وغير ثابتة ولا دائمة. وكانت تلك الموارد – على اختلافها – إما أموالاً عينية، وإما تمويلات نقدية.. وجميعها كان من شأنه إعانة المعابد على بقائها حيوية نشيطة في تأدية وظائفها الدينية والدنيوية على ما يرام، فمنها : ما كان ينفق على بنائها والتوسع فيها، ومنها : ما كان يصرف لخدامها والقائمين عليها من رجال الدين ؛ وغيرهم ممن أوكل إليهم تصريف شؤونها ورعايتها والمحافظة عليها ...

وكانت الموارد الثابتة والدائمة تردها من ممتلكاتها العقارية الواسعة، والعينية الوفيرة الأخرى، التي كانت جميعها قد وهبت لها سلفًا، أو توهب لها نذراً باستمرار ضمن الهبات الهائلة والنذر الكبيرة المعتبرة؛ فضلاً عما كان يردها من الضرائب المقررة لها، أو الإتاوات المفروضة لها. أما ما كان غير ثابت ولا دائم من تلك المواد ؛ فهو تلك النذور المادية والقرابين العينية المحدودة ؛ مما كان العامة من الناس ينذرونه للآلهة في المعابد، أو أية عطاءات طواعية وخيرية أخرى مما سيأتي توضيحه لاحقًا في هذا المبحث.

وعلى هذا يمكن تصنيف أظهر المصادر التي كانت تأتي منها جملة تلك الموارد بجانبيها على النحو الآتي :

أ- الهبات المادية المنقولة وغير المنقولة، الممنوحة نذرًا للآلهة في المعابد، وهي – كما يبدو من طبيعتها العقارية والعينية الأخرى – أنها بمنزلة الأوقاف التي راحت توقف على دور العبادة والعلم في العصور اللاحقة، وعهودنا المتأخرة والحديثة... ومن أهم تلك الهبات ما كان منها :

أراضي زراعية – من تلك الأراضي الشاسعة المزروعة – بما تحويه من نخيل وأعناب، ومزروعات مختلفة. والملاحظ أن نقوش المكربين تميزت بتقديم الأبنية الدينية كالمعابد، والعسكرية كالمحافد، والمدنية كالمنازل، والزراعية كمنشآت الري المختلفة كالآبار، وأحواض مياه، وقنوات. إلى جانب تلك التقدمات تمتلك المعابد القطعان الوافرة من الأنعام، والمواشي الحيوانية المختلفة، من نحو : الأحصنة والثيران : (CIH 306) وغيرهما.

وكان ثمة من الهبات ما هو نوع آخر يختلف عن هذه الثلاثة ؛ هو عبارة عن حصص عينية مقررة من ريع الأراضي للزراعية ومحصولاتها المختلفة، إذ كان هذا النوع على شاكلة تلك الحصص المعلومة الواجب دفعها إلى الحكومة ؛ مما كان مفروضًا على أصحاب الأراضي للزراعية الوافرة العطاء والنماء.

ب- ضريبة العشر : هناك مقادير من الضرائب المقررة للدولة، ونسب منها مما كان مفروضاً على العقارات من الأراضي الواسعة، سواء أكانت تلك الأراضي زراعية مسقية أم بعلاً. وكان المقدار الواحد من تلك الضرائب يسمى عندهم (عشرا)، وقد ورد هذا الاسم بعينه في عدد من النقوش، ومنها النقش (إرياني 26) الذي ينص – فيما نص عليه – قائلاً : " أسعد أولم، وأخوه أحمد أزداد ... يقدما زكاة العشر من أموالها – (أي أموال الأراضي) – المسقية والبعل لإله سبأ ..."[68].

ويبدو واضحًا من هذا النقش أنّ مقدار (العشر) من الضرائب كان مخصصا كزكاة ضمن الواجبات الدينية، كان يعتبر زكاةً فعلاً ؛ لارتباطه أساسا بأداء الشعائر المقدسة عندهم، بحيث كان يؤول إلى المعابد، ليقدم للآلهة فيها، يحصد الإله العشر المقدس من المحاصيل الزراعية، ومن الثروة الحيوانية ومن الضرائب المخصصة، تلك العوائد تغطي مصاريف الصيانة، وترميم المنشآت الدينية، وينفق فيها على المصالح التابعة للمعبد وعلى الكهنة، كما يتم صرف تلك الموارد بقوانين خاصة يصدرها المعبد.

ويذكر (بريان دو) أن ملكية الآلهة للأرض والقطعان تكون أما بما يتقرب به اليمنيون قديما للآلهتهم أو بسبب ضريبة العشر التي يؤدونها .[69]

ومن وجوه الإنفاق من ضريبة العشر الخاصة بالإله تألب عمل وليمة تكريمية لحجاج هذا الإله يوم حجهم،[70] فالإله (تألب) لا يأخذ ضريبة في يوم الحج، وإنما يأخذ العشر بدلاً عنها، وهذا ما يعطي العشر بعداً دينياً، ويجعل الحجاج مقبلين على دفع ما حدده النظام الديني بهذا الخصوص .[71]

وتلاحظ الباحثة أنّ من أسباب وجوب العشر من غنائم الحرب التي خاضها المتقدمون، كما جاء في نقش (عنان 27). وجاء ذكر العشر في نقش (Ja615/14-18) ضمن سياق التقدمة، وهي تمثال مذهب، قدم للإله، وكان هذا التمثال من العشر الذي يجبى من المحاصيل المسقية والبعلية التي تم حصدها من كل الأودية والحقول والأراضي التي تسقى عبر قناة تابعة للمدينة. وهناك عشر قدم بمقتضى أمر إلهي، والعشر كان مزيجا من المحاصيل الصيفية (RES 176/ 2-3).

كما كان يجوز للمرء أحيانًا – وإن نادرًا – استبدال ما يجب عليه تأديته للمعبد من الضرائب – نقدية أو عينية – ببناء أو ترميم جزء أو أجزاء من المعبد .. فذلك أحد النقوش المعثور عليه مدون على سور مدينة براقش وهو النقش

(RES 3022) ينص على "أنّ الإله ارتضى بناء السور (أي سور المعبد) بدلاً من دفع الملزمات نقدًا ...". "ولعل المراد بلفظ (نقدًا) هنا – ضمن ما يراد به منه، كما يفهم من سياق النص – ما كان يدفع نقدًا من الأموال بالعملة ذهبًا أو فضة، أو يسلم عينًا من ريع الأراضي الزراعية ومحصولاتها...

(ج) الإتـــاوات : مما كان يفرض على الناس فرضًا من حين إلى آخر، فتجمع تلك الإتاوات خصوصاً وقت الحاجة والشدة لتؤول في الأخير لصالح المعابد.

(د) الـــنذور المادية والقرابين من الأموال العينية سواء أكانت من بهيمة الأنعام، أم غيرها مما كان المتعبدون من عامة الناس يقدمونه – كأفراد – لآلهة المعابد تقرباً إليها، وذلك وفقًا لما كان يرمي إليه الفرد من غرض من وراء تقديمه ذلك النذر أو القـــربان وحسب استطاعته وقدراته المادية. وكان ما يدعوهم إلى ذلك – فيما نرى -إمـــا الواجـــب الديني فرضًا ضمن أداء الطقوس وشعائرها المقدسة ؛ مما كان يحتفي به في المواسم المحددة، ويقام في المعابد باستمرار. وإما إحساس الفرد منهم إحساسًـــا شـــديدًا بحاجة ملحة إلى تقديم ذلك ؛ من أجل كشف الغمة عن نفسه، وإجـــلاء الهمة من صدره، أو طلبًا – في سياق دعائه وتضرعاته – لتحقيق منافع معاشـــية له، أو أمنـــية من نصرة أو استغاثة، أو غير ذلك مما كانوا يعتقدون بأنّ الآلهـــة قادرة على تحقيقه وتلبيته للواحد منهم.وأما مجرد الرغبة في التقرب، وما كانـــت تعقد عليه نية الفرد منهم من حين إلى آخر، بدافع من وازع ديني محض ؛ ليس من ورائه مقصد لتحقيق شيء من نفع شخصي مادي له، وإنما مقصد روحي محض ؛ وهو ابتغاء رضا الإله أو الآلهة وكفى... وسنشير لا حقًا إلى طبيعة النذور والقرابين التي كانت تقدم للآلهة في المعابد.

(هـــ) "عطـــاءات طواعية أخرى، وهي التي كانت طبيعتها أشبه ما تكون بالصدقات في العصور الإسلامية المتعاقبة لاحقًا، أو التبرعات الخيرية في عصرنا الحديث...".

وعلـــى أيـــة حـــال فـــإنّ ما كانت تحصل عليه المعابد من ريع ومحصولات ممـــتلكاتها من الأراضي الزراعية الواسعة الموهبة لها – أو الموقفة عليها – إنما كـــان يستودع في المخازن الخاصة بالمعابد عينها، وذلك ريثما يتم تصديرها إلى الخـــارج، أو بـــيعها في الأسواق المحلية، وأحيانًا كان يؤخذ جزء منها لينفق على المعابد ذاتها، أو يصرف لرجال الدين فيها.

ثالثاً : الكهنة وخدام المعبد من الأرقاء :

أ- الكهنة :

ارتبطت نشأة المعابد وإقامتها عند اليمنيين الأقدمين بوظيفة الكهانة، وبأولئك الكهنة الذين كانوا يشكلون طبقة وراثية مميزة، يتم تعيينها بمرسوم ملكي، كما ورد في النقش (إرياني 69).وكان السبئيون والحضارمة يطلقون على الكاهن اسم "رشو" (RES 2813) و(Ja 555)، أما القتبانيون فكانوا يطلقون عليه اسم "شوع". غير أننا نرى في بعض النقوش أن لفظ الاسم قد ورد مؤنثاً (رشوت) ؛ كالكاهنة (برعت) رشوت الإله (عم) بقتبان (أنظر شكل 14)، وكاهنة إلهة الشمس (ذات بعدن) (نامي 74) مما يدل على أن ثمة كاهنات من النساء كن يعملن في المعابد إلى جانب الكهنة من الرجال وتذكر لنا النقوش أسرة من الأسر تدعى (بنو رشوان) كانت ذات تخصص ديني محض ؛ فاكتسبت شهرتها "رشوان" من هذا التخصص، وكان أفراد بعينهم من أعضاء هذه الأسرة كهاناً خلصاً



شكل 14 تمثال للكاهنة (برعت) (تنقيبات

للإله "المقه" (Ja 554, 703) و(إرياني 27) ولم تغفل النقوش أن توضح لنا ما كان قد أنيط بطبقة الكهان من وظيفة قدسية جسيمة عظيمة، وما تبعها من مهام أخرى كبيرة دينية ودنيوية في آنٍ معاً، ومن أظهر ما كان يقع على عاتقهم من تلك المهام والمسؤليات ما يلي :

1- تسيير أمور المعابد، والمحافظة على ممتلكاتها ومقتنياتها.

2- الوساطة بين المؤمنيين والآلهة، حيث كانوا يمثلون الآلهة في تأمين الممارسات الدينية من طقوس وشعائر مقدسة، من نحو : استلهام الوحي، وانتظار

جـوانب الاسـتخارات والا ستخبارات .. ومن ثم توثيق كل ذلك، ولهذا كان ينظر إليهم نظرة مقدسة جليلة.

3-الإشراف المباشر على الأمور التالية :

أ- ما يقدمه الناس من نذور وهبات وعطايا، وهناك نقش (نامي 74) يشير إلـى أن تكـريس الـتقدمة من قبل أشخاص عاديين بدون مساعدة الكاهنة يغضـب الإلهة (ذات بعدن) ويحذر النقش من عدم تكرار مثل ذلك العمل، وعلى مرتكب تلك المخالفة غرامة مالية تبلغ عشرون نقداً[72].

ب- تدويـن المسـاند وتسـطيرها، إذ أن معظم مؤلفي النصوص النقشية ومدونيها كانوا من الشخصيات الدينية الرسمية البارزة ؛ من أمثال : كاهن الإله "المقه" وكاهن الإله "سمع" (GL 1519, RES 3945).

ب- إدارة أملاك المعابد الواسعة، وكيفية استغلالها وتسيير شؤونها.

ج-تسـليم الأراضي التي كان المؤمنون يوقفونها على الآلهة، وكيفية تحويل ملكيـتها إلـى المعـابد نهائـياً، ومن ثم جباية ما يكون لها من مستحقات ضرائبية، أو تحصيل ما يعود مما هو زراعي منها من ريع ومحصولات، أو ما يعود من أموال نقدية لما كان يؤجر من بعضها الآخر ..

فقـد عثر المنقبون عن الآثار في اليمن على نصوص نقشية بين أطلال بعض المعـابد وتحت خرائبها، حيث تبين من تلك النصوص أنها عقود إيجار واستئجار لبعض أملاك المعابد مما كان أوقف عليها من أوقاف.

(4) المحافظـة الدائمـة على دور المعابد، والرعاية المستديمة لأبنيتها، والعناية الكاملـة بها من حيث متابعة إجراءات صيانتها وترميمها وتجديداتها ؛ التي كانت كل نفقاتها تغطى من عوائد الضرائب المتنوعة كضريبة زكاة "العشر" وغيرها[73].

(5) القيام بحل ما كان ينشب بين الناس من شجار ومنازعاة بسبب الأراضي، إذ لـم تكن أعمال الكهان لتنحصر في الأمور الدينية فقط، وإنما كانوا يقومون أيضاً مقـام السـلطات الإدارية المنفذة لأوامر الجهات العليا المالكة، فيؤدون مهام تلك السلطات نيابة عنها ..[74].

ومما يسترعي الانتباه أن بعضاً من النقوش السبئية في مأرب قد راح يبين لنا : أن ثمة فئة متميزة من طبقة الكهنة ـــ من ثلاث عشائر مختلفة، بحيث كانت كل عشيرة منها تقدم مرشحها للكهانة وفقاً لما كان يتمتع به من شهرة ومواصفات ذاتية مشـهودة له قوامها السمعة الحسنة، والأخلاق الحميدة من نحو : النزاهة، والورع ... وغـيرها مـن المواصـفات والمعايـير التي تؤهله لتأدية هذه الوظيفة الدينية الحساسة في قدسيتها ؛ بكفاية عالية مفعمة بالجدية والأمانة ..

ومـــن الملاحظ أيضا أن السبئيين ــ في القرون الثلاثة الأولى للميلاد ــ كانوا يؤرخـــون كل عام باسم من يتولى وظيفة (الرشاوة) أي الكهانة، وذلك بدءً من عام توليته إياها إلى أن تنقضي المدة المقررة لبقائه فيها ؛ حيث كان الواحد من هؤلاء الكهـــنة يظـــل متسنما وظيفته هذه لمدة سبعة أعوام متتالية دون انقطاع البتة[75] وعلى أية حال فذاك النقش (نامي 7-6/12) ــ على سبيل المثال ــ يذكر لنا العام الخـــامس مـــن رشـــاوة (ودد إل). وذلـــك كله مما يدل على عناية اليمنيين قديماً بالتقويمات التاريخية والحرص عليها.

2- خدام المعابد من الأرقاء والعبيد :

وكان ــ إلى جانب الكهنة ــ ثمة أفراد من الأرقاء : ذكوراً وإناثاً ؛ ارتبطوا بخدمـــة المعـــبد ؛ فكانوا له وللإله الخاص به عبيداً أو أمات خلصا لا يفارقون خدمـــتها ليلاً أو نهاراً، ولا يتوارون عنها قيد لحظة البتة .. إذ ورد في النقشين (RES 2773) و (RES 3445) ذكر لنساء، هن ــ غالباً ــ من أصل عربي، كان أغلبهـــن قـــد جلب من مصر وسوريا للعناية بخدمة المعبد في المدينة عينها، وقد دابت النقوش تطلق عليهن (بنت إل) أي : (بنات الإله) (Ja 868,872).

وثمـــة آخـــرون من الأقنان الذكور كانوا قد أهدوا للآلهة ؛ ليتولوا مباشرة القيام بالأعمـــال العضـــلية المضنية، كالأشغال الضخمة المجهدة في مجال إنشاء المعابد وبناء دورها ومؤسستها (CIH 545).

غـــير أن ثمة نقشا معينيا من (العلا)[77] يشير ــ فيما ينص عليه من حديث ــ إلـــى طائفـــة مـــن الرجال والنساء معاً ؛ كانوا قد قدموا كرهائن للمعبد، فكرسوا لخدمة الإله فيه.

ويـــرى نقش آخر أن امرأة تسمى (حوال) كان اشتراها شخص ثم قام فيما بعد بإهدائهـــا مـــع كل ما يملك للإله (نكرح) (RES 3357)، وأن شخصاً يدعى (إل أوس) أهدى للإلهين:(عثتر) و(المقه) زوجته (حيوت) وكل أبنائه(78) (Gl 720).

فالنص النقشي الأخير ــ في صيغته التعبيرية هنا ــ إنما يدلنا، دون شك، على نـــوع مـــن الإحســـاس الديني الجياش، والورع الإيماني الفياض، والوازع الذاتي الصـــادق ... وقد صادفنا مثل هذه الصيغة في عدد وافر من نصوص نقشية أخرى ؛ ممـــا يـــنص على أن المرء يقوم بإهداء نفسه، وأولاده، وكل ما يملك للإله .... (RES 2693,4189). بل إننا نجد في النقش (RES 2693) ما هو أبعد من ذلك ؛ إذ نـــرى فـــيه أن أحـــد ملوك حضرموت راح شخصياً يمنح جهوده، وحياته، وممتلكاته لخدمة الإله (سين) وكل آلهة مدينته، مكرساً لها : ذاته وروحه، وصحته

وحواسه، وأولاده، وكل خيراته ...[79]. ولم يكن الأطفال ليستثنوا من أن يهدوا إلى الإلهة أيضا، كأولئك الذين كانوا قد أهدوا للإله(CIH 492, 493, 495).

رابعاً : الوحي :

لا مراء في أن معلوماتنا عن الوحي في الديانة اليمنية القديمة ؛ محددة للغاية، إذ كل ما قد صدفناه ــ فيما توافر لدينا من مصادر نقشية أو وثائق تاريخية ــ مما يشــير إلى هذا الأمر ويتعلق بمعانيه ودلالاته ؛ هو مصطلح (مسألة) أو (مسال) في المعجم السبئي ــوهو معجم حديث الإعداد والتأليف ــ تعني : وحي، جواب [80]، فالتنبؤ أو السؤال عن الغيب كان شائعا ومنتشرا في اليمن القديم. غير أن من الباحثين والعلماء المهتمين بالنقوش والآثار من يرى أن (مسال) يعني بالتحديد : المكــان المخصــص في المعبد لوقوف المتعبدين حينما يرون التقدم بالسؤال إلى الآلهــة متضــرعين لهــا طلبا الخيرة منها، متلمسين منها تحقيق ما يكون لهم من لمنيات ... أي : أنه مكان الاستخارة، ويؤيد هذا ما كان قد مر بنا ــ فيما سبق ــ عند الحديث عن أجزاء المعبد من أن الاسم (مسال) على صيغة (مفعل) في اللسان العربي إنما هو صرفيا (اسم المكان)، وهذا مما يدل دلالة قاطعة على أنه كان هو الموضــع المخصص في المعبد اليمني القديم لطلب الاستخارة بمفهومها الذي كان مــتعارفا عليه عندهم أنذاك، وهو ما قد اشرنا إليه آنفا.وثمة عدد وافر من النقوش النذرية تشير إلى أن النذر إنما كان يقدم بأمر من الآلهة تأتي بأمر الوحي، فالوحي يظهــر أثناء نوم المتعبد في مكان الوحي بالمعبد : بحيث كان الإله يطلب من عباده تقديم العطايا من القرابين والذبائح.

يشير النقش (Ja 567) إلى أن شخصا سمع في منامه عند دفتي الباب الشمالي الغربــي لمعبد (أوام) في مأرب بين الثورين جواب الإله لتضرعاته، وقد تم فعلا العثور أثناء التنقيبات الأثرية على بوابة بها آثار صورة لثور على السور، ولا بد وأن تكــون هــناك صــورة لــثور آخر على الجانب الأخر من البوابة، وكما هو معروف أن الثور رمز الإله (المقه).

ويتحدث النقش آنف الذكر إلى أن الشخص الذي جاء إلى المعبد للتضرع وطلب الحاجة، قد تلقى جوابا من الإله، والواضح أنه لم يرى في منامه من أوصل له ذلك الجواب، وانما حصل عليه عن طريق السمع، الأمر الذي يؤكد أن الكاهن هو من كــان يقوم بمهمة إيصال جواب الإله دون أن يظهر لصاحب التضرع تلك اللحظة ويشــير نقــش معينــي (RES 3306) وســبئي (Ja 735) إلى أنه على السائل أوالمتضرع تقديم القرابين وأداء الشعائر الدينية للحصول على الجواب المطلوب.

وتشــير كثير من النقوش إلى أن السائل أو المتضرع كان يقوم بتقديم القرابين حمداً للإله على منحه الجواب المطلوب، وفي كل الحالات كان الكاهن هو الوسيط

بيــن المتعبد والإله دون أن يظهر، فمن هذه الأمثلة نخلص إلى القول بأن صاحب منصـــب (الرشـــو) هو الكاهن الذي كان يقوم بمهمة تلك الوساطة، وإبلاغ جواب الإله للسائل أو المتضرع.

وتؤكد عدد من النقوش إلى أن الإله يطلب من قومه القيام ببعض الأعمال عن طـــريق الوحي فقد طلب من الجاليات السبئية الحديثة النشأة والانتشار في المناطق الأخـــرى ــ مما تمكنوا من هزيمتها واحتلالها، أو التوسع فيها ــ بإنشاء معابد له فـــيها .. إذ نـــرى في النقش (RES 3945) أن الإله (المقه) كان قد أمر السبئيين بإنشـــاء جالية في إحدى مدن الجوف المهزومة، المشهورة آنذاك بمدينة (نشن) ــ المعروفة اليوم بـــ (السوداء) ــ وأن يبنوا له معبداً فيها، وفضلاً عن هذا نصادف في النقش (إرياني 11) أن الإله (المقه) أيضا قد راح يوحي إلى الملك (شعر أوتر) أمـــرا بأن يستنصره في حرب خاضها مع زعيم يدعى (حياو بن عثربان)[81] وأما النقش (Rossini 94) فنجد فيه أنه ينص على أن : " (أبشم دعم يدع) نصب لسيده (يصـــدق إل فـــرعم بن شرح عث) : ملك أوسان بن ود ؛ تمثالاً من الذهب في هيكله نعمان ؛ لأن أباه (ودا) ــ هو الذي قد كان ــ أمر بذلك.[82] ويبدو أن هناك مخاطبة تتم بين المتعبدين والإله، فلفظة (مسألة) اسم معنىً، وهي تدل ــ فيما تدل علـــيه من معان ــ على الحالة التي يتلقى فيها المستخير ما يتلقاه من أوامر الآلهة أثـــناء وقوفـــه في موضع الاستخارة داخل المعبد، وقد طالعنا هذا المدلول في أحد النقوش عند وقفنا منه على عبارة : " فههو المقه بمسألة ... "ومعناها : أن الإله المقه أمـــره وهو واقف في مكان الاستخارة [83]، غير أن "الأمر الإلهي" في النقوش غالبا ما يـــرد مدلولهـــا علـــيه بلفظة (حج) أيضا (Ry 3945/2) وهذا يدلنا على أن ثمة مخاطـــبات مـــن نـــوع آخر كانت تتم مع الآلهة، وذلك حينما يتولى الكاهن مهمة الوسيط بين الآلهة وهذا المؤمن أو ذاك، بحيث يقوم بنقل ما توجهه إليه الآلهة من وحي إلى المتقدم من المؤمنين بالتماس تضرعا، وطلب الاستخارة ... فعلى سبيل المـــثال نلاحـــظ في النقش (إرياني 69) أن الإله "المقه" راح يأمر عبديه : (وهب أولم) و(كـــرب عثت) بتولي أمر الوحي، والتوثيق في معبد (بران) .. وإذا بهذين الرجليـــن ينطلقان شاكرين لإله (المقه) على ما تلقيا منه من وحي صادق، وهداية ورشد..[84].

وهـــناك بعض المعابد المشهورة يقصدها الناس لغرض التنبؤ بالمستقبل، مثل جـــبل (أتـــوه) حيـــث تقام الطقوس الدينية، ويقصده الحجاج من كل صوب طلبا لتكهـــناته وتنـــبؤاته [85] ولم يكن ذلك المكان سوى معبد الإله (تألب) فكان الوحي يصدر باسم الإله، لذلك سمي السيد الموحي ريام ..(CIH 575/2).

وكان معبد (أوام) كما اسلفنا الذكر من المعابد المقصودة لهذا الغرض، وهناك نقوش عثر عليها في معبد (عثتر) بـ(نشق) تتحدث عن الشعائر الأزمة لسؤال لكاهن المتنبي.

خامساً : شعائر الطقوس الدينية :

أرسى اليمنيون قديما شعائرطقوسية مختلفة، تقام في مواقيت محددة (CIH 460, 466)، الغرض منها التقرب للآلهة لكسب رضاها، فالآلهة هي التي تثيب وتعاقب، تثيب المتقي والمتعبد لها والمتقرب إليها بالنذور، فتعطيه رزقا وفيرا وتبارك له في نفسه وفي أهله وترزقه بذرية صالحة، أما العقوبة فتكون بانزال البلاء على من يستحق من الخرجين على أوامر الآلهة المخالفين لسلوك المجتمع المتجاوزين للحدود والواجبات، وإما إحساس الفرد منهم إحساسًا شديدا بحاجة ملحة إلى تقديم ذلك ؛ من أجل كشف الغمة عن نفسه، وإجلاء الهمة من صدره، أو طلبًا - في سياق دعائه وتضرعاته - لتحقيق منافع معاشية له، أو أمنية من نصرة أو استغاثة، أو غير ذلك مما كانوا يعتقدون بأنّ الآلهة قادرة على تحقيقه وتلبيته للواحد منهم.

وأما مجرد الرغبة في التقرب، وما كانت تعقد عليه نية الفرد منهم من حين إلى آخر، بدافع من ونزع ديني محض ؛ ليس من ورائه مقصد لتحقيق شيء من نفع شخصي مادي له، وإنما مقصد روحي محض ؛ وهو ابتغاء رضا الإله أو الآلهة وكفي... ومن أبرز تلك الشعائر :

1-الطهارة الطقوسية وحرمة المعبد :

الطهارة شيء مقدس عند الساميين بشكل عام، والإخلال بطقوس الطهارة وبالذات في المعابد يعد جرما شنيعا. فللمعبد قدسية مطلقة اشارت إليها عدد من النصوص النقشية، فيحرم على المرء دخول المعبد وهو نجس أو متسخ (CIH 548)، كما يتوجب على قاصدي المعبد الاغتسال، كغسل أجسامهم وملابسهم في أماكن خاصة في المعبد خصصت لهذا الغرض، والمخالف لذلك يعد آثما يعاقب على فعله بالاعتراف العلني بالذنب وبدفع الفدية أو الكفارة التي يحددها الكاهن بأمر الإله.

ومن المحرمات الشائعة سيلان الدم، ليس في الديانة الوثنية في اليمن القديم فحسب، بل شملتها كثير من الأساطير اليونانية، فالدم يرافق النجاسة.

يذكر نقش عثر عليه في مأرب أن إمرأة قدمت قربانا للإله (ذي سموي) وهي حائض فلزمتها الكفارة، وأخرى تضرعت للإله نفسه أن يغفر لها خطيئتها، ويتوب عليها حيث أخطأت بحق معبده فقد ذهبت إليه وهي على نجاسة(86).

فالنجاسة ليست مرتبطة بدم المرأة في فترة الحيض، أو النفاس – كما يعتقد البعض – بل سيلان الدم بشكل عام، حتى وإن كان جرحا أو خدشا في مكان مقدس كالمعبد، يعتبر تدنيسا لحرمة المعبد، وعلى المخطئ دفع الفدية.

كما يحرم على مرتادي المعبد الشغب وإثارة الفوضى في بيوت الآلهة فالنقش (CIH 548) يتحدث عن عقوبة من يثير الشغب في الحرم، ومن يعمل ذلك يقدم ثورا قربانا وينفق المأكولات، وهذا يذكرنا بلزوم إطعام الفقراء والمساكين والأيتام في الإسلام عقب إهمال فرض من فروض العبادة.

1- النذور والهبات :

تمثل النقوش النذرية أكثر النقوش شيوعا مقارنة بغيرها، حيث نجدها قد نحتت على جدران المعابد، وقد تحفر أحيانا على القطع المقدمة للآلهة، والتي هي عبارة لما عن ألواح برونزية أو تماثيل حجرية أو معدنية، وأحيانا تحفر تحت القاعدة الحجرية الحاملة للتمثال.

لقد جاء في النقوش لفظة (نذر)، و (نذرم)، و(نذرن) (Ja702/3) والتي تعني تكفيرا عن ذنب، ويبدو من النصوص الكثيرة الخاصة الخاصة بالنذور أن هذا النوع من الطقوس لعب دورا هاما في الحياة الدينية لقدماء اليمنيين، حتى صارت لديهم بمنزلة المظهر الرئيس للتعبد، الذي يرتكز على التضحية والبذل المادي لإرضاء الآلهة.

وفي الغالب تقدم النذور بناءً على أوامر الآلهة، حيث يقوم الكاهن بإبلاغ المتعبد بنوع النذر المطلوب تقديمه للآلهة كشرط لمنح النعمة المطلوبة، أما أنواع هذه النذور فتتمثل في نذور مادية وأخرى من الأموال العينية سواء أكانت من بهيمة الأنعام ممثلة في الذبائح (CIH 306)، أم غيرها كالأراضي والمنشآت الزراعية، والتماثيل، المصنوعة من البروز أو الفضة ... مما كان المتعبدون من عامة الناس يقدمونه – كأفراد – لآلهة المعابد تقربًا إليها، وذلك وفقا لما كان يرمي إليه الفرد من غرض من وراء تقديمه ذلك النذر أو القربان وحسب استطاعته وقدراته المادية، ويقدم المؤمنون بعض أجزاء الجسم المصنوعة من البرونز أو الفضة، هناك عدد من النقوش تتحدث عن طلب حماية الآلهة لبعض أعضاء الجسم كما جاء في عدد من النقوش نذكر منها (Ja 567 / 19-20) (و ب ر ي / أ ذ ن م) أي ليشفي الأذن والمقصود بذلك يطلب من الإله سلامة الحواس، أو منح القدرة والسلطة والطاعة،[87] وعثر أيضا على كثير من الأذرع والأرجل تمثل نظائرها المريضة. أما اليد من البرونز فهي رمز لطلب الحماية، فقد عثر على يد يمنى من البرونز تحمل نقشا عبارة عن إهداء للإله تألب ريام من قبل وهب تألب

وإبنه حصام من بنو سخيم طالبين الصحة والسلامة [88] (أنظر الشكل 15)، ونجدها كثيرا محفورة على النصوص النقشية أو على الأحجار.



شكل 15 يد نذريه من الرونز لطلب الحماية (المتحف البريطاني)

2- القرابين :

مفرد قربان من أصل الفعل (قرب) أي تقرب إلى الآلهة، ويتم ذلك من خلال الذبائح الحيوانية وحرق الطيوب.

وقد مرّ بنا فيما سبق أن أشرنا عمومًا الى طبيعة النذور والقرابين التي كانت تقدم للآلهة في المعابد.

أ- الذبائح :

وردت في النقوش لفظة (ذبح) تعني ذبيحة، و(ذبحم)أي ذبحوا و(أذبح)، والمقصود بها ذبائح، وتعد البقر والثيران والأغنام والمعز من أكثر الحيوانات شيوعا في الذبح عند سائر الشعوب السامية، تقدم تلك الذبائح في مناسبات مختلفة كبناء منشآت خاصة أو شكر وحمد للآلهة على أمنية أو رغبة تحققت، وقد تقدم تلك القرابين جماعية في مناسبات عامة كالحج، أو الاحتفالات الدينية، أو فردية.

فهناك نقش (Ja 949) يتحدث عن ملك حضرموت (يدع إل بين ربشمس) يذكر القرابين التي قدمها للإله (سين) في أحد الاحتفالات الدينية، فقد ذبح (35) بقرة، و(82) وعلا بريا، و(25) غزالا وثمانية من الفهود.

ب ـ البخور :

يشكل البخور جزءا بارزا من الشعائر الطقوسية ليس لدى عرب الجنوب فحسب، بل في العالم القديم بأسره، فقد عرف القدماء أهميته منذ بداية التاريخ ونشوء الحضارات، فهو يعد من القرابين المقدسة حيث كان يحرق للتطهير واسترضاء الآلهة. لهذا نجده يستخدم أثناء تأدية الشعائر الدينية المختلفة كما يستدل من المباخر التي وجدت بكثرة ملحوظة في المعابد. لقد امتازت تلك المباخر بأن لها أشكال متعددة : دائرية، ومكعبة، ومتوازية السطوح، وأخرى هرمية ـ مخروطية، مصنوعة أما من الحجر وأما من الفخار أو المعدن، ومنها صنع من البرونز، لقد تفنن اليمني القديم في صنع تلك المباخر ونقش عليها اسم البخور الذي يحرق فيها، واسم صاحبها، واسم المعبد الذي خصصت له، والإله الذي نذرت له، إلى جانب تلك الكتابات نجدها تحمل رسوما كالهلال والقرص، وبعض المباخر تحمل رموز حيوانية، وزخارف نباتية[89]. وينبغي الإشارة أن الروائح وحدها لم

تكـن عامل الربط بالآلهة، بل تستخدم تلك الروائح الطيبة لطرد الأرواح الشريرة أيضا.

4ـ الحج :

طقـوس الحج معروفة في اليمن القديم، وقد جاء ذكرها في العديد من النقوش بلفظة (ح ض ر) كما جاء في نقش (Ja 651/17) و (و ف ر) من الفعل (هـ و ف ر) كما جاء في نقش (Ja 669/14-15) و (ح ج) كما جاء في نقش (CIH 547/6) والمعـروف أن هناك فترات محددة من العام يمارس فيها المؤمنون الحج وعلـى أساسه وضع قدماء اليمنيين تقويمهم السنوي، ولا شك في أن معبد الإله المقـه (أوام) بمأرب كان من أعظم المعابد الرئيسة في اليمن القديم التي كان يحج الـناس إلـيها منذ عهد بعيد، ويأتون إلى هذا المعبد من مناطق متفرقة وأن بعدت جغرافيا، وأكبر دليل على ذلك كثرة النقوش النذرية التي عثر عليها في هذا المعبد والتي تجاوز عددها (464) نقشا، ومن أهم النقوش السبئية التي سلطت لنا الضوء على موسم حج الإله المقه هو النقش (Ja 651) والذي يشير أيضاً إلى إقامة الإحـتفالات والشعائر وينوه إلى استمرار هذه الشعائر إلى اليوم التاسع من الشهر، فقـد تحدث النقش عينه عن سلامة الجماعة التي أرسلهم سيدهم في مهمة وهي : مراقـبة وخدمـة الحجاج، والإشراف على أعمال بمدينة مأرب أثناء انعقاد الحج السنوي الذي يقام في شهر (أبهى) من التقويم السبئي، الذي يصادف موسم الأمطار حيـث قاموا بأعمال إنقاذ، فأعادوا بناء أسوار ومحافد (مأرب) لحماية المدينة من اندفاع السيل[90].

فالحج السنوي لمعبد الإله المقه بمأرب لا يتم من قبل المتعبدين في المعبد فقط بل هو إجباري على كل الأفراد من رجال ونساء وأبناء كما جاء في النقش (Ja 669) [91]، وإلزامي أيضاً على كل القبائل التي تدخل ضمن التحالف السبئي، مثال اتحـاد قـبائل سمعي كما جاء في النقش(RES 4176) والذي يشير إلى أن الإله الخاص باتحاد سمعي (تألب ريام) أمر شعبه بالاشتراك في مراسيم الحج التي تقام فـي معبد المقه بمأرب في شهر (أبهى) من كل عام، فتشريع الحج الذي أسند إلى تألب جاء بصيغة الأمر الموحي به إلى أتباع الإله وهم قبيلة سمعي.

كمـا تقام مراسيم الحج للإله (سين) في معبد بشبوة كما جاء في نقش (إرياني، 3، الملحـق ب) [92] (ل ق ر ب / ح ض ر / س ي ن) .. لحضـور حج الإله سين...

أمـا حـج الإلـه (تألب) فيتم بمعبد (ريام) وجاء تشريع الحج للمقه في الأيام المقدسـة لـدى قبيلة سمعي وهي أيام الحج إلى تألب، وأشار (بيستون) إلى أن هذه المشـروعية قد فرضت في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، وهو القرن الذي شهد

تحالفات بين سبأ وسمعي [93]، وأوضح النقش (RES 4176) الطقوس التي كانت تمارس في الحج في معبد (ريام) للإله (تألب) :

الأعمال المحضورة :

1- يحضر الإله تألب على الحجاج في منطقته دفع الرسوم الضريبية.
2- يحضر رعي الماشية عمداً في يوم (ت ر ع ت)؟
3- يحضر صيد الوعول الحوامل والمرضعات.
4- يحضر سوق الناقة بطريقة تسبب لها الأذى في فترة الاحرام.
5- يحضر على سمعي عمل كمائن صيد في فترة (الحج).
6- يحضـــر الجمـــاع (أثناء الحج) وهناك عدة نقوش تزكي هذا الحضر إذ يعد الجماع في الحج خطيئة يستوجب عليها التكفير والاعتراف العلني بالذنب.
7- يحضر على سكان (ر هـ ب ت) من التباهي بالأباء في يوم (ت ر ع ت)
8- يحضر النزاع أثناء الحج.

الأعمال المشروعة :

1- ذبـــح الماشية، فقد أمر تألب عن طريق الوحي ذبح سبعمائة من الماشية في يوم واحد ويكون هذا الذبح بالوادي، كما يؤكد النقش على تقديم أضحية سليمة في الحج.
2- فرض العشر على الماشية.
3- إسداء مراقبة أملاك الإله تألب على عاتق الأقيال وسدنة المعبد.

إن مـــا جـــاءت به النقوش ذكر في الأدبيات الإسلامية، فقد أشار الهمداني في كـــتابه [94] أن "بيت ريام" كان منسكاً يحج إليه، ويضيف : " وهو في جبل (أتوه) مـــن بلـــد همدان ... وأتوه : اسم اشتق من اتيان الناس إليه. أما (ابن الكلبي) فقد ذكر أنه كان لحمير بيت يقال له ريام يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه "[95]، لقد أكدت النقوش تلك الحقيقة فبيت ريام معبداً قديم من بلـــد همـــدان تـــؤدي فـــيه مناسك الحج، في أيام معلومة من العام وتقدم القرابين، والذبائح ويستجيب الإله لتضرعات وتنبؤات الحجاج.

ومن المدن التي يحج إليها في (الجوف) مدينة (ينل) براقش حالياً، وفي وأثناء موســـم الحـــج يمارس الحجاج شعائر طقوسية، منها : تقديم الأضاحي، والولائم، والطـــواف، والاعـــتراف العلني بالذنب، وهي عملية تطهير للنفس من الأخطاء والآثام التي ارتكبها المؤمن، كما يكثرون من الصلوات والدعوات.

5- الصيد المقدس :

تحدثت العديد من النصوص النقشية عن الصيد المقدس وبالذات تلك التي يعود تاريخها إلى العصر السبئي الأول (مطلع الألف الأول قبل الميلاد) عهد المكاربة، تتم ممارسة هذا النوع من الشعائر الطقوسية في تاريخ محدد من كل عام، ويقوم به المكاربـــة أنفســـهم مصطحبين معهم كبار القوم والكهنة، فتذكر لنا النقوش موسم الصـــيد والمكان الذي يتم فيه الاصطياد، وتحتل الوعول، والبقر، والبقر الوحشي مكانة بارزة في مجال الصيد الديني المقدس.

ويتضـــح أن هـــناك صيد يمارس بواسطة الشراك يقام للإله تألب ذلك ما أكده نقـــش (RES 4176/ 6-7) مشيراً إلى أن الإله (تألب) يحضر قبيلة (سمعي) من عمل كمائن صيد في فترة الحج.

وهـــناك نقـــش باسم لمرأة تدعى (جحمة) تصف بـــ (ذات بيت يثع أمر) أي صاحبة بيت (يثع أمر) وهو أحد المكربين حكام سبأ. مثل هذا النقش يشير ــ دون أدنـــى شـــك ــ إلى أن المرأة لها حق المشاركة في الصيد المقدس فهي تخرج مع الخارجين، وتعسكر في البادية، فيكون هناك صيد باسمها.

ومن النقوش أيضا نقش للمكرب (يثع أمر بين بن سمه علي) يوم خرج لتأدية ما يسمى بصيد عثتر (RES 3625)، وصيد تألب (RES 4176)، ويرى بيستون أن صيد عثتر يعني صيد الحيوانات التي تهدى للإله (عثتر) ومنها الوعول أو للإله (تألب) وهذا تفسير فيه كثير من المنطق.

أما نقش (Ja 949) فيتحدث عن رحلة صيد قام بها الملك الحضرمي (يدع إل بيـــن بـــن ربشمس) من أحرار يهبئر كنوع من الشعائر الطقوسية لغرض حصوله علـــى حظـــوة الآلهة عند توليه الحكم، وبمناسبة ما قام به من منشآت معمارية في عاصمته (شبوة)، فقد اصطاد آنذاك خمساً وثلاثين بقرة، واثنين وثمانين وعلاً برياً، وخمسة وعشرين غزالاً، وثمانية من الفهود، قدمهم جميعاً قرابين للإله (سين).

فالصـــيد له قدسية محددة والإخلال به يوجب الكفارة حتى لا يتكرر مثل ذلك، فهناك شخص أو جماعة لم يؤدوا الصيد المقدس للإله حلفان في شهر (ذ م و ص ب م)، وذلـــك عـــندما ضعنوا إلى (يثل) لحرب حضرموت وقاموا بدلاً من ذلك بـــالحج لإلـــه آخر هو (ذو سموي) بيثل، وأجلوا صيدهم المقدس حتى شهر (ذي عثتر) لذا وجب عليهم التكفير(CIH 547/3-8)[96].

6 ــ صلاة الاستسقاء :

مـــن الطقوس التي مارسها اليمنيون قديماً الاستسقاء لغرض التقرب إلى الآلهة مـــن أجـــل نزول المطر عندما تصاب المنطقة بجفاف يهدد حياة السكان، فيقدمون القرابين والأضاحي لذبحها في العراء، ويردد الناس الأدعية والأناشيد الجماعية.

وأهــم نقــش يحدثــنا عن صلاة الإستسقاء هو (Ja 375) يقدم لنا هذا النقش وصــفا ينــبض بالحياة للكيفية التي يتم فيها ممارسة الطقوس الخاصة بالاستسقاء، فيحدثــنا الــنقش عــن ما أصاب بلاد سبأ من قحط شديد بسبب الجفاف، ونذرت الأمطار الذي استمر عام ونصف العام، مما دفع بقبيلة سبأ وبنات مارب للمسير إلى معــبد الإله المقه (معبد أوام) في موكب ديني حيث أطالوا دعواتهم، وتضرعاتهم، وأكثروا من تقديم القرابين، ومن الطواف إلى أن تمت الإستجابة لدعواتهم في اليوم نفســه، فهطلت الأمطار بغزارة وملأت مياهها حقول الزرع، وروت كل الوديان والحقول.

يشــير الــنقش إلى أهمية إقامة الشعائر الطقوسية الخاصة بالإستسقاء ودور المــرأة الهام في تأدية تلك الطقوس الدينية، وقد أكد (بيستون) ذلك مضيفا إلى أن دور المرأة في تأدية الشعائر الطقوسية، إنما هو تأكيد على الخصوبة،[97] وقد أكد الــنقش علــى أن من شارك إلى جانب رجال القبيلة هن (بنات مارب) أي الفتيات (ربما البكر) وربما يكون لذلك دلالة خاصة، واستجابة أكيدة من الإله. كما يتضح من النقش أيضاً أن إقامة الصلوات يتبعها حتما قبول الدعوات.

وهــناك نقــش (Ja 658/1-12) يتحدث عن صلاة الاستسقاء قامت بها قبيلة (سبأ كهلان) للإله المقه لغرض أن يمنحها المطر بعد جفاف، ويعطيهم الإله إشارة بتحقــيق مــا طلبوه منه، وبعد ذلك حقق لهم الإله مرادهم بأن أنزل عليهم المطر، وكــان نــزول المطر في اليوم الرابع،[98] إلا أن هذا النقش لا يصور الممارسات المتبعة في الاستسقاء كما هو الحال في النقش السابق.

وحــتى عهــد قريــب لم ينكر العلماء وجود نوع من الأدب الديني عند قدماء اليمنيــين، خاصــة بعد أن عثر على قصيدتين كتبتا بخط المسند، عبارة عن دعاء استســقاء، أحــد تلــك الأناشيد يتوجه صاحبها بالدعاء إلى الإله (كهل) وهو الإله الرئــيس لقبــيلة (كندة)، طالبا المطر بعد اشتداد أزمة القحط حيث شحت الأمطار وجفت الآبار والوديان[99].

وهناك نقش آخر عبارة عن دعاء عثر عليه بوادي (قانية) على بعد (250كم) جنوب شرق صنعاء، وهو موطن قبيلة آل معاهر (أقيال ردمان وذي خولان)، في ذلــك الموقــع شــوهدت صــخرتان نقش عليهما كتابات ومخربشات بخط المسند ورســومات حيوانية وآدمية كصور الوعل، وصور شخص يحمل رمحا، واللافت للنظر أنه في خاتمة كل سطر يوجد حرفان مكرران هما (الحاء) و(الكاف)(ح ك)، والقصيدة مكونة من سبعة وعشرين سطراً، فالقصيدة في مضمونها عبارة عن نشيد يتقرب فيه المواطنون إلى إلهة الشمس، لإنزال المطر بعد جفاف شديد، كما يحتوي

الـنص على الابتهال والاستسقاء وكأنه أنشودة للمطر فهي لا تختلف عن القصيدة الدينية المشار إليها سابقاً.

7 _الاعتراف العلني :

تمـثل الاعـترافات العلنية بالذنب أحد الشعائر الطقوسية التي تمارس من قبل المتعبدين. فقد كشفت لنا بعثات الآثار عن عدد من النصوص النقشية التي تحتوي فـي مضـمونها علـى خروقات مارسها بعض الأفراد تتعلق بالشعائر الطقوسية، والبعض منها تتعلق بانحرافات أخلاقية.

فالاعتراف العلني بالذنب يعتبر شرطا أساسيا من شروط الغفران، وتقبل الآلهة الـتوبة المـرجوة مـن المؤمن. وإلى جانب المجاهرة بالذنب تدفع غرامات مالية ككفارة، وتسجل تلك الاعترافات على لوحة من البرونز تعرض في المعبد، فالإقدام علـى مـثل تلك الاعترافات تتطلب شجاعة أخلاقية عالية، وتشهد ــ دون شك ــ على الانصياع المطلق للإنسان في طاعة الآلهة، وهذا يعكس التطور البالغ الأهمية الذي وصل إلية اليمنيون قديماً في الجانب الفكري والديني.

وتتم تلك الاعترافات أما بشكل جماعي يجاهر بها المؤمنون في مواسم الحج، أو بشكل فردي في أوقات مختلفة. والملاحظ أن أغلب نصوص الاعتراف التي تم اكتشـافها حـتى الآن دونـت بلهجة منطقة (هرم) (الحزم اليوم) في الجوف، وقد سجلت من قبل بعض الأشخاص للآلهة (ذي سموي)، أو الإله (نكرح)، ونجدها في مناطق أخرى تتم بنفس اللهجة ولنفس الآلهة في معبد الإله (حلفان).

نماذج من نقوش الاعتراف :

1- نقـش (CIH 547) يذكـر أن أهل أمير وأهل عثتر يعترفون ويكفرون عن خطيئـتهم للإلـه (حلفـان) لأنهم لم يؤدوا الصيد المقدس في موعده المحدد، ولن يكرروا مثل ذلك مرة أخرى، وليتقبل الإله (حلفان) توبتهم [100].

2- نقـش (CIH 523) سجل هذا النقش شخص يدعى (حرم بن ثوبان) يعترف للإله (ذي سموي) باقترافه عدد من الخطايا تعد في نظر القانون القدسي من الآثام التي يستحق مرتكبوها العقوبة الشديدة، فالمتقدم بالنقش يتضرع ويتوسل للإله طالباً المغفرة والتوبة لما ارتكبه من خطايا تتمثل في :

- قارب امرأة في فترة التحريم.
- دخل على نفاس وهو غير طاهر وكسوته غير طاهرة.
- لمس أنثى حائضاً ولم يغتسل وكانت كسوته متسخة.

ويعد اعترافه هذا نوعاً من التكفير وعلى الإله قبول أو رفض ذلك الالتماس.

3 – النصـوص النقوشية هذه (CIH 568,532,533) تتضمن اعترافات لنساء يظهر أنهن كنّ عبيداً للمعبد، إحداهن تعتذر عن خطيئة غير محددة، وأخرى تعتذر

عـن كونها ارتكبت خطيئة مع رجل في اليوم الثالث من الحج ولم تغتسل بعد من الحـيض، ويـتحدث النقش الأخير عن امرأة ارتكبت خطيئة مع رجال في المعبد وقامـت بـالطواف حوله وهي متسخة، كما قامت بخطيئة خفية، وارتكبت خطيئة أيضا مع رجل[101].

4 – نقش (RES 3956) يتضمن اعترافا لامرأة خادمة للإله (ذي سموي) كونها ارتدت قميصا نجسا ومرقعا حيث قامت بترقيعة بطريقة تخفيه عن أسيادها (آلهتها) (ذو أنيت وذي سموي).

نقش آخر سجلته قبائل (بني غضب) و(نمت) وشعب مدينة (مدر) ومزارعيهم الأحرار وجنودهم ومواليهم، جميعهم وقفوا للآلهة (نوشم) بركة ماء نظير استخدام للبركة المقدسة في سقي الماشية والاستحمام، وكانت توقع عقوبة على انتهاك هذه القواعد، فالحيوان المعتدي يقدم قربانا للإله (تألب) ولقرينته الآلهة (نوشم) كما أن مـن يخـترق قواعـد الاستحمام يجلد خمس جلدات، ومن يعاود ذلك يدفع غرامة (خمس بلط) ــ عملة لم تعرف هويتها ــ على كل مرة يفعل فيها ذلك[102].

ومـن نقوش الاعتراف نقش جديد بالرغم من أنه دون بلهجة مدينة (هرم) إلا أنه عثر عليه في (مارب) حيث كان يقيم الشخص طالب المغفرة، يقول النقش : " يسـمع إل بن إلي شرح ... يعترف بخطيئة اقترفها وكفر عنها الإله (ذي سموي) بمـنطقة (يـدرع) وذلك بأنه تخطى حدود البطحة(حرم مخصص لعبادة الإله ذي سـموي)، وهو عابر، وبأنه ألقى ترابا في البئرين (المحجورتين لإله المشار إليه) وهو غير طاهر، وصعد إلى موقع تقديم القرابين ولم ينور عليها (أي يقدم قربانا) فشـعر (بمـا اقـترفه من خطيئة) ولذلك انتابه شعور باقتراف الخطيئة بحق الإله فتضرع له، وتاب عن إتيان مثل ذلك العمل مرة أخرى[103].

إن تلـك الخـروقات الأخلاقية والتي تمس الشعائر الطقوسية تعتبر مخلة للقيم والأخـلاق حتى صارت في حكم القوانين المقدسة، منذ عهود بعيدة فجاء الإسلام وأقر ذلك التحريم فكانت الطهارة من الشروط الهامة، وقد حرم الله دخول المسجد علـى مـن أشرك بالله باعتباره نجسا كما جاء في محكم آياته : "... وعهدنا إلى إبراهـيم وإسماعيل أن طهروا بيتي للطائفين والعاكفين" وسورة (البقرة : 2/ 125) وفـي قولـه تعـالى : "ويسـألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحـيض ولا تقربوهـن حـتى يطهرن .". (البقرة : 222/2)، وقوله في سورة الـتوبة : "يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ...) (9/ 28).

سادساً : معتقدات أخرى :

1- الإيمان بالحياة الثانية :

لقد أعطى قدماء اليمنيين كغيرهم من الشعوب الحضارية الأخرى عناية فائقة بالقبور والموتى، فأحيطت جثث الموتى باهتمام بالغ حيث وضعت على مقربة من الميت أدوات منزلية، وأدوات زينة، وأسلحة، ومواد جنائزية ... كل ذلك كان يشير إلى اعتقادهم بالبعث والخلود بعد الممات، وأن الميت في اعتقادهم سيحتاج يوماً إلى أدواته وأسلحته.

وقد أسفرت التنقيبات الأثرية في اليمن على أنماط مختلفة من القبور، منها القبور الصخرية كتلك التي عثر عليها في (شبلم الغراس)، ومنها في (ضهر) وقبور تلية كقبور (شبوة) و(حريضة)، وقبور حفرت في الأرض كقبور وادي (ضراء) تلك المقابر في جملتها امتازت بوفرة مواردها للجنائزية، كما عثر على شواهد قبورية تنتصب فوق القبور وتحمل أسماء الموتى، وأحياناً نجد على تلك الشواهد صيغ دعاء ضد من يعتدي على حرمات القبور. كما تم الكشف عن طرق متعددة للدفن مرتبطة ـ دون شك ـ بالشعائر الطقوسية والتصورات الدينية، وبما أن الجثة قابلة للتحلل، نجدهم في بعض المناطق ك (شبام الغراس) قد قاموا بتحنيط الجثة بأسلوب محلي صرف مستخدمين مواد التحنيط المتوافرة محلياً، وبأسلوب يختلف عن أسلوب التحنيط عند قدماء المصريين.

لقد رافق الإيمان بالحياة الثانية عبادة الآلهة الفلكية المتعددة ويبدو جلياً أن هناك كثيراً من النقاط المشتركة، ولا عجب في ذلك الالتقاء فالشواهد المادية لكثير من المستوطنات القديمة ولمعابدها، وقبورها تؤكد ذلك الالتقاء، فالمقبرة تبنى بالقرب من المعبد، بل يقامان في مكان واحد، وهذا يضع سؤالاً جديراً بالدراسة والبحث حول العلاقة بين المعبد والمقبرة، حيث تؤكد الشواهد النقشية على أن المعابد والمقابر بنيت في فترة واحدة كمعبد (أوام) للإله (المقه) في مأرب، والمقبرة، ولعل الاحتمال الأول لمثل تلك العلاقة هو تسهيل ممارسة الشعائر الطقوسية للموتى، كما أن تلك المقابر في الغالب ملكية، أي تضم شخصيات من السلالة المالكة، وهذا يبرر العناية الفائقة لها والحرص على تشييدها بالقرب من المعبد، فالآلهة قوة خارقة والملوك قوة مسيطرة ومهيمنة وبيدها السلطة الإلهية على الأرض، ولا بد من أن يكون للملوك نسب وأن تكون لهم قرابة بالآلهة. وهذا ما يبرر انتساب الملك والشعب لإله، مثل : شعب (قتبان) يسمى أولاد (عم) الإله القومي لهم، وملكهم يسمى (كبير أولاد عم)، كذلك الشعب السبئي يسمون أنفسهم بأولاد (المقه)، وملوك أوسان يعتبرون أولاد (ود) معبودهم الوطني[104].

2- السحر :

في الوقت الذي اعتقد فيه عرب الجنوب بالآلهة الفلكية وبقواها الخارقة، نجدهم يؤمـــنون بحياة بعد الممات، كما توضح النقوش اعتقادهم أيضاً بالسحر والأرواح (الشريرة) والحسد، والعين، هذا الاعتقاد لا يقتصر على قدماء اليمنيين فحسب بل شمل كل الشعوب السامية، والمعطيات الأثرية كشفت لنا عن عدد من (الحجابات) أو (التميمات) أو (التعاويذ) المصنوعة إما من الفضة [105] أو من الحجارة أو من الخشب (RES 3305، CIH 473, CIH 474).

وقد تحمل تلك التعاويذ كلمات أو رموز مثل (ود أب) الإله (ود)، أو (أبو ود)، وقد عثر على تمثال لخروف صغير من البرونز نحت في فخذه الأيمن صيغة (ود أب) (RES 4083)، كمـــا نقـــرأ أيضاً على التعاويذ (حمو ود) أي (ود الحامي) (CIH 591, 592) كما عثر على تمثال لرأس جمجمة استخدمت كتعويذة لها تأثير سحري (CIH 695)[106].

كمـــا نلمـــس مـــن النقوش الاعتقاد القوي بالعين (عين الحسد) التي تسمى في الـــنقوش (ش ص ي) ففي نهاية أغلب النصوص النقشية نجد دعاء بالحظ التعيس (وي ل ي) لكـــل من ينتهك حرمة ذلك النقش. مثال ذلك في نقوش (CIH 314, 954, Gl 424). كمـــا نجد في نهاية أحد النقوش، الملك (نمار علي وابنه ثارلن) أعـــادوا بناء سد لضمان الري في أرضهم بمباركة الآلهة، وفي نهاية النقش نجدهم يلعنون ويدعون بالمصيبة ل (سميدع) المقصود ــ دون شك ــ شخص معين الذي قد يسبب لهم ضرراً كما يدعوا بالأذى لكم الأعداء[107].

وفـــي نقـــش (إرياني 27) خطة (رب أريم) (شرحثت أزلن) والابن (يفع) من بني (كبسي) أقيال قبيلتي (تنعم وتنعمة) حمداً للإله (المقه) لما حقق لهم من أمنيات، وفي نهاية النقش نجدهم يتوسلون إلى الإله ليجنبهما البأساء وشرور كل عدو حاسد[108] مثل تلك الصيغة التي تجسد الخوف من الحسد نجدها في كثير من النصوص النقشية، كما نجد في عدد كبير من النقوش صورة اليد اليمنى تزين إطارات بعض الـــنقوش (RES 2831) فهـــي ترمز في الغالب إلى طلب الحماية، ونجدها تنحت علـــى الصـــخر وتقدم اليد اليمنى كنذر للآلهة، وقد عثر على يد من البرونز وهي إهداء من شخص يدعى (وهب تألب) من قبيلة (يرسم) يهدي يده اليمنى للإله (تألب ريـــام) طلـــباً للحمايـــة الإلهية، [109] ، ونرى أيضاً رسم الجمجمة الذي يدل على التشاؤم. ومن النقوش ذات الطابع السحري نقش (RES 3870).

ولا يـــزال تراثنا غنياً بمثل تلك المعتقدات الموروثة، وما زال يعلق سن ثعلب علـــى رقـــاب كثير من الأطفال في القرى الريفية، وسن الثعلب يرمز إلى الهلال،

ويلبس كنوع من طلب الحماية، كما نجد على بعض المنازل قرون الوعل والثور، حتى يومنا هذا.

سابعاً : العقيدة الدينية وأثرها على حياة المجتمع :

كمـــا تبيـــن ســـابقاً أن العقيدة الدينية عند قدماء اليمنيين كانت مصدراً للقواعد والسلوك في الحياة الاجتماعية، ترجمت إلى شعائر طقوسية وفرائض وشرائع تنظم حـياة الفـــرد والمجـــتمع بمختلف مؤسساته فتصبح أساس للتنظيم ومصدر الحكم والإدارة ؛ لهـــذا نجد أن أغلب النقوش قد مسحت بمسحة دينية سواء أكانت نقوشاً إنســـانية أم سياســـية،[110] فكـــل نشاط إنساني ذو أهمية معينة سواء أكان عاماً أم خاصـــاً، مثل بناء سور المدينة، أو منشآت ري أو بناء منزل أو قبر نجد له نقشاً يوكله لحماية الآلهة حمداً ووفاءً على ما تحقق لأصحاب القرابين من أمنيات تمنوها يطلبون في مضمونها : الحماية من أي مكروه، فتمثل النذور نوعاً من التعبير عن الشكر والرضاء والوفاء.

كمـــا يســـتعين المؤمـــن بالآلهـــة من أجل نزول الأمطار، عندما يعم الجفاف المـــنطقة، كـــل ذلك يجعل روابط الصلاة بين المؤمن ومعبوده قوية، بل أننا نجد العقيدة تتغلغل في نفس الأفراد لدرجة لا يبخل فيها المؤمن بأن يقدم للآلهة زوجه، وحواســـه وأبـــنائه، وممـــتلكاته وذاكرة قلبه (RES 2693) فكان مثل هذا التدين العميق يشكل حياة الفرد ويخلق لها التوازن والاستقرار.

إلى جانب الدور الاجتماعي نجد أن العقيدة الدينية تلعب دوراً بارزاً في الحياة الاقتصـــادية فالإلـــه يحصل على (العشر المقدس) من المحاصيل الزراعية، ومن الـــثروة الحيوانية، ومن الضرائب المخصصة، بالإضافة إلى الأشكال الأخرى من العوائـــد والهدايـــا. مـــثل تلك الموارد تغطي مصاريف الصيانة والترميم للمنشآت الدينية، وينفق منها على المصالح التابعة للمعبد، وعلى الكهنة، كما يتم صرف تلك المـــوارد بقوانين خاصة يصدرها المعبد،[111] كما يستفيد المزارعون من أراضي المعبد التي تؤجر لهم بشروط محددة.

أمـــا علـــى المستوى السياسي فنجد للعقيدة الدينية دوراً هاماً في ترسيخ دعائم الدولـــة، حيـــث صـــبغت الدويلات اليمنية القديمة بصبغة دينية منذ بداية نشوئها، فالعلاقة بين الكيان السياسي للدولة والعقيدة تتجسد في فكرة الدولة بأركانها الثلاثة الإلـــه الوطنـــي، والملك، والشعب، فهذه العلاقة الثلاثية نجدها في معظم النقوش الســـبئية تعـــبر عـــن المؤاخاه والتحالف الوثيق بين أركان الدولة : الإله والحاكم والشـــعب، فقد جاء في نقش (Ja 455) العبارة التالية : "بأخوة المقه، ويدع إل بين وسبأ " يشير النقش إلى علاقة المؤاخاة التي تربط أركان الدولة السبئية.

وهــناك نقــش (RES 4176) يشير إلى دور المعبد في توطيد دعائم الدولة، وهــو عــبارة عــن مرسوم صادر عن الإله (تألب ريام) إله اتحاد قبائل (سمعي) يأمرهم بضرورة الاشتراك في مراسم الحج السنوية التي تقام في معبد الإله (المقه) خــارج مديــنة مــأرب. يؤكد هذا النقش تبعية اتحاد قبائل (سمعي) رسمياً للدولة السبئية، كما أن مئات النقوش التي عثر عليها في معبد (المقه) بمأرب، تحكي عن الدور السياسي للمعبد في عهد ملوك (سبأ وذي ريدان) فهي تذكر لنا أسماء القبائل التــي كــان لــزاماً عليها ــ بعد خضوعها للدولة السبئية ــ أن تعترف بالسلطة الرسمية للإله (المقه)، وذلك عن طريق تقديم القرابين في معبده الرئيس (أوام).

ولغــرض تثبيــت الــنظام والاستقرار السياسي أعطت الدولة لنفسها نوعاً من القدسية، وأنه لا فرق بينها وبين الإله، فأي تمرد على الدولة يعتبر تمرداً على الإله الرئــيس للدولــة كما جاء في نقش (Ja 577) يحكي هذا النقش قصة تمرد إحدى الشخصــيات الكبيرة من قبيلة خولان الجديدة كما جاء في النقش، والمقصود بذلك (خــولان صعدة)، فاعتبر ذلك التمرد موجهاً ضد سلطان إله الدولة السبئية (المقه)، ثــم حدثنا النقش عن الحملة العسكرية التي أرسلت من قبل الدولة السبئية للقضاء على ذلك التمرد والتي انتهت بالنصر المؤزر، وهزيمة المتمرد هزيمة نكراء.

أمــا فيما يخص العلاقة بين إله الدولة القومي والعرش، يذكر النقش (إرياني 12) عندما قدم الملكان (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) إلى مأرب واعتليا سدة الحكــم فــي سبأ (في أواخر القرن الثالث الميلادي) حينها قاما بتقديم القرابين لإله (المقــه) بعــد وصــولهما مباشرة، وهذا دليل على أن الوصول إلى عرش الدولة يتطلب للاعتراف الرسمي من قبل حاكم الدولة.

مثل هذا الإجراء نجده في نقوش حضرمية كتبت لنفس الغرض، من هنا تبرز مكانة الإله الرسمي للدولة كمصدر للسلطة السياسية العليا.

وقد برز مجال الدين في مجال علاقة الدولة السبئية بالدويلات اليمنية الأخرى التي كانت على علاقة معها، فالنقش (RES 3945) يشير إلى المؤاخاة التي قامت بين سبأ وحضرموت وقتبان يقول النقش : أن حضرموت وقتبان أقامتا مؤاخاة مع الأركــان الــثلاثة للدولة السبئية (المقه) و(كرب إل) الملك السبئي آنذاك، و(سبأ) القبيلة.

كمــا كــان الملوك حين يحاربون أعدائهم ويهزمونهم يقسمون الغنائم بما فيها الأسـرى مع الآلهة، ويعمدون أحياناً إلى شطب أسماء آلهة العدو من النقوش، عن ذلك يحدثنا مكرب سبأ (كرب إل وتر) في نقشه (RES 3945) عن الحروب التي خاضها ضد أوسان ومن وقف معها، فقد جاء في النقش بأن المكرب السبئي (كرب إل وتــر) قــد شن حملاته العسكرية على مناطق متعددة في الجنوب والشمال من

ســواحل البحر الأحمر جنوباً وحتى نجران شمالاً باسم الإله (المقه) وباسم (سبا) حيث قام بتكمير، ولخضاع، وضم الكثير من المناطق المعادية، وعند تأديبه لمدينة (نشن) في الجوف، لم يحرقها ولكتفى بإزالة أسوارها، ثم فرض على ملكها (سمه يفــع) أن يقــبل بإستيطان السبئيين فيها، وأن يبني بوسطها معبداً للإله (المقه)، أما (نشــق) فهي من مدن الجوف أيضاً، فقد استولى عليها كغنيمة لإله (المقه) و(سبا) فظلت من يومها مدينة سبئية مهمة[112].

كــل تلك الشواهد تؤكد ــ بما لا يدع مجالاً للشك ــ على الأهمية التي احتلتها العقيدة الدينية في تنظيم المجتمع وترسيخ دعائمه.

ثامناً : البدايات الأولى للتوحيد :

شــهدت العقيدة الدينية تطوراً ملحوظاً عبر عصورها التاريخية المختلفة، حيث تأثــرت بشكل أو بأخر بالمتغيرات السائدة أنذاك على الساحة المحلية والدولية منذ مطلــع المــيلاد، وتــورد لنا النقوش اسم أحد الآلهة وهو الإله (ذي سموي) الإله الرئــيس لقبيلة (أمير) المتمركزة بين الجوف ونجران، كما نجد عبادته قد انتشرت فــي مــناطق أخرى من اليمن، ومن النصوص التي تذكر الإله (ذي سموي) نقش يعود إلى القرن الأول الميلادي عثر عليه في موقع (هجر بن حميد) بأرض قتبان، وقــد نقــش علــى لوحة برونزية [113]، وقد ذهب بعض العلماء بأن الآلهة (ذي سموي) يعني الإله (رب السماء).

ومــنذ القــرن الــرابع الميلادي شهدت المنطقة تحولات دينية خطيرة، شكلت مــنعطفاً تاريخــياً هامــاً، أثر بشكل مباشر على سير الأحداث السياسية في اليمن القديــم، فقــد تخلى ملوك وشعوب المنطقة منذ ذلك القرن عن التقرب إلى الآلهة الوثنية، ولختفت صيغة الدعاء والتقرب لتلك الآلهة، وحلت محلها صيغ جديدة ذات طابع توحيدي غامض شبيه بمذهب الحنفية.

ولول إشارة واضحة وصريحة للتحول الديني، جاءت في النقش (جربيني بيت الأشول2) يقول النص : "ملكي كرب يهأمن وأبناؤه أبي كرب أسعد وذرأ أمر أيمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة استكملوا بناء قصرهم .. بعون إلههم رب السماء في شهر ذو ذأوان من سنة (493) بالتقويم الحميري، أي ما يوافق (378) ميلادي[114].

لا يمكــن أن نعتــبر هــذا النص يهودياً ولا مسيحياً لكنه يحتوي على صيغة توحــيدية غامضة، ومنذ هذا القرن يتوقف الملوك واتباعهم من التقرب إلى الآلهة الوثــنية التقلــيدية فــي معابدها المعروفة، ويبرز الإله (ذي سموي) بوصفه الإله الرئــيس الأوحد وتختفي أسماء سائر الآلهة، بذلك يمكن القول أن اليمنيين اعتنقوا ديانة توحيدية غامضة بإستعمالهم اسلوب التجريد، والتجريد كما هو معروف يعتبر

الخطوة الأولى في اتجاه التوحيد، في الوقت ذاته يرى بعض المؤرخين أن العقيدة الغامضـــة قد تكون قريبة من مذهب الحنفاء، في ذلك المذهب يقول الله تعالى في محكم آياته : "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلمـــا جن الليل راء كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما راء القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن يهدني ربي لأكونن من القوم الضالمين فلمـــا راء الشـــمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفل قال ياقوم إني برئ مما تشـــركون * إنـــي وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين." (سورة الأنعام : 6/ 75 ــ 79).

وقـــد ذهـــب بعـــض المؤرخيـــن بأن ديانة العرب في جوهرها ديانة توحيدية مستندين إلى انتشار اسم الإله (إل) عند الشعوب السامية وأنه يمثل الإله الأوحد[115].

بعـــد ذلك تأخذ العقيدة التوحيدية الغامضة تطوراً جديداً بظهور اسم (الرحمن) كما جاء في أحد النقوش (CIH 540) (رحمنن / هــ ا ل / س م ي / و أ ر ض ن)، الرحمـــن رب السماء والأرض، وتكرر اسم الرحمن في عدد من النصوص النقشـــية، وقـــد عـــثر علـــى حصان من البرونز كتب عليه (الرحمن سيد السماء والأرض) (RES 4107) وهـــناك بعض النقوش تلمح لمعبد (الرحمن) (Ry 250) (GI 389)، فالرحمـــن لســم علم وليس نعتاً كما يراه بعض المؤرخين، فقد جاء في القـــرآن في أول آية "بسم الله الرحمن الرحيم" فاسم (الرحمن) يأتي بعد اسم الجلالة الله، ثم اسم (الرحيم) أي الرؤوف، وبانتشار الديانتين اليهودية، والمسيحية شاع ذلك الاسم عند معتنقي الديانتين.

وقـــد أثـــار اسم (الرحمن) عندما ذكر لأول مرة في القرآن الكريم جدلاً أثارته قريش إذ خيل إليها أن الدين الجديد الداعي إلى التوحيد قد ناقض نفسه عند (صلح الحديبيـــة) لكن القرآن حسم الموقف بقوله : " قل ادعوا الله وادعوا الرحمن أيا ما تدعـــوا فلـــه الأســـماء الحســـنى ... (سورة الإسراء : 17/ 110)، فأزال ذلك الالتباس، وبه سميت إحدى سور القرآن.[116]

ومـــنذ القـــرن الرابع الميلادي نجد الديانة اليهودية تحتل حيزاً هاماً في الحياة الدينـــية لعرب الجنوب، فقد اعتنقها ملوك حمير واعتنقتها عدد من القبائل اليمنية، أما تاريخ دخولها إلى اليمن فغير معروف، كما أن النقوش التي تحمل طابعاً يهودياً محدودة للغاية، وقد سجلت جميعها في الفترة التي اعتنق فيها ملوك حمير اليهودي (Ja 669, 671) وعلـــى الـــرغم من أن بعض الدراسات التاريخية تشير إلى أن وصول الديانة اليهودية إلى اليمن كان قد تم بواسطة بعض الجماعات اليهودية التي تشـــتت فـــي بـــلاد العرب هرباً من اضطهاد أباطرة الروم وبطشهم، لا سيما بعد تخريـــب بيـــت المقدس عام (70م) فروا من الصحراء ونزلوا في جاليات صغيرة

علـــى الطريق التجاري المتجه جنوباً صوب اليمن. إلا أن هذا الرأي لم يظهر له دليل مادي حتى الآن.

فـأقدم نقـش يهـودي حمل صيغة توحيدية واضحة هو نقش (جربيني بيت الأشـول 1) والـذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي (378م تقريبا)، عثر علـيه في جدار منزل في ظفار ـ العاصمة الحميرية ـ يقول النقش : "يهودا يكف بـنى وأسـس قصره (يكرب) بعون وتأييد ربه الذي خلقه رب الأحياء والأموات، رب السـماء والأرض، الذي خلق كل شئ وبصلوات شعب إسرائيل وبعون سيده ذرأ أيمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت .. "لقد كتب النقش بخط المسند إلا أن عـبارته يهودية، فكاتب النقش يحمل اسما يهوديا وآخر يمنيا عريقا. [117] وهناك نقش آخر يهودي الصيغة يحمل اسم الرحمن وينعت برب إسرائيل وسيد يهودا (CIH 543).

كمـا نجد من بين نقوش القرن الرابع والخامس الميلادي استخدام المصطلح الختامي (السلام) (RES 534) أو كلمة (أمين) أو اسم قوم اسرائيل(ي ز ر إل). نقـش أخر يحمل صيغة يهودية يعود إلى القرن الخامس الميلادي (433م) وينتهي بالعبارة التالية : "شلوم شلوم سيد بكيل"[118].

وهناك من المؤرخين من يعتقد أن الملك الحميري (أبي كرب أسعد) قد اعتنق الديانة اليهودية، وقيل أنه نشرها بين اليمنيين، ويرى الأخباريون ومنهم (أبي سعيد الأندلسي) : "أن الملك الحميري دعا اليمنيين إلى إتباع اليهودية، فاتفقت حمير على اليهودية منذ ذلك الزمان وهدموا بيتهم الذي كانوا يعبدونه(119).

إن التحولات الدينية لم تظهر في اليمن فحسب، ففي الوقت ذاته، نجد أن الديانة المسيحية تحتل مكانة مرموقة بين الديانات، وبالذات منذ عام(313م)، عندما اعتنق الامـبراطور الرومانـــي (قسـطنطين الأكبرConstantius) تلك العقيدة الدينية، فاصـــبحت ديـــناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية منذ عام (330م)، منذ ذلك الحين بـــدأت البعثات التبشيرية تجد طريقها إلى كثير من البلدان، ومنها الحبشة، عندما وصـــلت بعـــثة تبشيرية بزعامة (فرومنتوس Frumentius) إلى الحبشة في عهد النجاشـــي (عـــيزانا)، واستمرت الوفود التبشيرية، حتى كللت جهودها بالنجاح، إذ ترك الأحباش الديانة الوثنية واعتنقوا المسيحية. فالهدف الأساسي لملوك الروم من وراء ذلـــك الإصـــرار لـــم يكـــن دينـــياً بل سياسياً محضاً، فالحبشة تحتل موقعاً إسـتراتيجياً هامـــاً، فهي تقع على طريق تجارة الهند من ناحية، وعلى تخوم بلاد مصـــر، وتجاور جنوب شبه الجزيرة العربية ـــ الحلم القديم للرومان ـــ من ناحية أخرى.

فقـد وصـلت الديانة المسيحية اليمن عن طريق الحبشة، وعن طريق البعثات التبشـيرية القادمـة مباشرة إلى اليمن، وكان ممن أرسلهم الإمبراطور (قسطنطين الأكبر Constantius) المبشر (ثيوفيلوس Theophilus Indus) الذي وصل إلى اليمـن للتبشـير بالديانة المسيحية ولبناء ثلاث كنائس للتجار الرومان، واحدة في (عدن) والثانية في (ظفار) عاصمة حمير، والثالثة في (هرمز) على الأرجح[120].

فـالوجود المسـيحي تركز في عدد من المدن اليمنية منها : نجران، وجزيرة سـقطرى، ومـأرب، وحضـرموت، والأقاليم الساحلية المواجهة للحبشة[121]. أما الإشـارات الصـريحة للديانة النصرانية في اليمن فيعود تاريخها إلى عهد الملك الحمـيري (يوسف أسار يثأر) اليهودي العقيدة (Ja 1028, Ry 507, 508)، في تلـك الـنقوش يـتحدث الملك عن صراعه مع الأحباش والمسيحيين وعن حرقه لكنائسهم في كثير من مناطق اليمن[122] وقد ركز هجومه على الأحباش في (ظفار) العاصـمة الحمـيرية، ومنطقة (الأشاعر) و(فرسان) والمخا (المناطق التهامية) و (نجران) بؤرة الوجود المسيحي، إن اعتناق ملوك اليمن والقبائل الموالية لهم الديانة اليهودية، كان نكاية للأحباش ولمعتنقي الديانة النصرانية، الذين انتشر وجودهم في اليمن، أي أن الصراع كان سياسياً ـ اقتصادياً في جوهره وعقائدياً في شكله.

وقـد وجـد الأحـباش الذريعـة الملائمة لتأديب اليمنيين، عن طريق التدخل العسـكري بمسـاندة بيزنطة، وتم لهم ذلك، وبدخول الأحباش اليمن عام (525م) اصبحت الديـنة المسيحية هي الديانة الرسمية للبلاد، وكان أول ملك حميري يعتنق النصرانية بشكل رسمي هو (معدي كرب) الذي حكم قبل الملك (يوسف أسار) في القرن الرابع الميلادي، ثم الملك اليزني (سميفع أشوع) الذي سجل لنا نقشاً استهله بالعبارات التالية : "بخيل (بقوة) وردء ورحمة الرحمن وابنه الكرلايشت (المسيح) نفس القديس".

أمـا أبرهه فقد استهل نقشه أيضاً بنفس الصيغة مع اختلاف في بعض الألفاظ يقـول فـي (CIH 541)، الملاحـظ إن هناك اختلاف لفظي بين النقشين برغم اتصال العهدين هذا الاختلاف قد تكون له دلالته المذهبية، فأبرهه لم يستخدم لفظة (ابـنه) المسيح بل اكتفى بقوله (مسيحه)،[123] والمعروف أن أبرهه قد بنى كنيسة صنعاء، أطلق عليها (القليس) والتي جاء وصفها بشكل مهيب في الأدبيات العربية. ويـرى (كريسيان روبان) أن بعض آثار الكنيسة قد استخدم في بناء المسجد الكبير بصنعاء، خاصة بعض التيجان التي ما زالت تحمل علامة الصليب[124].

ومـن خلال الدراسة المتأنية لمظاهر بعض طقوس العبادة اتضح جلياً من أن للعقـيدة الدينـية أثر بالغ في الحياة المادية والروحية لقدماء اليمنيين، وأنه بتطور الديانـات الفلكية ؛ تمهدت الطريق أمامهم للتفكير بأسلوب تجريدي عميق، وكان

هـذا الأسلوب ـ في نهاية المطاف ـ هو الخطوة الأولى للوصول إلى الوحدانية، والإيمان بإله واحد هو : رب السموات والأرض ... ومن ثم (الرحمن) فكان هذا هو أبرز ما ساعدهم لا حقاً على تقبل ما جاءت به الديانات السماوية بكل سهولة ويسر.

الهوامش والمراجع :

1. زريــق، قســطنطين : في معركة الحضارة، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، ، 1973، ص،94.
2. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب، ج 6، 1978، ص، 5.
3. Robin, Ch : Les hautes- terres de nord-Y men avant l, islam,tome I, stambul, 1982, p. 60.
4. بافقــيه، محمــد عبد القادر، مملكة ماذن .. شواهد وفرضيات ...، مجلة دراسات يمنية، العدد (33) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1988، ص، 20.
5. الصــلوي، إبراهــيم، أعلام يمنية قديمة مركبة، دراسة عامة في دلالاتها اللغوية والدينــية، دراسات يمنية، العدد(38)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، ص، 128.
6. Ryckmans, G : les religion arabes pr -islamique, extrait de l histoire g n rale des religions II, Paris, 1960, p. 220
7. Jamme, A. : The Gat golde Hawkum. Dans, al-Hudhud, Festschript Maria Hofner, Groz, 1981, p. 98-99.
8. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 130.
9. علي أسعد : ظاهرة التذكير المجازي في العربية، (بحث قيد النشر).
10. الشــيبة، عــبد الله حســن : إسهام عرب الجنوب في قيام وتطور لكسوم، مجلة الإكليل، العدد الرابع، السنة السابعة، صنعاء 1989، ص، 32.
11. Robin, les hautes terres, p. 61,94.
12. Bron, F : memorial Mohmud al-Ghul, Inscriptions sud - arabiques, Paris, 1992, p. 41.
13. Ibid, p. 41.
14. Ryckmans, G. les religions, p. 223.
15. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 136.
16. Robin, les hautes terres ; p. 48,65.
17. Ryckmans, G. les religions, p. 222.
18. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 139.
19. المرجع نفسه، ص، 139.
20. السقاف، حمود محمد جعفر : أول نقش يذكر مكرب أوسان، مجلة ريدان العدد (6) (القسم العربي)، لوفن، بلجيكا، 1994، ص، 116.
21. بريــتون، جــان فرانسوا وآخرون : وادي حضرموت (تنقيبات 1978-1979)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، 1982، ص، 30.

22. Philips, w : Unkown Oman,. London, 1966. p. 188.
23. Robin, les hautes- terres, p.62.
24. Robin. Ch. & Ryckmans, J : l attribution d un basin une divinil en Arabie du Sud antique, Rayd n, (1), Lovain,1978, p. 59.
25. رلوح، عبد الوهاب : تأثير اليمنيين في الديانة السامية، مجلة دراسات يمنية، العدد (25)، صنعاء، 1986، ص، 114.
26. علــي أسعد : ظاهرة التأنيث في العربية (دراسة تطبيقية في بعض مناحي القرآن الكريم) (بحث قيد النشر).
27. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 132.
28. Ryckmans, G. les religions, p. 211.
29. Ibid, p. 221.
30. Ibid, p. 222.
31. جواد علي : المرجع السابق، ص، 165-170.
32. Robin, les hautes- terres, p.65.
33. يوسف عبد الله : مدونة النقوش اليمنية (يمن 9)، مجلة دراسات يمنية، العدد (3)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1979، ص،
34. علي أسعد : ظاهرة التأنيث (دراسة قيد النشر).
35. يوسف عبد الله : 1989؛ ص، 39.
36. نيلســن، ديــتلف وآخرون : التاريخ العربي القديم، ترجمة : فؤاد حسنين علي، القاهرة 1993، ص، 220.
37. Ryckmans, G. les religions, p. 221.
38. أمرم : في النقوش وتعني : أمير، قبيلة يمنية من شاكر من همدان، تقع أراضيها بيــن نجــران والجوف، لها ذكر في النقوش كأحد القبائل التي كان لها تأثير على جــيش الأعــراب في عهد الدولة المركزية في اليمن في القرنين(الرابع والخامس الميلاديين).
39. يوســف عــبد الله : مديــنة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأرتيري، مجلة دراسات يمنية، العدد (34)، صنعاء 1988، ص، 38.
40. فيليبس، ويندل : كنوز مدينة بلقيس " قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن"، تعريب : عمر الديراوي، ط2، دار الكلمة، صنعاء، (د.ت). ص، 58.
41. البرحة : هي البقعة الرحبة والسهلة.
42. السوا : حصن قديم يسمى اليوم حصن القدم، ويقع في عزلة السوا، ناحية المواسط مــن قضـــاء الحجــرية، وأقرب مدينة إلى هذا الموقع هي مدينة النشمة، المدينة (الجديدة) التي تبعد عن تعز حوالي 24كم(يوسف عبد الله،مدينة السوا، ص، 33).

43. يوسف عبد الله : مدونة السوا، ص، 37.
44. الصلوي، إبراهيم : نقش جديد من نقوش :الاعتراف، مجلة التاريخ والآثار ،العدد (1) صنعاء، 1993، ص، 63.
45. الإرياني، مطهر علي : في تاريخ اليمن " نقوش مسندية وتعليقات ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990، ص، 47–50.
46. Robin, les hautes- terres, p.61.
47. الشيبة، المرجع السابق، ص، 32.
48. Robin, les hautes- terres, p.58.
49. الإرياني، المرجع السابق، ص، 278.
50. نفسه، ص، 123–126.
51. Robin. Ch.& Breton & Ryckmans, J : le sanctuaire Mineen NKRH A DARB AS-SABI, Rayd n, vol, 5, Aden, 1988, p. 90-92.
52. يوسف عبد الله : مدونة النقوش، ص، 48.
53. Ryckmans, G. les religions, p. 221.
54. يوسف عبد الله : مدونة النقوش، ص، 48–49.
55. Ryckmans, G. les religions, p. 221.
56. Robin, les hautes- terres, p.58.
57. Ibid.
58. Ryckmans. G. les religions, p. 221.
59. Robin, les hautes- terres, p.58.
60. Ibid.
61. Ryckmans, G. les religions, p. 211.
62. Robin. Ch.& Breton & Ryckmans, J : op.- cit, p. 91.
63. علي أسعد : ظاهرة التأنيث (دراسة قيد النشر).
64. المرجع نفسه.
65. إبن منظور المصري : لسان العرب، مادة (حرب).
66. الحمصي، محمد حسن : "مفردات القرآن : تفسير وبيان، دار الرشيد، دمشق- بيروت، (19).
67. علي أسعد : ظاهرة التأنيث (دراسة قيد النشر).
68. الارياني، المرجع السابق، ص، 180–181.
69. Doe, Brian : Southern Arabia, London, 1971, p. 26.
70. Ryckmans,J, Ritual Meals in the Ancient South Arabian Religion , PSAS, 6, p. 36-37.

71. صدقة، إبراهيم صالح : آلهة سبأ كما ترد في نقوش محرم بلقيس،جامعة اليرموك، (رسالة ماجستير) لم تنشر، ص، 80-81.
72. بيستون، ألفرد، وريكمنز، جاك، و الغول، محمود، ومولر، والتر : المعجم السبئي، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص، 146-147.
73. Ryckmans, G. les religions, p. 214.
74. الإرياني، المرجع السابق، ص، 180-181.
75. Ryckmans, J : The old south Arabian Religion, Yemen, 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix, edited by Werner Daum, p. 108-109.
76. Ryckmans, G. les religions, p. 215.
77. العلا : جاءت في النقوش بإسم (ددان)، تقع حاليا شمال يثرب (المدينة المنورة).
78. Ryckmans, G. les religions, p. 215.
79. Ibid.
80. بيستون وآخرون، المرجع السابق، مادة (س ء ل)، ص، 121.
81. الإرياني، المرجع السابق، ص، 99.
82. Rossini, C : Chrestomathia arabica meridionatis epigraphica, Rome, 1951, p. 94.
83. الإرياني، المرجع السابق، ص، 66.
84. نفسه، ص، 324.
85. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (لسان اليمن) (ت 360هـ/ 970م) : الإكليل، الجزء الثامن، في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة 1979، ص، 128-129.
86. يوسف عبدالله : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر، ط2، بيروت، 1990، ص، 54.
87. بيستون وآخرون، ص، 22.
88. Robin, Chr : Robin : du paganisme au monotheisme dans, L Arabie antique de (Karab il) , (Mohmet), Paris , 1992. p. 143-144
89. Ryckmans, G. les religions, p. 215.
90. بافقيه، محمد عبد القادر : لمحات من أعمال الصيانة في اليمن القديم، مجلة دراسات يمنية، العدد (36)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، ص، 61.
91. Beeston, A.L.F : Sabaic Grammar, JSS, Belgium, 1984. p. 15.
92. الإرياني، المرجع السابق، ص، 220.

93. Beeston, A.L.F : Some Features of Social Structure in Saba, Studies in the History of Arabia , vol 1, part 1, 1979. p. 115 - 116.

94. الهمداني، المرجع السابق، ص، 128-129.

95. ابــن الكلبــي، هشـــام بن محمد (ت 204 هــ) : الأصنام، تحقيق : أحمد زكي، المكتبة العربية، القاهرة، 1965، ص، 11-12.

96. Beeston : The Ritual Hunt, a Study in the old south- Arabian Religion practice, 1948, 191-193.

97. Beeston : Note on Old South Arabian, Lexicography, 1975, p. 194.

98. Ryckmans, J : un rite d' istisqa au temple sabeen de Marib 1973, p.386.

99. بافقــيه، محمد عبد القادر & ك. روبان : من نقوش محرم بلقيس، مجلة (ريدان) العدد (I)، لوفان، 1978، (القسم العربي)، ص، 11-56.

100. Beeston, A.L.F : Sabaean Inscriptions, Oxford, 1939, 51.

101. Ryckmans, G. les religions, p. 219.

102. Robin & Ryckmans : l' hribution d un bassin un divinit Arabe du Sud, dans Rayd n, (1) Lovain, 1978, p. 75.

103. الصلوي، نقش جديد، ص، 3-6.

104. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 134-135.

105. Thompson, Caton : The Tombs and moon Temple of Hureida (Hadramaut) London, Oxford, 1944, LXIV.

106. Ryckmans, G. les religions, p. 218.

107. Ibid.

108. الإرياني، المرجع السابق، ص، 82.

109. Robin, les hautes- terres, p.143-144.

110. ولفنســـون، إسرائيل : تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، لبنان، 1980، ص، 246.

111. الصـــليحي، عـــبد القـــوي علي : الكيان السياسي الديني في اليمن القديم، الدولة السبئية، مجلة دراسات يمنية العدد (38)، صنعاء، 1989، ص، 222.

112. بافقيه، الرحبة وصنعاء، ص، 247.

113. فيليبس، المرجع السابق، ص، 88.

114. Robin, les hautes- terres, p. 144.

115. سـحاب، فيكتور : إيلاف قريش، رحلة الشتاء والصيف، كمبيوتر نشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص، 317.
116. بافقـيه، محمـد عبد القادر : في العربية السعيدة، ج1، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني،صنعاء، 1987، ص، 187.
117. سحاب، المرجع السابق، ص،124.
118. Robin, du paganisme. p. 147.
119. Ryckmans, G. les religions, p. 218.
120. إبن سعيد الأندلسي، علي بن موسى بن محمد (ت 685 = 1268م) : نشـوة الطـرب في تاريخ جاهلية العرب، ج1، تحقيق : نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، 1982، ص، 149.
121. Robin, du paganisme. p. 147.
122. الصلوي، إبراهيم : قصة أصحاب الأخدود (رسلة ماجستير لم تنشر)، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1979، ص، 17.
123. بافقيه، في العربية السعيدة، ص، 147-188.
124. Robin, du paganisme. p. 148.

الفصل الرابع

نماذج من فن العمارة في اليمن القديم

أولاً: المدينة اليمنية القديمة.
ثانياً: نماذج من فن العمارة المدني
ثالثاً: نماذج من فن العمارة الديني.
رابعاً: المقابر وأنماطها.
خامساً: المنشآت الاقتصادية
سادساً: المنشآت الدفاعية.

إنّ التحضـــر – كظاهـــرة اجتماعية تتجسد بصورة أساسية في مظاهر الإبداع المخـــتلفة فـــي شتى مجالات الحياة. وقد أشار (ابن خلدون) في مقدمته(1) إلى أنّ العنصـــر الرئـــيس للحضـــارة هو: إنشاء المدن وبناء البلدان والأمصار.. " إذن فإنشـــاء المدن بقصورها ومعابدها وحصونها وقلاعها وأسوارها، ومنشآتها المائية المختلفة؛ يعكس – دون شك – درجة تطور المجتمع ورقيه.

وقد وصل اليمنيون منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، إلى ذلك المستوى من الإبـــداع الفنـــي الخلاق، حيث امتاز فنهم المعماري بطابع خاص سواء من حيث التخطـــيط الهندســـي للمدن ومنشآتها، أو من حيث أسلوب البناء ذاته. كما أنّ مادة البـــناء المـــتوافرة قد أثرت بشكل كبير في أسلوب الهندسة المعمارية، فقد توافرت الأحجـــار الجـــيرية والجرانيتية، والجبس والبازلت البركاني، كمادة أساسية، وإلى جانـــب ذلك نجد الأخشاب، التي لا يمكن الاستغناء عنها في البناء القديم، أما وفرة الرخام فقد ساعدت الباني اليمني على إقامة الأعمدة، وساعدت النحات على إبراز مواهبه وقدراته الفنية الإبداعية.

والمعروف أنّ مادة البناء تختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك حسب تكويناتها الصخرية، ففي حضرموت نجد مادتي اللبن النيء والأخشاب المتوافرة قد استخدمت كمـــادة بـــناء أساسية،[2] أما الحجر فيقتصر استخدامه على بناء الأساسات للعمارة الســـكنية وجـــدران المعابد، كما تجسد الابداع الهندسي في فن المنشآت الزراعية، والعسكرية، والاقتصادية المختلفة.

أولاً: المدينة اليمنية القديمة (الهجر):

قـــبل التطرق لأنماط من الفنون المعمارية في اليمن القديم، نسلط الضوء على المديـــنة اليمنية القديمة، التي كان يطلق عليها اسم (هجر)، لقد تردد هذا الاسم في كثـــير من النصوص النقشية،[3] التي من خلالها يمكن أن نميّز نوعين من المدن: هجـــر المدينة، عاصمة الدولة (ك هـــ ج ر/ م ر ي ب) المدينة مأرب، و (هـــ ج ر/ ص ن ع و) المديـــنة صـــنعاء ... كمـــا أطلق اسم هجر على المدينة عاصمة الإقلـــيم أو المخلاف، حيث يقيم القيل أو الكبير، مثل (هـــ ج ر/ و ع ل ن) مدينة وعلان[4].

لقد أنشئت المدن اليمنية في مناطق توافرت فيها كل المقومات الطبيعية، فأقيمت علـــي القـــيعان، وعلى سفوح الجبال وعلى الوديان، وعلى السهول الساحلية. فمنذ الألف الأول قبل الميلاد، برزت بعض المدن على أطراف الأودية الشرقية كمراكز حضـــارية وعواصـــم للممالك اليمنية، مثل: (شبوة) عاصمة حضرموت، و(تمنع) عاصـــمة قتبان و(مأرب) عاصمة سبأ، و(قرناو) عاصمة معين و(نجران) المدينة التجارية المعروفة، وقد ارتبط تمركز تلك العواصم بتلك البقاع لارتباطها المباشر

بطرق التجارة البرية. ومنذ مطلع الميلاد برزت مدن أخرى على قيعان المرتفعات الغربية، عندما انتقل الثقل السياسي إليها، بفضل انتعاش الملاحة البحرية، وينبغي الإشـــارة إلى أنّ هناك مدنًا قامت على القيعان وعلى الأودية الداخلية تزامن بناؤها مع تلك المدن التي أنشئت على أطراف الأودية الشرقية، إن لم تكن أقدم منها، فقد كشفت البعثات الأثرية عن مدن قامت على المنحدرات الشرقية للمرتفعات الغربية يرجع تاريخها إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد[5].

ويمكن تقسيم المدينة إلى:

1- المدينة الداخلية: وهي منطقة تكتنفها المستوطنات الخاصة بالمواطنين، وتبنى فـــيها العديد من المنشآت الاقتصادية والدينية والقصور الملكية والمقابر ... ويحيط بها سور له بوابات وأبراج لحمايتها من المعتدين.

2- ضاحية المدينة: يطلـــق علـــيها في النقوش (ذ خ ل ف)، تقع خارج أسوار المديـــنة على بُعد (2 كم) أو (4 كم) تقريبا، حيث تبنى المعابد الرئيسة الاتحادية، وفي الضواحي تنتشر الحقول الزراعية والمراعي الواسعة.

- التخطيط الهندسي للمدينة:

يـــبدو جليًا أنّ مهندسي الدولة يضعون مخططًا للمدينة، يختلف من منطقة إلى أخـــرى، حسب طبيعة التضاريس الخاصة بها، أي أنّ تضاريس المنطقة هي التي تتحكم في وضع ذلك المخطط، حيث يضم مخطط المدينة – بشكل عام:

1 – قصر الملك. 2 – المعبد. 3 – المقبرة. 4 – الآبار. 5 – أحياء سكن الأقوام.
6 – المنشآت الاقتصادية. 7 – المنشآت الخدماتية. 8 – الطرقات.

ثانيًا: نماذج من فن العمارة المدني:

وجدت في اليمن القديم أنماط مختلفة من فن العمارة المدني، إلا أنّ أبرزها:

1- البناء الشاهق المكوّن من طوابق عديدة.

2- البناء الشاهق ذو الفناء.

إنّ نمـــط المبانـــي العالـــية عند قدماء اليمنيين قديم جدًا، فقد كشفت التنقيبات الأثـــرية عـــن مثل هذا النوع من البناء في عدد من المدن اليمنية القديمة،[6] وفي المـــناطق الواقعـــة حـــول (رملـــة السبعتين) كـــ (شبوة) و(السوداء) في الجوف، و(نجـــران)، وفـــي المـــناطق الواقعة على روافد وادي حضرموت مثل: (مشغة) و(الهجرة) و(ريبون) (انظر خريطة رقم؟). وتتكون عناصر هذا البناء من:

(1) أساس حجري قوي يتراوح ارتفاعه من متر إلى عدة أمتار، يتكون من حائط خارجي وجدران داخلية مترابطة تعامديا.

ومـــن الملاحظ أن الفجوات الواقعة بين هذه الجدران مملوءة باللبن وبالتراب وبالأحجار، أما تركيب الجدران فيحدده تنظيم البناء الأرضي.

(2) طابق أرضي بدون فتحات.

(3) مدخل واحد (دهليز) ينفتح على غرفة جانبية يقود إلى درجات محورية.

(4) البنية العلوية تتكون من:أعمدة متشابكة مبنية على جدار من الحجر وتوجد – بصـــورة عامة – قطع من الخشب طولها يساوي عرض الجدار وعمود خشبي سـفلي، وسلسلة عالية من الخشب وأعمدة رأسية تفصل بينها متساوية، وتعلو ذلك قطـــع مختلفة من الخشب أيضا تربط بين أجزاء البناء. إنّ تلك الأعمدة المتشابكة تكـوّن نســقا نموذجيا يسمح بتكوين طابق يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار تقريبا كما هو الحـــال فـــي القصر الملكي القديم بـــ (شبوة)، أما الإطارات الخشبية فتملأ باللبن المترابط بالملاط،[7] فالخشب هنا يشكل الهيكل الأساسي البناء.

كمـــا تبنى الطوابق في بعض المناطق بأحجار مترابطة بملاط الطين مثال: مباني (بيحان) و(يلا)[8] ...

(5) أرضية المبنى تتألف من تراب مرصوص مع اللبن[9].

1- البناء الشاهق المكون من طوابق:

مباني مشغة:

في عام 1979م كشفت البعثة الأثرية الفرنسية في منطقة (مشغة) الواقعة على وادي (عدم) أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت، عن ثلاث بنايات ضخمة في حالة جيدة، رمز إليها ب (K. J. I).

تشـــترك هـــذه البنايات في المخطط العام للبناء، وتمتاز بوجود قاعدة حجرية تـــرتفع بوضوح فوق سطح الأرض، وبطابق علوي ذي هيكل خشبي محشو باللبن الني-[10].

- مكوّنات البناء:

* **القواعد**: تـــتكوّن مـــن أحجـــار قوية وصلبة، ويحتوي الجدار الذي يغلقها من الخـــارج علـــى سلســـلة مـــن الجدران الداخلية المتعامدة التي تستند عليها جدران الطـــبقات العليا المكوّنة من الخشب واللبن. وتحتوي كل القواعد الثلاث على جزء في الأساس وجزء مرتفع.

* **الأساس**: فـــي البناية (I) تصل أبعاده بين (10.20 / 9.20متر) وهو أفضلها بناءً وأثبتها تأسيسا، يتراوح سمك الجدار (1.10 / 1.40 متر) مغروس منه متران تحـــت الأرض، ويتألف من كتل حجرية متنوعة، أما الغلاف الداخلي، فيتكوّن من أحجار ضخمة أبعادها (1.10م / 0.50م)، ويتكون باقي الجدار من كتلات يتراوح قياسها بين (0.30 / 0.40 م)، وقد سدت الفراغات بين الفواصل باللبن النيّ.

أما الغلاف الخارجي في القاعدة (k) (9,20م/ 8,90م)، وهي الأضعف تأسيسا تحت الأرض (0,80م) وترتفع فوق مستوى الأرض القديمة بمقدار (1,15م).

القـــاعدة في البناية (J) (؟/ 7.60م) تعدأضعف القواعد بناءً، حيث أنّ أساس هذه القاعدة لا يتعدى خمسة سنتيمترات، وهو يتألف من كتلات صغيرة ومتوسطة الحجم.

• الطبقات العليا: مـــن حيث التصميم نرى أنّ تلك الأجزاء المرتفعة تنتظم دائما حـــول رواق مركزي كبير موجّه حسب المحور الأساسي للبناء، وفي أحد أطراف الـــرواق توجد بوابة عظيمة تشغل عرض الرواق، الذي يبلغ امتداده بين (1.70 / 1.75م)، في البنايات (K. I) أما في البناية (J) فلا يتعدى عرضه (1.45م).

* الغرف: تتفرع من الرواق عدة غرف صغيرة تتصل ببعضها أحيانًا، وتنفتح تلك الغرف على رواق بواسطة ممرّات ضيقة عرضها (0.70م / 0.85م)، ولها عتبات مرتفعة جدًا، تصل إلى (1.40م) فوق سطح الرواق وأرض الغرفة الداخلية.

* السلالم: عبارة عن درجات من (0.22م إلى 0.24م) للخطوة من (0.28م) إلى (0.30م) فـــي البناية (I)، تلك الدرجات مبنيّة على قوائم خشبية مثبتة في جدران السلالم، أما مادة بنائها فتتكوّن من اللبن النيّ والأجر.

* الجدران: كافـــة الجدران من اللبن، يتراوح عرضها ما بين (1.0 م إلى 2.65م) بنيت بأوضاع أفقية ومعترضة، في وسط الجدران يوجد الخشب بكثرة، حيث يشكل هـــيكلا حقيقـــيًا ومنتظمًا للبناء والتركيب، ويحشى باللبن. تتألف الجدران من عدة عـــوارض خشبية مثبتة عموديًا وأفقيًا فوق بعضها بعضًا كل (1.40م) على طول أبعـــاد اللبـــن النـــيّ (0.40 / 0.27م) وسمكه (0.09م) فهي متماسكة مع الطين ومطلية بالآجر من الدخل والخارج، أما عوارض الجدران فظاهرة للعيان، ويختلف ســـمك الجدار من طابق إلى آخر، فسمك جدار الطابق الأرضي أكبر من الطوابق الأعلـــى مـــنه أي أن سمك الجدران تتناقص تدريجيا كلما اتجهنا إلى الأعلى، مما يترتب على ذلك ميلان الجدران نحو الداخل.

* الأرضية: مؤلفـــة مـــن التراب المرصوص على لبن في البناية (I)، وقد تركت الأرضية كما هي في غالبية الغرف، غير أنها في بعض الأحيان مطلية بالجبس في البنايتين (J,I) أو بالملاط والحصى في البناية (I)، أما في الطبقات العليا فالأرضية مكونة من التراب المرصوص فوق حصيرة من سعف النخيل، وقد تبلط الأرضـــية بالأحجار كمباني (ريبون)، أما سقف الأرضية فيتكوّن أساسًا من امتداد العوارض الممتدة من جدار إلى آخر.

* **الزخرفة**: الجـدران فـي الغالب مزيّنة بالزخارف والرسومات الملوّنة، خاصة جدران الممرات والسلالم المبنية من البلاط الحجري، وقد حدد الأثريون فترة بناء المجـتمعات السـكنية القديمة في وادي حضرموت إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وحـتى القـرن الثالـث الميلادي، وأبرز المستوطنات تلك التي وجدت في الجزء الأسـفل من الوديان الفرعية لوادي حضرموت كأودية (دوعن) و(العين) و(عمد) و(عدم)، [11] وقد تزامن بناء تلك المستوطنات مع بناء المعابد الضخمة [12].

- ما هو الدافع من وراء المباني الشاهقة ذات الطوابق؟

قـد يتسـاءل المـرء: مـا هو الدافع الحقيقي من وراء بناء مثل تلك المباني الشـاهقة، ذات الطوابـق في الأودية الشرقية، منذ الألف الأول قبل الميلاد، وعدم اسـتغلال المسـاحات الأرضـية؟ إنّ الهدف الذي من أجله بنيت الحصون على المرتفعات الجبلية، هو نفسه الهدف الذي دفع اليمنيين قديما إلى تشييد المنازل ذات الطوابـق في الأودية، فالغرض الأول هو غرض دفاعي، خاصة إذا ما عرفنا إنّ المـدن كانـت تـتعرض بيـن الفينة والأخرى للاعتداءات، والنزاعات الحربية، والصـراعات القبلـية، فمثل تلك البنايات الشاهقة، تشكل حماية فردية إضافة إلى حماية الدولة، علما أنّ أغلب المدن اليمنية القديمة محاطة بالأسوار المحكمة والقوية لتحمى المدينة من أي اعتداء خارجي[13]. أما الغرض الثاني فيتمثل - في اعتقادنا - إلـى حرص سكان الأودية باستغلال كل شبر من الأراضي المروية لزراعتها، لهـذا جـاء المـيل للبناء الرأسي. وقد ظل هذا النمط من البناء قائما حتى العهد الإسلامي، فمدينة (شبام) المشهورة والواقعة على وادي حضرموت ــ والتي يطلق عليها حاليًا (ناطحات السحاب) ــ خير دليل على ذلك.

2 - البناء الشاهق ذو الفناء:

كـان الاعتقاد السائد - ولفترة طويلة - إنّ هذا النوع من البناء لا يعرف في اليمن القديم، بل هو نتاج لتأثيرات يونانية - شرقية (هلنستية) لكن التنقيبات الأثرية كشفت لنا عن نماذج من هذا النمط من البناء، الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع ق. م [14]، ويمكن تصنيف هذا النوع من البناء إلى ثلاثة أنماط:

(أ) مبنى مركزي ذي طوابق مع مبنى آخر ذي أروقة يحيط بالفناء.

(ب) مبنى شاهق مزدوج.

(ج) مبنى ذي فناء مركزي.

أ- مبنى مركزي ذو طوابق مع مبنى آخر ذي أروقة يحيط بالفناء:

يمتاز هذا النوع من البنايات بدقة تخطيطها الهندسي، وبفنّها الراقي، فقد بنيت وفقـا لقواعد هندسية دقيقة، لهذا نجد مثل هذا النوع من البناء في القصور الملكية بصورة خاصة.

1- القصر الملكي بشبوة (بيت شقر):

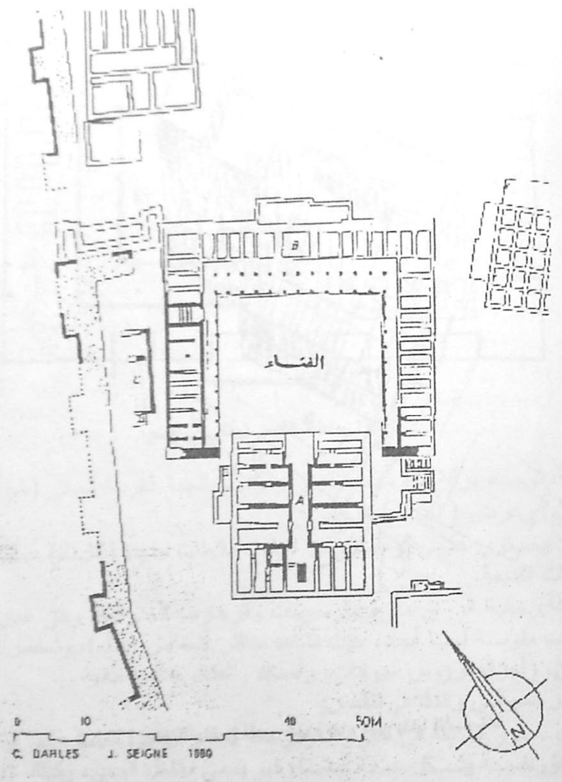
ذكرت النقوش اليمنية القديمة اسم القصر الملكي في شبوة (ش ق ر) كما جاء هذا الاسم في العملات الحضرمية. يتكوّن القصر من مبنى شاهق ذي طوابق يرمز إليه بالمبنى (A)، وفي الجهة الشرقية من هذا المبنى يوجد مبنى آخر مستطيل له أروقة من الأعمدة المزدوجة في جهته الشمالية الشرقية، وغير مزدوجة في الجانبين الآخرين، ويرتكز إلى هذا المبنى (B)، يحيط بفناء مبلط، مربع الشكل يمتد كل ضلع (23م). أما مساحة القصر فتبلغ حوالي (30 x 52 م) [15].

- التخطيط الهندسي للمبنى:

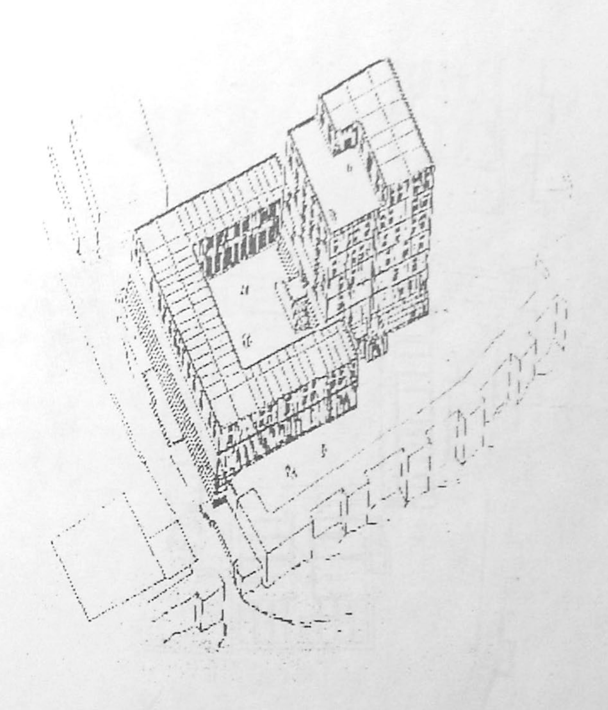
المبنى الرئيس (A)، يتكوّن من أساس حجري متين، ذي تركيب منتظم بمقياس (20 x 22م) يعلوه بناء علوي خشبي. وفي الطابق الأرضي يوجد باب ضخم ينفتح على دهليز محوري، توزع عليه حجرات جانبية، ويقود إلى سلم حجري.[16]

كما يوجد بابان ينفتحان على فناء مبلط يمتد حتى المبنى (B)، ويقوم هذا التبليط على طبقة ضخمة من الطين تربط بين المبنيين: (A)، (B)(انظر الشكل 16،17).

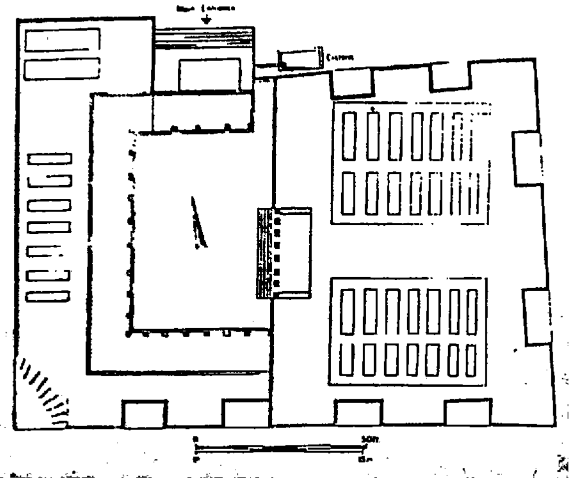
المبنى (B): يتكوّن من طابق أرضي ذي حجرات صغيرة تفضي إلى بعضها بعضًا ومن رواق يضم مجالس حجرية، محاط بفناء مربع. بعد حريق المبنى أعيد بناؤه من طابق واحد. ومن الملاحظ أن المبنى له فتحات كبيرة تقع في الجانب المطل على الفناء. [17]



شكل 16 تخطيط هندسي للقصر الملكي بشبوة



شكل 17 رسم افتراضي لقصر شبوة بناء على بقايا الأساسات



شكل 18 مخطط القصر الملكي في تمنع

البركة: توجد بركة ماء تابعة للقصر ومواجهة للجهة الغربية للمبنى (A) بطول (7.80م) وعرض (2.60م) تقريبا.

الفناء: يحتوي على نوعين من التبليط، بلاطات جديدة (0.36م) عملت فوق البلاطات القديمة.

الزخرفة: خلفية الرواق مليء بالرسومات والزخارف الجدرانية، وهي عبارة عن لوحات ملوّنة لها أبعاد، حيث نشاهد مناظر أشخاص (نساء)، وشخص يمسك بحصان، وأجزاء لرؤوس حيوانات، وأسماك وأشكال هندسية نباتية ...

- الدور السياسي والدفاعي للقصر:

يشكل سور المدينة في الجزء الغربي منه النظام الدفاعي للقصر، كما أنّ البناء الشاهق نفسه يشكل حماية خاصة، فهو يحمي مداخل المبنى، وكذلك الممرين الضيقين في مدخل الفناء، لهذا فالقصر قادر على تحمل حصار طويل.

ولقد شهد القصر الملكي بشبوة (شقر) أحداثا سياسية مهمة عبر مراحله التاريخية، فهو يقوم بدور عسكري وسكني في آن واحد. أما أهم الأحداث الخطيرة، فهي تلك

التــي شــهدها القصــر في القرن الثالث الميلادي (225م) تقريبا، في عهد الملك السبئي (شعر لوتر)، وقد حدثنا نقش (ارياني 13) عن كيفية وصول الملك السبئي وجــنوده إلى (شبوة) ـ عاصمة حضرموت ـ و القضاء على الجنود الحضارمة فــي فناء القصر، وكيف ظلوا في القصر محاصرين مدة (15 يوما) يعانون من العطش حتى جاءتهم الإمدادات ودعمت قواتهم المرابطة في القصر، بعد ذلك قاموا بتخريب وحرق (شبوة) وقصرها الملكي[18].

كثير من الدلائل تشير إلى آثار ذلك الحريق الذي تعرضت له المدينة وبالذات القصر، فهناك طبقة من الرماد كشفت لسفل البناية الرئيسة (A) و(B).

بعد تلك الأحداث يتولى الملك (يدع إل بيّن والريام يدم) الحكم في حضرموت، ومن أولى المهام التي قاما بتنفيذها هي: ترميم القصر، حيث أعادوا ترميم الطابق العلــوي في المبنى (A) من الخشب، وأعادا بناء المبنى (B) الذي تهدم بالكامل، فــتم بــناؤه مــن طابق واحد، مكون من رواق له عدة أبواب تسمح بالدخول إلى الغرف، ويمكن الصعود إلى الطابق، بواسطة سلم حجري يقع في الزوايا الشمالية الغربية[19]. ولقد ظل المبنى مسكونًا حتى هجر نهائيًا في القرن السادس الميلادي، تقريبًا.

2- القصر الملكي بتمنع (ح ر ب):

ذكرت النقوش اليمنية القديمة اسم القصر الملكي للقتبانيين (ح ر ب)، كما جاء في العملات القتبانية أيضًا.

- التخطيط الهندسي للقصر:

يبدو واضحا أنّ هناك تشابها كبيرًا بين القصر الملكي (بشبوة) والقصر الملكي (بتمنع) حيث يتصف قصر (تمنع) بأن له شكلاً مستطيلاً، تبلغ مساحته حوالي (48 x 36م)، ويتــكوّن مــن عدة طوابق خشبية محشوة باللبن النيّ، في الجهة الغربية يوجد المبنى(B) وهو عبارة عن رواق يحيط به فناء مستطيل، ويمكن الصعود إلى الأعلى بواسطة سلم رئيس،عرضه (5.03م) ينفتح على الفناء من ثلاث جهات[20] (أنظر شكل 18).

تــاريخ بناء القصر: يشير (فان بيك Van Beek) إلى أنّ تاريخ المبنى يعود إلى القرن السادس ق. م، ويعود تاريخ بناء الساحة والمدخلين إلى حوالي القرن الثالث ق. م تقريبًا، أما البناية الشرقية فيعود تاريخ بنائها إلى القرن الأول ق. م، ويحتمل أن يكــون القصر قد تهدم بسبب حريق شديد تعرض له ربما أثناء الحملة السبئية علــى قتبان التي تمت في حوالي (160م)، أو (200م)، بعد ذلك التاريخ لم يسكن القصر[21].

- مقارنة بين قصري شبوة وتمنع:

من حيث المساحة والتصميم الهندسي، وتكنيك البناء للقصران بنيا بشكل متشابه إلى حدٍ كبير، فقد كانت مساحتهما متقاربة، أما التخطيط الهندسي فهو واحد تقريبًا، حيث يتكونان من مبنى رئيس، وآخر مستطيل محيط بفناء، والبناء ان أساسهما حجري ضخم في أحدهما، ومنتظم متساو في الأخر يعلو البناء أعمدة خشبية، تم حشوها باللبن النيء. وقد خربت الطوابق العليا للبناءين، ويمكن مشاهدة الترميمات وبعض الأجزاء الهامة من الهيكل للبناية (A) و (B)، وبالذات في القصر الملكي (بشبوة) بخلاف قصر (تمنع). الزخرفة ومواد البناء للقصرين تبرهن على فخامة وعظمة البناء بالنسبة لفن العمارة المدني لليمن القديم[22].

ويمكن أن ندرج ضمن هذا النمط من البناء بعض القصور كالتي جاء ذكرها عند (Brian Doe) [23]، وفي نقشية (Doe 6.7) ونقش (يمن 11)[24].

جاء في نقش (Doe 6): "بنى عم يثع بن حرمم بيته (ش ب ع ن) من دور سفلي، وقاعة استقبال، وطابقين في الأعلى وجدارين (رواقين) وفناء وبئر".

أما نقش (يمن 11) فيتحدث عن قصر يحمل نفس الاسم: "نبط عم زأدن من آل معاهر ... بنى قصره شبعان (ش ب ع ن) وسواه وحفر أساسه، ووقفه باسم الآلهة، وعلاه، وذلك ضمن سور المدينة (قانية) ومن أساس القصر حتى قمته (بما فيه) كل مواقده (مباخره) وكل أبراجه ودرجاته وغرف الطابق السفلي وصرحاته وكل مرافقه جميعها من ملكية خاصة خالصة، وذلك وفق ما أمر به (أنباي) ولا يخالف أمره ولا يعلى عليه، وبجاه عثتر الشرق وأنباي الراعي، وبجاه عم ذي ميرق بعل (رب) سليم ولميم وبجاه (الآلهة) ذات ظهران وشمسه (وآلهته) عالية".

ويقول نقش (Doe 7) " بنى رأبم آلهن بن ذرأ كرب ... بيته (و ث ع ن) من قاعة استقبال (طابق أرضي)، وطابقين عاليين وجدارين (رواقين) من الأساس إلى القمة"[25].

ب- البناء الشاهق المزدوج:

- مبنى وعلان: يسمى الموقع الأثري حاليًا (المعسال)، عثر في هذا الموقع على آثار مبنى كبير مكوّن من أساسين بحجمين غير متساويين تفصل بينهما مسافة طولها (11.60م)، في الجهة الشرقية يوجد مبنى كبير مستطيل الشكل، جدرانه الداخلية مترابطة بصورة تعامدية منتظمة من جانبين. ولا يوجد أي أثر لرواق، أما الفناء فيبلغ طوله (44م) وعرضه (26م)، ويوجد به نظام لتوزيع الماء، قد يكون حوضًا، لقد كان هذا المبنى – في الأصل – مكونًا – من بنايتين شاهقتين، أمامهما

بـــنى مســـتطيل وفـــناء يقـــود إليه ممر واسع، ولاشك أنّ هذا القصر كان لأقيال (ردمان) و(خولان)[26].

ج- مبانٍ ذات فناء مركزي:

أ -المبنى رقم (44) في شبوة:

عـــبارة عن مبنى مستطيل يتكوّن من سلسلة من الحجرات الجانبية التي تتفتح علـــى فـــناء مركـــزي ذي أروقة، ويمكن الدخول إليه عبر درج يقع وسطه. ومن الملاحظ أن البنية العلوية الخشبية لهذا المبنى تشابه البنية العلوية للقصر الملكي (ش ق ر)[27].

تلـــك هـــي نماذج متنوّعة من البناء، كشفت عنها البعثات الأثرية، عكست فنا جمـــيلاً وراقيًا للمعمار اليمني القديم، إلا أنّ أعمال التنقيب عن الآثار لا زالت في بدايتها، وقد لا تشبع طموحاتنا الهادفة إلى معرفة المزيد عن تلك الفنون العمرانية، لهـــذا فإننا لا نستغني عن الأدبيات العربية بشكل عام التي تسمح بتكوين فكرة عن تلـــك الإبداعـــات الجمالـــية الراقية، فها هو (الحسن الهمداني) منذ القرن العاشر المـــيلادي، يخصـــص الجزء الثامن من كتابه (الإكليل) ليحدثنا عن قصور اليمن، والقـــبوريات، وهنا سنسلط الضوء على بعض تلك القصور التي تحدث عنها، بل كان شاهد عيان لآثارها التي اختفى معظمها اليوم.

ب-_قصر غمدان:

نسج الأخباريون حول قصر (غمدان) كثيراً من القصص والأساطير، وأعادوا بناءه إلى أقدم عصر تاريخي هو عصر "سام بن نوح".

أمـــا الهمدانـــي فيقول: "أقدم شيء قصر (غمدان)، أول قصور اليمن وأعجبها ذكرا وأبعدها صيتًا قصر (غمدان)، قصر (أزال)[28] وهو في صنعاء "ثم أضاف: " الـــذي أســـس (غمـــدان)، وابتدأ بناءه، واحتفر بئره التي هي اليوم ساقية لمسجد صـــنعاء. سام بن نوح "عليه السلام". وقد سجّل لنا (الهمداني) كل المعلومات التي ســـمعها عـــن قصـــر (غمدان). ونستخلص من قوله: أن القصر كان يحتوي على عشرين طابقًا بارتفاع عشرة أذرع[29] لكل طابق، شيده الملك (إلي شرح يحضب) الـــذي توقف عن البناء بعد أن شاهد ظله بلغ سفح جبل (عيبان)، كما أضاف هذا الملك غرفة خاصة به على السطح الأخير، وأطبق سقفها برخامة واحدة من خلالها يـــرى الأنـــواع المختلفة من العصافير التي تحلق فوق السقف، وهو مستلق على فراشـــه، ويســـتطيع من خلال تلك الرخامة أن يميّز بين الغراب والحدأة، وفي كل ركـــن مـــن أركان غرفته، يوجد تمثال برونزي لأحد الأسود، هذه التماثيل كانت مجوّفـــة، بحيـــث يســـمع زئير الأسد بمجرد دخول الرياح في جوفها، وكان لهذه الحجـــرة عـــدة نوافذ ذوات أطر رخامية، مغطاة بقطع من الأبنوس، وعلى بلاطة

السقف، توجد دعامة القبة التي يتدلى منها أحد القناديل، التي كانت تضيء طوال الليل، حيث كانت ترى من أعالي جبل (عجيب)، ومن أروع محتويات القصر وأكثرها أثاره للإعجاب، ساعة مائية، قطارة تقطر لتعد الزمن، وبجانب القصر توجد نخلة تنتشر أسعافها على بعض أجزاء القصر، وتسمى (الدامغة)[30].

لما إذا رجعنا للنقوش اليمنية القديمة، فإننا لم نجد أي نص صريح يحدثنا عن قصر (غمدان)، سوى إشارات طفيفة تؤكد حقيقة وجود هذا القصر، وتؤكد صحة بعض المعلومات التي ذكرها لنا (الهمداني)، فهناك نقش (نامي 12)[31] الذي يذكر قصر (غمدان)، يعود تاريخه إلى عهد الملك السبئي (شعر أوتر) القرن الثالث الميلادي (225م) تقريبا.

كما تكرر اسم قصر (غمدان) في نقش (جام 577)[32] الذي يعود إلى عهد الملك السبئي (إلي شرح يحضب الثاني) وأخيه (يأزل بين) القرن الثالث الميلادي. جاء ذكر القصر عندما تم استيلاؤهما على قصري (غمدان) و(سلحين)، ويعد (سلحين) مقرًا للأسرة التقليدية المالكة في (مأرب)، أما قصر (غمدان) فكان مقرًا للملوك من قبيلة (بني جرة)[33].

وعن تهدم قصر (غمدان) ذكرت المصادر الإسلامية، أنّ قصر (غمدان) ظل شامخًا حتى مجيء الإسلام، والمرجح أنّ تهدمه لم يتم في فترة واحدة، بل تم على مراحل، لقد تعرّض القصر إلى بعض الانهيارات أثناء الاحتلال الحبشي، ويؤكد (الطبري)[34] ذلك، حيث يشير إلى أنّ القصر قد تهدم جزء منه في عهد أرياط الحبشي، وأحرق جزء منه في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أو عقب موته مباشرة، أما هدمه هدمًا تامًا، فلم يتم إلا في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) (رضي الله عنه) بعد أن وجد أنّ هذا القصر سيظل ريبة في قلوب اليمنيين ومصدر فخر واعتزاز لهم، فأمر بهدمه هدمًا كاملاً حتى أصبح تلا من الأحجار والتراب[35].

ومن خلال مشاهدته لبقايا القصر يقول الهمداني: "وقد بقي من حد غمدان القديم قطعة ذات جروب مستلاحك عجيب، فهي بقبالة الباب الأول والثاني من أبواب الجامع الشرقية، وباقي غمدان تل عظيم كالجبل، وكثير مما حوله من منازل الصنعانيين بنيت منه"[36].

ج- من قصور وادي ضهر[37]:

يصف الهمداني أحد قصور وادي ضهر فيقول: "فرأيت في قصر منها ساحة مربعة يدور بها دكاكين (مع دكة) من بلاط تكون البلاطة طول عشرة أذرع، فيها قطوع لمقاعد القيول (جمع قيل) إذا طلبوا الوصول إلى الملك، وعلى جانبي كل

مقعد قطعتان أرفع من المقعد لمقام الرجلين اللذين يقومان على رأس القيل مسلطين سيوفهما كل واحد قائم على فردة رجل".[38]

ويضيف "وفي وسط الساحة توجد بلاطة، عشرة اذرع في سبعة عرضا يقال لها الرخامة، محمولة من بلد ناء، لأنها لا تشاكل كل حجارة ذلك الموضع".

د- قصر بيت حنبص[39]:

يقول الهمداني[40]: "ينسب بيت حنبص للقيل ذي يهر، كان نجارة القصر وأبوابه قديمة من عهد القيل" ويضيف :" وكان فيه معاقم [41] من بلاط قد انقطعت أوصالها من مواطئ الأقدام والحوافز على طول الدهر، وقد رأينا مثل هذا كثيرًا في قصور اليمن، ولم يزل عامرًا حتى لحرقه (براء بن أبي الملاحف القرمطي) سنة 595هـ".

هـ- من قصور مدر أتوه أرحب بلد همدان:

قال الهمداني [42]: "أما مدر فأكبر بلد همدان مآثر ومحافد بعد ناعط وفيها أربعة عشر قصرًا منها ما هو اليوم خراب ومنها ما هو اليوم متشعث، ومنها ما هو عامر مسكون". ويضيف " فأما قصرها العامر فقد دخلته فهو بوجوه من الحجارة البلاطية خارجية، ومثلها في داخله، قد أجر عليها المماشق[43] فلست ترى فيها فصلاً ما بين الحجرين حتى لو كان داخله كريف للماء ما خان ولا نفذ".

ثالثًا: الفن المعماري الديني:

لقد أقام قدماء اليمنيين لآلهتهم بيوتًا يحجون إليها، ويزورونها ويتقربون عندها بالذبائح، وقد اختلفت تلك المنشآت الدينية من حيث أشكالها وأحجامها وطريقة، وقد استخدمت الأخشاب لتصميم هياكلها، وأقيمت سقوفها على أعمدة قوية. أنّ دراسة تلك المعابد بتخطيطاتها ومحتوياتها يتيح لنا فرصة لرسم صورة واضحة المعالم للديانة في اليمن القديم، وللطقوس الدينية التي كانت تمارس آنذاك.

فالبقايا التي حافظ عليها الزمن من تلك المنشآت، تشير إلى مدى رقي وعظمة الفن المعماري الديني عند قدماء اليمنيين، ففي البداية كانت لماكن العبادة عادية، أعتقد الأقدمون أن المعبودات تعيش فيها، فهي أما نبع، أو صخرة أو شجرة ... فاعتبرت المنطقة الواقعة حول ذلك المكان موقعا مقدساً تجلب إليه الهدايا، وتقام فيه الطقوس الدينية، وبدأ الشكل البدائي للمعبد بتشييد جدران تحيط بالموقع المقدس، وكان هذا الشكل مميزًا لمعبد (المقه) معبد (اوام)[44] بمارب، الذي أطلق عليه الأخباريون (محرم بلقيس). وكذلك معبد المقه بـ (صرواح)، وفيما بعد تطوّر بناء المعابد وأصبح لكثر تعقيدًا، وغدت المعابد محصنّة بجدران ضخمة، ذات حوائط مزدوجة يتصل بعضها ببعض – من مكان إلى آخر – بمواقد من الحجارة العمودية، وكسيت الفراغات بينها بالحجارة والطين، فأنشأت الأعمدة عند

المدخـل، وشيّدت صالات داخل السور، وأحيط المحراب (قدس الأقداس) بعدد من الأعمدة لتفصله عن بقية الصالات، أما أرضية المعبد فبلطت بالحجارة. إلى جانب ذلـك وجـدت فـي بعـض المعابد حجرات لخزن الغلال. وقد ذكرت لنا النقوش مصـطلحات خاصة بالمعبد وأجزائه[45] مما يدل دون شك – على تنوّع الطقوس الدينية التي كانت تمارس في تلك المعابد.

(1) نماذج من المعابد السبئية:

أ – معبد الإله المقه أو معبد (أوام) بمارب:

يطلـق علـيه الأخباريون (محرم بلقيس)، يقع معبد المقه على بعد (4 كم) إلى الجنوب الشرقي من مأرب، بني من كتل من الحجر الجيري. ذو تخطيط بيضاوي، يقع مدخله الرئيس في الجانب الشمالي الشرقي، يتقدمه صف من ثمانية أعمدة من الجرانيـت، كل منها عبارة عن حجر واحد قائم، يبلغ ارتفاعه (7.65م) يتلو ذلك مدخـل ذو صـرحين مرتفعيـن يؤدي إلى بهو ضخم، حملت سقفه أعمدة حجرية كبيرة، ومع مرور الدهور بقيت بعض أجزائها وغطت الرمال أجزاء أخرى، البهو محاط بسور قوي سمكه حوالي (3.90م) وهو عبارة عن سور مزدوج، أي يتكوّن من حائطين متوازيين متصلين ببعضهما بحوائط صغيرة متقاطعة، يبعد الواحد منها عـن الأخر مترين ونصف المتر، وقد ملئت المساحات الداخلية منها بقطع صغيرة مـن الأحجـار. أما ارتفاع حائط السور فيمكن تقديره بحوالي (9.50م)، مازالت أجزاء منه تحتفظ بالإفريز القديم، ومن المؤكد أنّ المعبد كان غير مسقوف[46].

أمـا بالنسـبة لتاريخ بناء المعبد، فمن خلال النقوش المكتشفة على الجدران، نسـتنتج: أنّ ملوك سبأ الأوائل هم أول من بنى ذلك المعبد، فقد جاء ذكر المكرب (يـدع إل ذريـح) والمكرب (إلي شرح بن سمه علي ذريح) و(يثع أمر بين)، وقد تباينـت وجهـات نظـر العلماء حول الفترة الزمنية لهؤلاء الملوك، ونتفق مع ما توصل إليه عالم النقوش (جام) بأن أقدم نقش عثر عليه في المعبد يعود إلى القرنين الثامن والسابع ق. م،[47] أي أنّ فترة بناء المعبد ربما تبعد عن ذلك التاريخ.

ب- معبد (معرب) بالمساجد:

أحد معابد سبأ، كرس لعبادة الإله (المقه)، يقع في منطقة (المساجد) ببلاد مراد التـي تـبعد حوالي (27كم) جنوب شرق مأرب الحالية، شيد هذا المعبد المكرب السـبئي (يدع إلي ذريح) (القرن السابع ق . م) مؤسس معبد المقه (أوم) بمأرب، ومعبد المقه (بصرواح)،[48] لذلك فهو يعد من أقدم المعابد في جنوب شبه الجزيرة العربية، ويعتبر المعبد الوحيد الذي ظلت أعتابه في أماكنها الأصلية، سجلت على أعمدته العديد من النصوص النقشية، كما بني لهذا المعبد سور مستطيل الشكل من كتل الأحجار المحلية، أما مدخله فيتجه نحو الجنوب الغربي[49]

ج- معبد الإله المقه بصرواح

بني سور معبد المقه بـ (صرواح) على نمط سور معبد المقه بـ (مارب)، على شكل حائط، مزدوج متصل بحوائط صغيرة، كل بضعة أمتار، حيث تمتلئ المسافات بينهما بقطع من الأحجار الصغيرة، وتوجد بعض النقوش على الجدران الخارجية عند الجانبين الشمالي والشرقي. ويشير أحد النقوش إلى أنّ المكرب (يدع إل ذريح بن سمه علي) قد كرسي هذا المعبد للإله المقه، كما يشير لبنائه سور المعبد، وتقديمه بخورًا كقربان، وإلى جانب المقه كرم أيضاً الإله (عثتر) والآلهة (ذات حميم) في نفس المعبد[50].

ما زالت أجزاء من المعبد تحتفظ بالنقوش، وما زال نقش النصر[51] الشهير (جلازر 1000) في مكانه بالرغم من عوامل التعرية الطبيعية والعبث البشري.

والجدير ذكره أنّ هذا المعبد استخدم كقلعة في العصور الوسطى، وفي داخل المعبد بنيت العديد من المنازل الحديثة بأحجار قديمة.

د- معبد الحقة:

الحقة: موقع أثري يقع على بعد (30 كم) تقريبًا شمال صنعاء، كشف عنه العالمان الألمانيان (فان وايزمن) و(راتجن) عام (1927 – 1928م). وأهم ما عثر عليه في الموقع، آثار معبد مستطيل الشكل له فناء قائم الزوايا، أحيط من ثلاث جهات ببقايا أعمدة ذات ثمانية أوجه، تنتهي بتيجان، وعلى الجهة الرابعة نجد المدخل الذي يوصل إلى الفناء، كما يوجد سلم يوصل إلى داخل المعبد[52].

تمتاز أعمدة المعبد بالإتقان، فقد نحتت أضلاعها في الأعلى على شكل مستطيل، كما احتوت على نقوش زخرفية متنوعة.

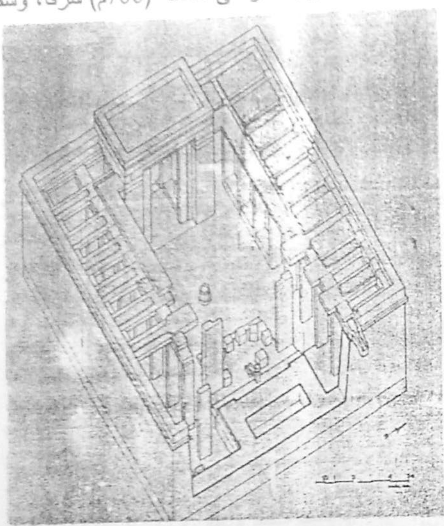
2- نموذج من معابد الجوف:

عثرت البعثات الأثرية على بقايا عدد من المعابد تقع إلى الشرق من المدن الكبيرة مثل (هرم) خربة همدان حالياً، و(كمنهو) "كمنه" حاليا و(قرناو)"معين" اليوم، وهناك معابد في (نشن) "السوداء"، و(نشق) "البيضاء"، و(يثل) براقش"، بعض هذه المعابد متشابهة في الطراز المعماري، ذات أبواب متتالية أصغر فاصغر، تنفتح على فناء مكشوف محاط بأروقة جانبية، وتتشابه فيما بينها بالزخرفة، التي تتمثل في رسومات لثعابين، ونباتات، ووعول ونعام، وشخصيات آدمية.

*- معبد عثتر ذو رصف بالسوداء:

تقع مدينة السوداء الأثرية في الجوف على بُعد (15 كم) شمال غرب مدينة (الحزم) على بعد (100 كم) شمال شرق مدينة صنعاء.

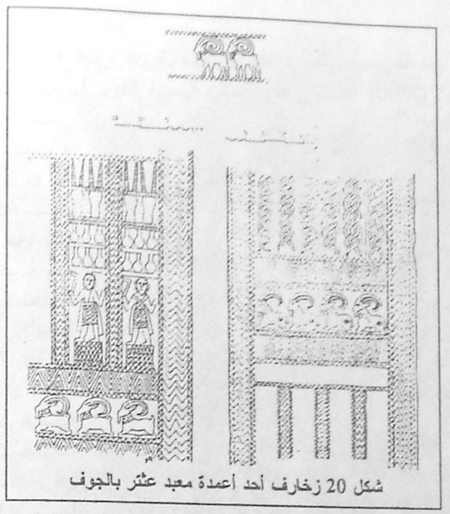
المديــنة الأثــرية عبارة عن تل مستطيل يحتوي على مجموعة من الأساسات الحجــرية المعمولــة بطــريقة هندسية رفيعة، وعلى مسافة (700م) شرقا، وسط الحقول القديمة تنتصب أطــلال معبد صغير، تــبرز منها مجموعة أعمــدة للمدخــل والأروقة الجانبية، كما تــبرز مجموعــة من الــبلاطات المستخدمة لتغطيتها. هذه الأعمدة كانت مزخرفة بطريقة الجــز، بأشكال نباتية وبأشــكال حيوانــية متــنوعة وشخصيات نســائية، لهــذا رأى (جــان فرانســوا بريــتون)[53] مــبررًا لتسـمية المعــبد باسم (بــنات عــاد) (أنظر الشكل 19).



شكل 19 رسم افتراضي لمعبد عثتر (الجوف) بناءً على الاساسات

- التخطــيط الهندســي للمعبد:

يــبلغ طــول المعبد (15،50م) وعرضه (14,10م)، ويتكوّن من سور بشكل مقصــورة في الجهة الشرقية، ومن فناء رئيس محاط بأروقة، كما أنّ هناك حاجزًا مــزدوجًا علــى واجهتي البوابة، يستخدم كقاعدة من النصب المصقولة أما الحائط فيــتجه نحو داخل المعبد ليكوّن ممرًا عرضه (10 3م)، ومحاط بمقاعد حجرية، ونصب مصقولة، هذا النصب يفتح على الفناء[54]. (أنظر الشكل 20)



شكل 20 زخارف أحد أعمدة معبد عثتر بالجوف

الفـنـاء الرئيس يبلغ طوله (13,65م) وعرضه (12,30م) محاط برواقين على امـتداد طـولـه، وينتهي شرقًا بمصطبة من درجتين مكسوة ببلاطات كبيرة متعددة الـزوايا، ويحتوي على مذبح رئيس وآخر جانبي، الأروقة الجانبية مدعمة بأعمدة مسـتطيلة، في شرق الفناء حيث تنتصب مصطبة محاطة بعمودين وضعت عليها ستة مقاعد حجرية فردية على شكل نصف دائرة.

أمـتاز معـبد (السـوداء) بكثرة زخرفته المتميّزة والفريدة، فقد كسيت أعمدته بـزخارف، ورسومات لثعابين متشابكة، ورماح، وعول برية، ونعامات، ونباتات بسـيقان طويلـة، كمـا وجـدت نقوش على واجهات الأعمدة ورسوم لشخصيات ذكورية[55].

- **تاريخ بناء المعبد:**

إنّ أقـدم نقوش المعبد تلك التي وجدت على الواجهات الغربية لأعمدة المدخل الأربعـة التـي أشـارت إلى اسم (أب أمر صدق) إحدى الشخصيات المهمة التي سـاهمت فـي بناء جدار المعبد، أما تاريخه فيعود إلى القرن السادس قبل الميلاد تقريـبًا حسـب تقديرات (بريتون)،[56] كما عثر في المعبد – عينه – على نقوش أخرى تذكر أسماء لملوك تقرّبوا للإله عثتر. ظل المعبد مستخدمًا لفترة طويلة، كما عثر على إهداء يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي.

3- نموذج من المعابد القتبانية:

• معبد عثتر بتمنع:

يمثل هذا المعبد أكبر البنايات الأثرية في تمنع القديمة، حيث تبلغ مساحته (160 قدم) وعرضه (135 قدم). الساحة رصفت بقطع من الرخام المصقول، وهناك سلم رخامي يبلغ عرضه (31 قدم)، يقود إلى مدخل فخم للبناية الرئيسة، وقد تآكلت أطراف الدرجات بفعل أقدام آلاف المتعبدين الذين كانوا يرتادون المعبد[57].

البناء يتغير على عمق (20 قدم) فالحجارة بعد هذا العمق تبدو أصغر حجما وأكثر تشذيبًا من الحجارة العلوية، ومن هنا اتضح لنّ الحجارة الصغيرة كانت لبناء سابق بني فوقه، وعلى عمق (30 قدما) عثر على قطع جميلة من الخزف ذات لون أحمر بني، يرجع تاريخها إلى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد، ومن خلال ذلك استنتجت البعثة الأثرية[58] بأن المعبد قد بني على أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: تمثلها الجدران السفلية للمعبد التي بنيت في عهد المكاربة (حوالي القرن السابع أو الثامن ق . م).

المرحلة الثانية: أقيمت جدران أخرى يرجع تاريخها إلى القرن السادس ق. م تقريبًا.

المرحلة الثالثة: بنيت الساحة والدرج المؤدي إلى المعبد، يرجع تاريخها إلى حكم ملوك (تمنع) حوالي القرن الرابع ق. م.

المرحلة الرابعة: يظهر تأثير الفن الهلنستي تعود إلى عهد الملك القتباني (شهر يجل) القرن الأول ق. م، وقد كشفت البعثة أيضًا عن مجموعة من الحجرات يرجع تاريخها إلى هذا العصر مبنية في الناحية الغربية من الساحة الرخامية. ومن خلال بقايا الغلال الذي عثر عليه في هذه الغرف، يبدو أنها كانت تستعمل كمستودعات تابعة للملك.

4- نماذج من معابد حضرموت:

عثرت بعثات الآثار في حضرموت على مجموعات من المعابد بالقرب من المستوطنات الأثرية (سونة) و(مشغة) في وادي (عمد) و(ريبون) و(هجرة) و(مكينون) و(حصن الكيس) و(حريضة).(انظر خريطه رقم 5).

معابد وادي حضرموت وروافده، لها خصوصية تميزها عن معابد المرتفعات الغربية، ومناطق أطراف الأودية الشرقية، فهي عبارة عن أبنية صغيرة تستند على المنحدرات الصخرية التي تشرف على الموقع، وتشترك جميعها في التخطيط الهندسي، فقد امتازت ببلاطها، وبالذات تلك التي تقع على سفوح الجبال، حيث نجد

لنهـــا تستند على المنحدرات. لهذا نلاحظ لنّ اتجاهات المعابد وتخطيطها الهندسي يتأثر باتجاهات المرتفعات والتواءات الأودية.

- السمات العامة للمعابد[59]:

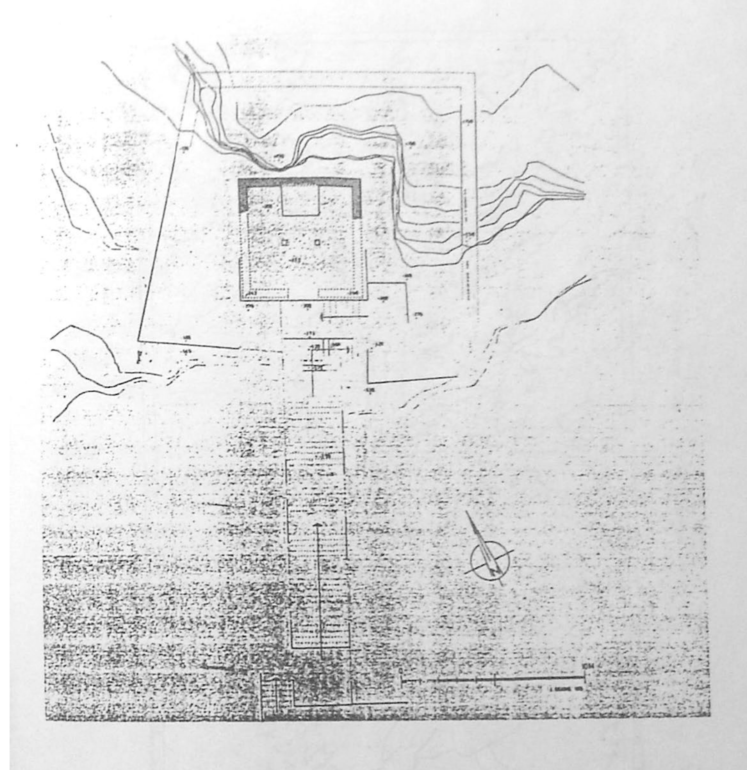
أ- السلم: الملاحظ أنّ الوصول إلى تلك المعابد يتم بواسطة سلالم تتشابه جميعها مـــن حيث مظهرها الخارجي، ومن حيث تقنية بنائها، بصورة عامة، كما تتفاوت الدرجات، ويتراوح طولها وفقا للانحدا، فسلم معبد (هجرة) يصل طوله إلى (68م) ، وسلم (مكينيون) طوله (65م) تقريبًا وسلم (باقطفة)(60) (أنظر شكل 21) يصل إلـــى (17م) فقط، أما التقنية فهي الأخرى تختلف من مكان إلى أخر، فهناك بعض الســـلالم المبنـــية بكاملها، كما هو الحال في (باقطفة) وبعضها منحوت جزئيا في الصـــخر كمـــا في (مشغة) كما نجد أنّ بعض تلك الدرجات العليا تحمل نقشا. وفي جميع تلك المعابد نجد أنّ أخر درجة في السلم هي الأكثر إتقانا.

ب- السور: يتصـــف السور بتخطيط غير منتظم في الغالب، كما أنّ تلك الأسوار متوسطة الحجم، وتتألف من عدة طبقات ومحاور سير مختلفة.

ج- البهو المقدس: عبارة عن ساحة مبلطة بألواح حجرية توجد بها تعميقات حفر، الغـــرض مـــنها تثبت الأعمدة الخشبية، وذلك في الجهة الغربية، أما في الجانبين الشـــمالي والجنوبـــي، فنجد أنّ الأعمدة وضعت على قواعد حجرية. تلك الأعمدة تحمل السقف الذي يغطي البهو.

د- قدس الأقداس أو (المحراب): هو المكان المخصص لتواجد المعبود وهو المكان الرئـــيس في المعبد، أمامه يقام حوض من الحجر والبرونز ويمتلئ بالماء الخاص بالطهارة الطقوسية.

خريطة رقم (5) وادي حضرموت



شكل 21 مخطط معبد باقطفة حضرموت (البعثة الفرنسية)

رابعا: المقابر وأنماطها:

مـــن المعلـــوم أنّ الإنسان القديم في مختلف الأزمنة والأمكنة استخدم الكهوف لدفـــن موتـــاه، ولسكناه خلال أحقاب طويلة، كما أحيطت جثث الموتى لدى بعض الأمم بعناية خاصة، فدفنت وفق مراسم خاصة، ووضعت على مقربة منها الأدوات المنزلية وأدوات الزينة والأسلحة، ومواد جنائزية متنوعة، كل ذلك يشير إلى اعتقاد تلك الأمم بالبعث والخلود بعد الممات، وإنّ الميت سيحتاج إلى أدواته وأسلحته.

وفي اليمن تبيّن لنا من خلال المقابر المكتشفة أنّ قدماء اليمنيين – كغيرهم من الشـــعوب – أعطوا عناية خاصة واهتماما كبيرا للمصير الذي ينتظرهم، فأحيطت جثـــث الموتى بالعناية الفائقة انطلاقا من اعتقادهم بالبعث الذي يفرض عليهم القيام بطقوس تؤمن الشروط المادية الضرورية للحياة الثانية، وبما أنّ الجثة قابلة للتحلل، نجدهـــم في بعض المناطق اليمنية كـــ (شبام الغراس)[61] يقومون بتحنيطها لتقاوم تقلبات الزمن، كما كان يفعل قدماء المصريين.

إنّ أهمية دراسة المقابر وما تحتويه من مقتنيات أثرية قيّمة سيمكننا من معرفة جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية لليمنيين قديمًا، ولتصوراتهم الدينية ولتقاليدهم الخاصة بالدفن (الطقوس الجنائزية) فتفحص مواد تلك القبور سيساعدنا على معرفة الفـــنون وتطورهـــا، وعلى معرفة العلاقات الاقتصادية السائدة آنذاك ؛ لهذا وجدنا ضـــرورة دراســـة المقابر، فدراسة الفنون المعمارية وحدها لن يحقق طموحنا في معرفة المزيد عن حياة قدماء اليمنيين.

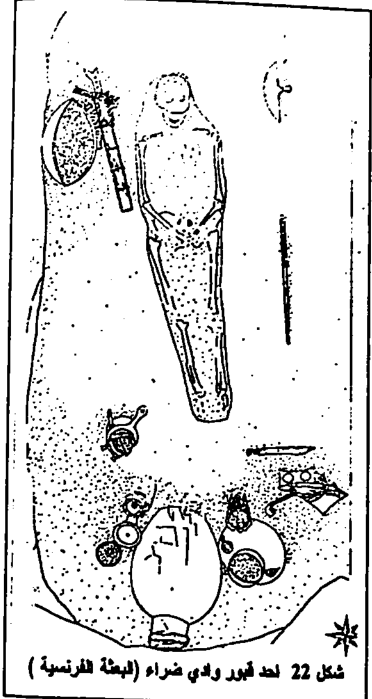
كما أنّ دراسة أنماط القبور من حيث تخطيطها الهندسي، سيمكننا – دون شك – مـــن معـــرفة قدم تلك القبور أو حداثتها، ويتجلى ذلك من خلال دراسة أرضية القبر وشكله، إضافة لذلك، فإن وضع الجثة في القبر له – أيضًا – تفسيرات مهمة مرتبطة بالطقوس الدينية.

وقـــد أســـفرت نتائج التنقيبات الأثرية في اليمن عن اكتشاف أنماط مختلفة من المقابر:

1- مقابر صخرية أو (كهفية):

ينتشـــر هـــذا الـــنوع من المقابر في المناطق المرتفعة حيث تحفر القبور على النـــتوءات الصخرية، أو أسفل التلال الجبلية، وقد يحفر القبر في الصخر الصلب، وتكـــون أحيانًا على شكل تجاويف داخلية تبنى من الحجر المشذب، أو ذات دهاليز تـــربط بينها وبين كهوف أخرى مثل مقابر (شبوة)[62] و(حريضة)[63] وقد تستبدل الـــتجاويف فـــي بعض القبور بمبانٍ مقوسة نفقية الشكل كمقابر (ظفار) حمير، أما تخطـــيطها فيخـــتلف باختلاف الطبيعة الجيولوجية للمنطقة، حيث نجد المقابر في المـــرتفعات الغربـــية مـــن اليمن أكثر تعقيدًا وإحكامًا، بخلاف المقابر في الهضبة

الشرقية، أما المدخل بشكل عام فيكون واسعًا وغير منتظم، وتختلف مساحته الداخلية، فبعضها ذات مساحة واسعة وبعضها الأخر ذات مساحة ضيقة. أما الجدران فيظهر عليها آثار النقر، ويندر فيها الفتحات الجانبية، بل أنّ أغلبها ذات أرضيات منخفضة نسبيًا عن المستوى الخارجي، حيث نقرت في أرضيتها حفرة مستطيلة يرجح أنها مكان لوضع الجثة، كما نشاهد على جانبي مدخل بعض تلك القبور أحواض وقنوات، وتحتوي مسطحاتها على مخربشات بحروف المسند لأسماء أشخاص، يعتقد أنها تخص تلك المقابر، وتوجد أيضًا كلمات وأشكال غير مفهومة[64].


شكل 22 أحد قبور وادي ضراء (البعثة الفرنسية)

2- مقابر في حفرة عادية:

يوارى المتوفى في تابوت من الحجر قائم الزوايا يغطي ببلاطة أو يدفن في حفرة بسيطة كمقابر (هجر لمذيبية) بوادي ضراء[65]. (أنظر شكل 22)

3 – مقابر على شكل حجرات:

هذا النمط من المقابر عبارة عن بناء مربع يبلغ طوله نحو (25 قدم)، وكذلك في العرض والارتفاع، مشيّد من المربعات الكبيرة، وحائط سمكه قدمان، ينقسم في الداخل إلى قسمين، وكل قسم عبارة عن غرفة، والحائط الفاصل يقع في وسط المدخل وعلى بعد (6 أقدام) منه، وقد تشكل الحجرات فيما بينها طريقًا محوريًا كمقابر (حيد بن عقيل) في قتبان[66] والمقبرة الكبيرة بمارب[67].

أما التاريخ المطلق لتلك المقابر فما زال قضية معقدة، علمًا أنّ علماء الآثار حاولوا وضع تواريخ تقريبية لمختلف تلك المقابر، فجميعها لا تبعد عن الألف الأول ق.م.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ دفن الموتى في اليمن قديمًا ، لم يقتصر على الإنسان فحسب، بل تعداه إلى الحيوانات، فقد تمّ اكتشاف عدد من مقابر للجمال، يتزامن تاريخها مع المقابر الآدمية. [68]

خامسا:المنشآت الاقتصادية:

1- منشآت الري:

أ- السدود: تعتبر السدود من أهم المنشآت الاروائية التي أقامها قدماء اليمنيين ، وقد جاء في النقوش لفظ (عرم) بمعنى السد ، كما جاء في سورة ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات أكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل ﴾.(سبأ آية رقم 15).

تتباين مواد بناء تلك السدود، فنجد بعضها يبنى من الرمل أو الحصى أو الطين وربما أغصان الأشجار والبعض الأخر وهو النوع الأكثر تطوراً ويبنى من الحجارة الكبيرة الصلبة. ويمكن تقسيم السدود إلى نوعين:

• سدود تحويلية:

ويمتاز هذا من النوع السدود ببساطتها ، حيث تقام أساسا بهدف رفع منسوب مياه السيول المتدفقة في المجرى على الأراضي الزراعية المحيطة، وليس للخزن، وبواسطة هذه السدود يمكن الاستفادة من هطول الأمطار بشكل مباشر أول بأول ، حيث يتم صرف مياهها بواسطة قنوات جانبية، ومازال هذا النوع من السدود منتشر في اليمن حتى اليوم، ويسمى (أعبار) أو (عوارض).

• سدود خزن وتصريف:

يبنى هذا النوع من السدود من الأحجار المردمة والمبطنة بالحجر حيث تقام تلك السدود في أضيق مكان من الوادي أي في الموقع الذي يهدأ عنده اندفاع السيل، أما الهدف من بناء هذه السدود فيتمثل في:

1. درء خطر السيول التي قد تنهمر بشدة فتهدم القرى والمزارع وتجرف التربة.
2. رفع منسوب المياه في مجرى الوادي إلى الحقول الزراعية بواسطة نظام دقيق عبر شبكات منظمة.
3. الاستفادة القصوى من تلك المياه لري الأراضي في فترة الجفاف.

امتازت أغلب هذه السدود بضخامتها وروعة هندستها وخير مثال على ذلك سد مأرب الشهير الذي يعد من أكبر المشاريع الهندسية للري في شبه الجزيرة العربية، حيث كان في وجوده رخاء لسكان المنطقة ووفرة في اقتصادهم الزراعي. ظل سد مأرب قائماً لأكثر من (1000) ألف عام تقريباً، وتدل آثاره الباقية على أنه رمم أكثر من مرة وفي عصور متفاوتة، فنظام التخزين فيه أعد بحيث يسمح بوصول

السيل إلى الأراضي الزراعية بواسطة مصرفين كبيرين على جانبي السد، بعدها يتوزع عبر قناتين رئيسيتين ومن ثم تتوزع مياه السيول بواسطة قنوات فرعية أخرى.

أما اليوم فلم يبق من السد سوى بعض أجزاءه وقد قامت الدولة مؤخراً بإنشاء سد عظيم في وادي (أذنة) في الجزء العلوي من مضيق جبل (بلق) على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً من السد القديم ليقوم مقامه ويعيد للحياة نظارتها ويؤمن الرخاء لسكان المنطقة.

ومن المعروف أن كميات الغرين التي يحملها السيل معه من الأعالي تتجمع خلف السد مع مر السنين، فيرتفع مستوى مجرى الوادي، ويصبح في مستوى الأراضي الزراعية، وفي هذا الحال يضطر الناس إلى إقامة حاجز (سد) جديد في مكان آخر من الوادي كما حدث في كثير من الأودية. على أن هذا لا يحدث إلا في فترات متباعدة.

وقد ذكر لنا الهمداني عدد من السدود في اليمن، منها سد (الخانق) بصعده، الذي بنى كما يقول في أيام سيف بن ذي يزن وسد (ريعان) في همدان، ويضيف بقوله: "لما خرب سد (ريعان) نقص غيل وادي (ضهر) إلى النصف، وسد (سيان) في جنوب شرق صنعاء، وسد (جيرة) في إقليم (عنس) (الحدا) وسد (بيت كلاب) في ظاهر همدان، وسدود يحصب في دولة حمير التي بلغ عددها ثمانين سداً[69].

ب- القنوات:

كشفت بعثات الآثار في كثير من المدن التاريخية، بقايا لشبكات ري متنوعة، بفضل هندستها وتوزيعهاأصبح بالأمكان ضمان وصول الماء إلى الحقول الزراعية، وهي تختلف في أحجامها على حسب كمية الماء المتدفق إليها، وأيضاً من حيث الشكل فهناك قنوات مكشوفة وأخرى مغطاة، تتدرج تلك القنوات من قنوات رئيسية تسمى (عبر) جمعها أعبار، تتفرغ منها قنوات فرعية تسمى (شرج) جمعها (أشرج) وجميعها تتحكم في تصريف الماء بكميات قليلة أو كثيرة حسب الحاجة، يتم ذلك من خلال فتحات تصريف بعضها توزع المياه بواسطة قنوات أصغر إلى المنطقة الزراعية المراد ريها، فالقنوات الرئيسية تحول الماء من السدود وتحملها إلى الأراضي الزراعية ثم تتولى توزيعها إلى الحقول شبكة من الجداول المتداخلة وتظل تلك القنوات مفتوحة على الدوام، وبهذه الطريقة فإن السيل عندما يأتي فجأة في الليل أو النهار تتوزع مياهه تلقائياً على المزارع، كما أن تلك الطريقة تسبب في تسرب كثير من الماء إلى باطن الأرض، فيرتفع منسوب المياه الجوفية في الوادي ويسهل بذلك الحصول على الماء بواسطة حفر الأبار في ذلك المكان. وهناك عدد من النقوش تتحدث عن بناء القنوات وتعميرها.

2- شق الطرقات وتبليطها:

مــن المعروف أن اليمن وعر المسالك في كثير من بقاعه، ولإيجاد طرق آمنة وســهلة العــبور، قام الملوك في مختلف الممالك اليمنية بتعبيد الطرقات الجبلية، فشــقوا الجــبال وأحدثــوا فيها ثغرات للعبور، ثم قاموا بتبليطها بالحجارة الصلدة والصــخور الصــماء، كمــا احكموا تعاريجها ليسهل صعودها ؛ كل ذلك تم بفن هندسي راق. وعلى مفارق تلك الطريق أنشأوا مراكز تجارية، لخدمة التجارة، كما كانوا حريصين كل الحرص على توفير كل التسهيلات اللازمة لغرض جذب تجار القوافــل للســير عبر تلك المراكز، محكمين قبضتهم على كل منفذ تمر به التجارة للاستفادة من الضرائب التي تفرض على جميع السلع المارة في تلك الطريق.

وعلى الرغم من وجود بعض الطرق القصيرة والسهلة لمرور القوافل، إلا أن الملــوك دومــا يقومــون بتغيــير مسالكها باتجاه أراضيهم بهدف التحكم بالتجارة وبمواردها.

أ- شق الطرقات في مملكة قتبان:

- حدثتنا النقوش عن الأعمال العمرانية في قتبان إلا أن من أبرزها على الإطلاق ما قام به المكرب القتباني (يدع أب ذبيان بن شهر) الذي أمر ببناء معابد للإله عم (RES 4328) وفــتح طرق في مناطق وعرة وفي أرض جبلية استوجبت أحداث ثغــرات في الصخور وفتح نفق ليمر به الطريق، ومن أشهر تلك الأعمال طريق (مــبلقة) الــذي تولــى العمل فيه مهندسا موهوباً يدعى (أوس عم بن يصرعم بن مدهــم) والذي نجد اسمه موقعاً على تلك الأعمال العمرانية، حيث أشرف كما يبدو على إدارة العمل، ورسم الخطط، ورصف تلك الطرق وتبليطها، ويظهر من أعماله الهندســية تلــك أنه من كبار مهندسي الدولة ومن أصحاب العلم بهندسة الطرقات وفتح الأنفاق. [70] ومن أبرز ممرات دولة قتبان:

1- عقبة مبلقة:

تــربط طــريق مــبلقة أو (عقبة مبلقة) بين وادي بيحان ووادي حريب الواقع غــربا، فقد أمر المكرب القتباني (يدع أب ذبين بن شهر). بشق تلك الطريق من خــلال فتح نفق في الجبل الذي يحمل نفس الاسم، كما جاء في نقش (GL 1600) ولتزويد القوافل وسقاية الإبل قاموا ببناء أحواض لحفظ المياه على جانبي الطريق وعــند مدخــل الطريق بين (هجر بن حميد) شرقا و(حنو الزرير) غربا، شيدوا مركــز (ذو غيلم) الذي توسع عمرانه فيما بعد وأصبح مدينة قتبانية هامة، وقدعثر فــي الموقــع -عينه- على ثلاثة نقوش قتبانية تتحدث عن تلك الطريق نذكر منها نقش (RES 3550/3) وما زالت آثارطريق عقبة مبلقة باقية شاهد حي على تلك الجهود العظيمة، حيث شاهد (وينل فليبس) عام 1952، أثناء تجواله في بيحان ذلك

الممـــر وقال واصفا أياه: "هو عبارة عن طريق صناعية شقها الإنسان لتصل بين وادي بـيحان ووادي حريب فعلى إمتداد هذا الممر، والذي يبلغ طوله ثلاثة أميال، تـرتفع الجـدران إلى مسافة (1000) قدم في إنحناءات خطرة، أما طريق الممر فيـتراوح عرضـــها ما بين خمسة عشر قدماً واثنى عشر قدماً، وأضاف، ويمكن القول إن شق مثل هذا الممر من الأعمال الجبارة[71].

2- نجد مرقد:

طـــريق مرصـــوف بالحجارة، شقه ملوك قتبان على الحافة الصحراوية بين وادي بيحان ووادي حريب.

ب _ شق الطرقات في مملكة حضرموت:

نشـــط ملوك حضرموت أيضا في هندسة الطرقات وشق الجبال الوعرة لتكون لهم مسالك ممهدة تربط بين الساحل (الميناء) والعاصمة الحضرمية شبوة ولتحقيق ذلك الاتصال انشأ ملوك حضرموت ممر (قلت) الميناء (RES 2687) في وادي حجـــر، ذلـــك الوادي الذي يصب ماؤه في البحر، وتعد من التحصينات الأساسية لمنطقة ميفعة البوابة الجنوبية لحضرموت (RES 2687).

كمـــا أن الاتصـــال المباشر بين شبوة وأودية حضرموت صعب للغاية بسبب وعـــورة التضـــاريس، لـــذا عمـــد ملوك حضرموت على إقامة عدد من العقاب (ممرات) الممهدة في تلك الأودية لتختصر الطريق وتسهل عبورها نذكر هنا بعضاً منها:

1- عقبة العقيبات:

في أعالي وادي عرمة يوجد ممر (عقبة عقيبات) الذي يربط بين شبوة بالجول (الســـوط) وبالمناطق التي تقودنا إلى وادي حضرموت، من خلال رافد وادي عمد ومنه يمكننا أن نتجه جنوباً حتى ميناء قنا، في ذلك الموقع عثر على خمسة نقوش تـــتحدث عن المراحل المختلفة التي تم فيها تعبيد الطريق من الأسفل إلى القمة من قـــبل ملـــوك حضرموت. ومن المعلوم أن هذا الطريق يختصر المسافة إلى أعالي وادي حضرموت[72].

2- عقبة فتورة:

ومـــن عـــرمة إلـــى الجول الذي يؤدي إلى وادي دهر ووادي رخية توجد عقبة فتورة، وهي أيضاً طريق ممهدة وسهلة العبور، لا زالت قوافل الجمال تجتازه حتى اليوم،ويعد العالم (انجرامس)أول من شاهد نقشاً هاماً في هذا المكان عام(1939م)[73].

ج – شق الطرقات في مدينة عدن:

عرفت جبال عدن كغيرها من الجبال اليمنية، لمسات الفنان اليمني فشقت فيها الأنفـــاق ومن أبرز معالمها التاريخية باب عدن أو باب البر كما يطلق عليه أيضاً،

يقــع باب عدن شمال شرق المدينة، نهاية شارع أروى (حاليا)، حيث يوجد نفقان كــان العامة يطلقون عليهما (البغدة الصغيرة، والبغدة الكبيرة)، ولا شك أنهما كانا يعتــبران أنذاك الباب الرئيس للمدينة.[74] وما يؤكد ذلك ما قاله الحسن الهمداني فــي القــرن العاشــر الميلادي عن عدن: "عدن جنوبية تهامية، وهي أقدم أسواق العــرب، وهــي ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق فقطع في الجبل باب بزبر الحديد وصار لها طريقا إلى البر"[75].

أمــا المقدســي فيــتحدث عن باب عدن بقوله: "وقد شق في هذا الجبل طريق عجيــب، وجعل عليه باب حديد، ومدوا من نحو البحر حائطا من الجبل إلى الجبل فــيه خمسة أبواب."[76] ومازالت آثار الحائط الذي تحدث عنه المقدسي قائما، كما إن الأبــواب جمــيعها بما فيها باب البر تمتد في خط واحد من جبل التعكر حيث الباب الرئيس حتى جبل المنظر الواقع في منطقة صيرة التاريخية[77].

سادساً: المنشآت الدفاعية:

عنــي قدمــاء اليمنييــن كثيرا بالمنشآت الدفاعية العسكرية، تحسبا للنزاعات الحربــية التــي طالمــا نشبت بين الممالك اليمنية قديمًا والصراعات القبلية، وكذا التــنافس مــن أجــل السلطة بين أمراء الدولة الواحدة، وقد تنوّعت وتعددت تلك المنشآت وفقًا للطبيعة التضاريسية للمنطقة.

ويبدو جليًا من خلال نتائج البعثات الأثرية. أنّ المدن قد أقامت لنفسها منشآت دفاعية مهمة كالأسوار والحصون والقلاع، فاختيار موقع القلاع والحصون يتم بعد دراسة علمية لطبيعة المنطقة ومعرفة المواقع الإستراتيجية المهمة. فآثار الحصون والقــلاع نجدها في الغالب على قمم الجبال المطلة على السهول ومضايق الأودية، وطــرق التجارة، لغرض الإشراف المباشر، كما نجد مثل تلك المنشآت على القمم الصخرية المطلة على المنافذ البحرية.

كما تطوّق المدن حدودها بالأسوار المحكمة القوية التي تأخذ الشكل الدائري أو المســتطيل أو البيضــاوي، ولــم يكــتف الأمراء والأعيان وأصحاب الجاه بتلك التحصــينات، بــل نجدهم يبنون منازلهم على ارتفاع شاهق كنظام دفاعي فردي، حيث تتوافر لهذا النوع من المنازل عناصر هندسية خاصة تتمثل في:

أ- أساس قوي من الحجر ارتفاعه من واحد إلى عدة أمتار.

ب- طابق أرضي بدون فتحات.

ج- مدخل واحد للمبنى.

د- طوابق عليا تبنى بأحجار مترابطة بملاط من الطين[78].

وتوضح لنا الوظيفة الدفاعية للمنزل تفسيرًا كافيًا لانتشار هذا النمط المعماري على امتداد التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية.

1 - الأسوار وانماطها:

من المعروف أنّ أغلب المدن اليمنية القديمة كان يحيط بها سور حجري يتخذ شـــكلا يخـــتلف مـــن مدينة إلى أخرى تبعاً لاختلاف الطبيعة التضاريسية للمدينة، فهناك تسوير كامل يظهر على مدن الوديان الشرقية مثل: (مأرب) ومدن (الجوف) و(شـــبوة)، ومـــدن القـــيعان كصنعاء، والشكل الدائري للسور هو الطراز المنتشر لمعظم تلك المدن، ويمكن أن نشير هنا إلى أربعة أنماط من التسوير:

أ - التســـوير الجزئي: مثل هذا النوع يشاهد كثيرًا في المدن الجبلية، حيث يتقطع الســـور مـــن بعض الأجزاء وبالذات الوعرة، أو شديدة الانحدار، ويتركز التسوير علـــى الأماكن التي يسهل الصعود منها إلى المدينة مثال ذلك: سور (نقب الهجر) ميفعة قديماً.

ب - أسوار متعددة: هناك من المدن ما تحيط بها عدة أسوار متدرجة من الأسفل إلـــى الأعلى، مثل هذا النوع يتناسق والطبيعة الصخرية للمنطقة مثال ذلك: سور مدينة (غيمان) الواقعة جنوب شرق صنعاء.

ج - أســـوار ذات الأبراج: يظهر هذا النوع من التسوير في بعض المدن، فالسور عـــبارة عـــن مجموعـــة متسلسلة من الأبراج السكينة التي ترتبط بعضها ببعض بواسطة أروقة ؛ بحيث يكون كل برج جزءًا من جدار السور، ويكون ملكًا أمّا لفرد أو لفئة اجتماعية معينة، وتكون عليه أو عليهم مسؤولية صيانته.

د - التســـوير المـــزدوج: من المدن ما يحيط بها سور مزدوج، مثال ذلك: سور مديـــنة (شبوة) التي ما زالت آثار بوابته الجنوبية باقية؛ حيث عثر على نقش وهو (عـــم أنـــس) من قبيلة (صدق ذكر) كما يحدد نقش آخر زمن تشييد البرج والفناء الذي أضيف إلى السور في حوالي عام (200) ق. م.[79].

وقـــد بنيت تلك الأسوار في الغالب من الحجر الجيري، بأحجام كبيرة مصقولة ومهندمة، ولها مداميك بجدارين ظاهري والأخر دلخلي يملأ بينهما بحجارة (دشى) ويدعـــم الســـور من الداخل بالطوب اللبِّن، ويتم التنسيق بينهما بشكل متقن كسور (قـــرناو)، و(نشـــق) البيضاء، ونشن (السوداء) ويثل (براقش)، و(مأرب) و(خربة سعود) و(الأساحل) و(شبوة) و(تمنع)...... الخ.

وللسور مداخل مختلفة الاتجاهات، كل مدخل محمي ببرجين مجهزين بفتحات دفاعية كسور مدينة (قرناو) معين، الذي يبلغ طوله (1150م) بارتفاع (5 أقدام)و له مدخلان مدخل شرقي له برجان، ومدخل غربي محصن ببرجين من الجانبين.[80] أما سور مدينة (البيضاء)، (نشق) قديمًا، فله أبواب محصنة بأبراج دفاعية يبلغ عددها (58) برجًا على امتداد (1500م)، وسور (براقش) (يثل) قديمًا، له مدخلان أحدهما في الجانب الشرقي وهو المدخل الرئيس، محمي ببرج قائم للأمام، ومرتفع

بنحو (14م)، والأخر في الجانب الغربي، أما سور مدينة (مأرب) وقد بقي منه مدخل غربي، نجد على جانبيه بقايا برجين، كما وجد بسور مدينة (تمنع) لأربعة مداخل، وقد أحيطت البوابة الجنوبية ببرجين حجريين وعلى جانبي المدخل نجد (مصطبّات) دكك للجلوس[81].

• نموذج: سور نقب الهجر (م ي ف ع ت):

تقع مدينة (نقب الهجر) "ميفعة" قديمًا، على المجرى العلوي لوادٍ يحمل نفس الاسم (ميفعة)، جنوب شرق ملتقى نقطة التقاء وادي (حبّان) ووادي (عماقين) على بعد حوالي (320 كم) شرق عدن.

تحتل مدينة (ميفعة) موقعا إستراتيجيا مهما على طريق القوافل القادمة من ميناء (قنا) على المحيط الهندي، إلى المناطق الداخلية المهمة لحضرموت، فوادي (حبّان) يشكل مجرى مائي طويل يوصل نقب الهجر (بدثينة) حيث يقع إقليم (الوسر) الذي ينتمي إليه المر الأوساريتي[82] أما وادي (عماقين) فيوصل بين (نقب الهجر) و(شبوة) مرورا بمدينة (البريرة) على وادي (جردان). أما أسفل وادي (ميفعة) فتقع واحات (رضوم) و(جول الشيخ) والكثبان الرملية التي تسمى (النباب) حاليًا، التي تمتد حتى ساحل المحيط الهندي، تلك الطبيعة التضاريسية الوعرة تقف عائقا أمام توفير الحماية اللازمة للمدينة – أعني ميفعة – لهذا قرر الحضارمة منذ زمن بعيد إنشاء سور (نقب الهجر) الحصين في المنطقة المروية، وقد أكدت البعثة الفرنسية ذلك من خلال ما عثر عليه من ترسبات للطمي الزراعي، الذي وصل في مستواه إلى عدة أمتار[83].

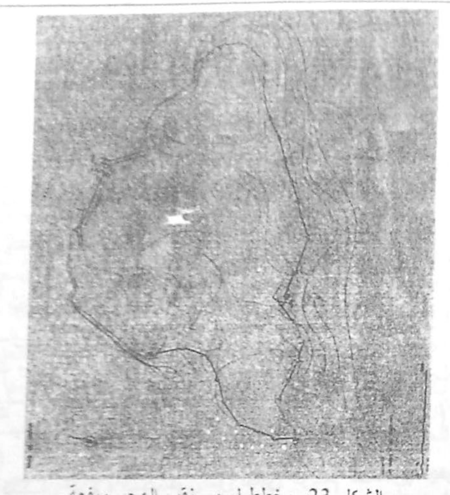
يحتل سور (نقب الهجر) قمة صخرية نحتت من جهة الشمال بواسطة مجرى الوادي ، ويبلغ طوله بشكل عام حوالي (710م)، فالسور عبارة عن سلسلة من الأبراج يبلغ عددها (36) برجا، متصلة مع بعضها البعض، يتبع بناء السور التعرجات الصخرية وينقطع بحيث لا يتجاوز المنحدرات الشديدة الانحدار الواقعة في شمال غرب وشمال شرق المدينة، في الجهة الغربية حيث النتوءات الصخرية، تم بناء السور بتخطيط مقعّر (القلاع من 1 – 15) ومحدّب (القلاع من 5 – 9) لهذا القسم من السور مداخل سهلة لا تحتوي على أية نظم دفاعية، أما في الزاوية الجنوبية الغربية حيث يوجد برج رقم (9)، فيدور السور باتجاه الشرق حيث نجد الباب الجنوبي بني البرجين رقم (16 – 17)، يمتاز هذان البرجان بقوتهما فهما يحتلان قمة صخرية صلبة، ومنحدرة، بعد ذلك نجد قواعد لستحكامات السور بين البرجين (18 – 19) و(19 – 20) بطول (3125م) و(3088م) يستمر السور في امتداده شرقا متبعًا تضاريس المنطقة حتى برج رقم (27)، ثم يتجه

لســور شــمالاً شرقاً على شكل مقوس. نجد بعد ذلك الباب الشرقي الصغير بين البرجيــن (30 – 31)، عندها ينقطع السور، ثم نصل إلى الباب الشمالي الشرقي الــذي يقــع بيــن البرجيــن (33 – 34)، والملاحظ أنّ السور في جهته الشمالية مزدوج، أي على شكل جدارين، يبدأ ذلك الازدواج من البرج رقم (33) حتى برج رقم (36)، (أنظر الشكل 23-24).

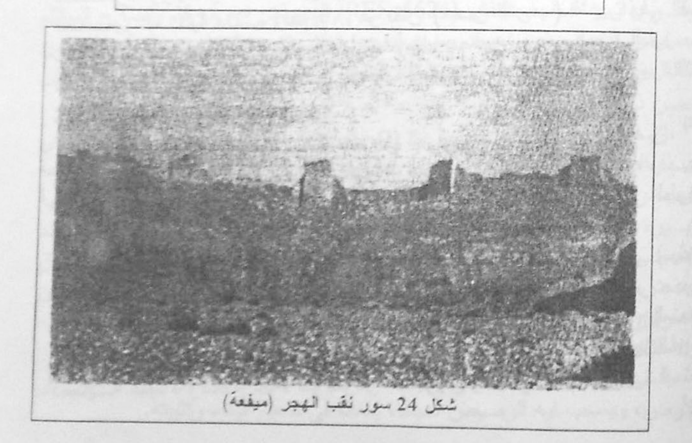
تاريخ السور:

عــثرت البعثة الفرنسية على أربعة نقوش تذكر بغي السور، والملاحظ أنّ تلك النصــوص لا تختلف في جوهرها فهي تذكر اسم (ميفعة) وباني سورها يقول أحد تلــك النصــوص النقشــية: (هبسل بن شجب) الذي بنى هذا السور وبابه وبناياته (المســتندة علــى الســور) من الحجر المهذب والخشب والطين النيء. يعود تاريخ النقش إلى حوالي القرن الثالث أو الثاني ق. م[84].

فــي القــرن الأول ق . م. قام الملكين الحضرميين (يدع إل بين بن سمه يفع) و(إل ســمع نبين بن ملكي كرب) ببعض الترميمات على جدار سور(ميفعة) حيث رمموا السور بالحجر المهذب والخشب والطين النيء، نقش(RES 3869)[85].



الشكل 23 مخطط لسور نقب الهجر ميفعة



شكل 24 سور نقب الهجر (ميفعة)

2- الحصون:

لقد شيّدت أغلب الحصون اليمنية القديمة في المواقع الإستراتيجية المهمة، فنجدها شامخة أما على طول الحدود لحماية المدينة، وأما على طريق التجارة لمراقبة سير القوافل وحمايتها، وأما على المرتفعات الجبلية العالية التي تشرف على السهول ومضايق الأودية، أو على الصخور المطلة على الموانئ البحرية.

أما التخطيط الهندسي لتلك الحصون فهو متشابه إلى حد ما، ويتكوّن في الغالب من قاعدة مربعة ذات أبراج دائرية قوية، تشكل تحصينات بارزة تمتد من الأسفل إلى الأعلى، ليسهل الدفاع عن الموقع من كل الاتجاهات.

<u>نموذج 1</u>: حصن عرماوية (ع ر ن م و ي ت) [86] حصن الغراب حالياً.

بني حصن عرماوية على صخرة بركانية قائمة ووعرة، تطل على مرفأ ميناء (قنا) لتقوم بحماية الميناء والمدينة، ورد اسم هذا الحصن في عدد من النقوش، أما أول اكتشاف للحصن فكان في عام (1834م) من قبل ثلاثة من البحارة الإنجليز وهم (ولستد وكروتندن وهتلن)، وقد أعلن عن ذلك الاكتشاف عام (1835م)، وأصدر (ولستد) كتاب بعنوان "الرحلات في الجزيرة العربية لندن (1838م) تحدث فيه عن السواحل الجنوبية لليمن وعن ميناء (قنا) وحصناه المنيع (عرماوية).

وقد تمكن هؤلاء المكتشفون من تسلق الركام الصخرية بغية الوصول إلى الصخرة، ووجدوا أثناء سيرهم باتجاه القمة الصخرية كتابة نقشية نحتت على الصخور بعناية فائقة ونقلوها، وهو نقش (حصن الغراب) الشهير وفي القمة شاهدوا آثار لبيوت وجدرانًا وصهريجاً وبقايا حصون، وعلى الجزء البارز من القمة رأوا برجًا مربعًا ضخم البناء موجهًا للبحر تبيّن لهم أنها قلعة الجزيرة التي كانت تحمي الميناء من جهة البحر[87].

وفي عام (1957) زار (Brian Doe) الموقع نفسه وتحدث عن الحصن، [88] وأشار إلى أنّ بوابة الحصن التي شاهدها (ولستد) قائمة، قد اندثرت الآن، ولم يبق منها سوى آثار، ويمكن مشاهدة بقايا قواعدها والدرجات التي تقود إلى الطريق المرصوف أمامها.

هذا المدخل بحصنيه البارزين يشبه إلى حدٍ ما مدخل حصن نقب الهجر (ميفعة) ونشاهد على الجانب الغربي من البوابة، وفي قاعدة الصخرة، دوائر حجرية متميزة في حجمين، دوائر ذوات حجم كبير، ربما تكون بقايا البروج المتعددة القائمة على مسافات غير متساوية، ويعتقد أنها كانت مجالس يقعد عليها الحرس لحماية الميناء والدفاع عنه، أما الدوائر الحجرية ذوات الأحجام الصغيرة فيحتمل

أن تكون أبارًا قديمة، ويمكن مقارنتها بالأبار القليلة الملوحة كبئر (علي) المجاورة[89].

نموذج (2) حصن ذي مرمر (ع ر ن ذ م ر م ر):

يمثل حصن ذي مرمر نموذجًا للحصون التي شيّدت على مرتفع جبلي لحماية مديـنة (شبام الغراس) يقول الهمداني [90]: "وفوق شبام جبل ذي مرمر وهو جبلها ومعقلها..."

مـا زالـت أثـار الحصن قائمة، تبلغ مساحة الحصن 400 x 250م، ويمكن مشـاهدة أثـار طريق مرصوفة من الناحية الشرقية تؤدي إلى قمة الحصن، وبقايا أسـاس السور الذي يحيط بالحصن من ثلاث جهات الشمالية والغربية والجنوبية، كمـا توجـد بقايا برج المراقبة وهو مربع الشكل بني من الحجارة المهذبة، يوجد علـيه باب صغير هو المدخل الوحيد الذي من خلاله يمكن الوصول إلى الحصن، في الناحية الشرقية توجد بقايا جدران حجرية ما زالت بحالة جيدة[91].

من الآثار الأخرى المنتشرة في الحصن هي الماجل[92] الكثيرة العدد والموزعة علـى أنحاء الجبل، نجدها منحوتة في الصخر، ويمكن مشاهدة أغلبها على الجزء الجنوبي، كما توجد بقايا مخازن منحوتة في باطن الصخر لها فتحات مستديرة.

- تاريخ بناء الحصن:

عثر في الحصن على نقش (GI 1209)[93] لشخص يدعى (معهرم بن جهض بـن ذي خرم) ووظيفته (منصف تألب بعل ترعت) أي خادم (سلانه) بعل ترعة، وهـو بذاتـه صاحب النقش (RES 4624) الذي ذكر فيه أنه قام بإصلاح السلالم لحصـن (ذي مرمـر)، وقد وضح لنا هذا النقش تاريخ كتابته بحوالي بداية القرن الثالث ق. م، وبالتحديد في عهد الملك السبئي (كرب إل وتر بن يثع أمر بين)، ظل حصن ذي مرمر يقوم بوظيفته الدفاعية حتى العهد الإسلامي[94].

إن المتمعن للنماذج المختارة من فن العمارة في اليمن القديم، التي تناولناها في هـذه الدراسة الموجزة، يشاهد أمامه فنًا معماريا رفيع المستوى، فقد بلغت صناعة الحجـر مستوىً تقنياً بديعاً، فشيدت المباني في المرتفعات الغربية بأحجار رخامية كبـيرة، قطعت وشذبت لتصبح متساوية، ثم بنى بها بطريقة لا نكاد نبيّن منها تعدد الأحجـار وإرسـالها إلى جانب بعضها بعضاً، ونجدها أحيانًا تتماسك عن طريق بعـض الأوتاد المعدنية المصهورة أو النحاس المصهور التي يرتبط المراميك عن طـريق الـثقوب. أمـا فـي الهضـبة الشرقية فقد شيدت المباني من اللبن النيء والأخشاب.

أسـاس المبانـي - فـي الغالب - حجري، يبنى على عمق بضعة أمتار في الأرض، ويصب فيه الرصاص أحيانًا، إمعانًا في تدعيم البناء وتثبيته.

الحـيطان، غير عمودية بل تميل إلى الإنحراف إلى حدٍ ما، ولعل الغرض من ذلـك هو الاتجاه بالحجارة إلى خلف الحائط كلما ارتفعنا بالحائط إلى أعلى، إذ أنّ الجـدران العمودية أسهل تحطيمًا من غيرها. وبعد أن ينتهي البناءون من أعمالهم الإنشائية يهتم الفنانون بالزخرفة، فتزخرف الأسقف والحيطان والأبواب، كما تطعم بالأحجـار الكـريمة، كمـا أنّ الأعمدة تزخرف بصفائح المعادن النفيسة، أما تلك الزخـرفة فـتكون علـى شـكل رسومات نباتية وحيوانية وأشكال هندسية' تبرز بوضـوح دقـة تفكـير الفنان ومهارته وبراعته في الرسم والنحت، كما أثبتت لنا هندسة الطرقات ما توصل إليه العقل اليمني وبالفطرة من تفوق عظيم وإبداع متميز. .

وعـند الانتهاء من كل تلك الأعمال، يسجل نقش على حجر مهندم (موقص)، يـنقش عليه اسم صاحب البناء، ومن عاون فيه، ثم يودع في حماية الإله الخاص وبقية الألهة العامة.

الهوامش والمراجع:

1- ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المغربي: كتاب العبر وديان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، المجلد الأول، الفصل الأول من الباب الثاني من المقدمة، دار الكتاب اللبناني، (1956م)، ص 21.

2- غريازفنسكي: "تاريخ حضرموت وحضارتها" (قضايا دراستها والبحوث الأخيرة)، الفصل السادس من كتاب: (الجديد حول الشرق القديم)، دار التقدم، موسكو،(1988)، ص 218

3- الشيبة عبد الله حسن: "الهجر – المدينة في اليمن القديم، مجلة دراسات يمنية، العدد (40) صنعاء، (1990م).

4- وعلان: عاصمة (ردمان) قديمًا يطلق عليها اليوم (المصال)، تقع بين (رداع) و(البيضاء) على بعد (150 كم) تقريبًا جنوب شرق صنعاء. أما (ردمان) فهو اسم قبيلة أدت دوراً سياسياً مهماً في القرون الأولى للميلاد، تمثل أراضيها موقعاً إستراتيجياً مهماً بالنسبة للممالك اليمنية القديمة، تحدها دولة سبأ من الشمال والشمال الغربي ودولة حمير من الغرب ودولة قتبان ومن ثم حضرموت من الشرق.

5- De Maigret A, & ch. Robin: les fouilles Italiennes de Yala (Yemen) nouvelles donnees sur la chronologie de l Arabie du sud pre islamque, Academie des inscripions de belles-lettres, 1989 Avril Juin, Paris (1989), pp.280 282.

6- بريتون جان فرانسوا "البيت الشاهق والبيت ذو الفناء في اليمن القديم والمعاصر". مجلة دراسات يمنية، العدد (45) صنعاء (1992م)، ص 263-280.

7- Breton J. F Urbanisme et Architecture a Sabwa dans, Raydan, I,Louvain (1978), pp. 145-146.

8- يلا: وادٍ صغير يقع على بعد (30 كم) جنوب غرب مأرب.

9- De Maigret A, and ch. Robin, op.-cit, p. 284.

10- سيني جاك: "الفن المعماري الديني"، كتاب وادي حضرموت تنقيبات(87 – 1979م)، لمجموعة من أعضاء البعثة الفرنسية المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن (1980م)، ص 20-27.

11- كوجين .... 1986، ص 89.

12- بريتون، البيت الشاهق، ص 264.

13- نفسه، ص 264.

14- نفسه، ص 267.

15- Breton, J. F: Le chateau royal de shabwa, note d histiar , extrait de la revue SYRIA, tome Lxvlll, 1991, Paris (1991).p. 222.

16- Ibid, p. 222-223.

17- Ibid, p. 214.
18- الإريانـــي، مطهـــر علـــي: "في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات" ط 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990م)، ص 109-122.
19- Breton, J. F.: Le chateau royal de shabwa, p. 221.
20- Ibid. 222.
21- Van Beek, Recovering the Ancient Civilization of Arabia, dans the biblical and the Archaeologist, vol, xv, Baltimore (1952), p. 10-13.
22- Breton, J. F.: Le chateau royal de shabwa, p. 224.
23- Brian Doe: Southern Arabia (new Aspects of Antiquity, London, (1971). P. 219.
24- يمـــن 11: نقش نشر بواسطة (يوسف محمد عبد الله) ضمن سلسلة من النقوش أطلق عليها، مدونة النقوش اليمنية، نشرت في عدد من مجلة دراسات يمنية، الصادرة عن مركز الدراسات والأبحاث (صنعاء) راجع العدد (3) سنة 1979م ص 29.
25- Beeston A. F. L.: Miscellanous Epigraphic Notell, Dans Raydan, 5, (1988), p. 5-10.
26- Breton, J. F.: Le chateau royal de shabwa, p. 226.
27- Ibid, 227.
28- أزال: اسم قديم لصنعاء.
29- الذراع = 50 سنتيمتر.
30- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: "الإكليل" الجزء الثامن، محافد اليمن ومساندها وقصـــورها ومراثـــي حمير والقبوريات" تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهـــرة، (1979م)ص 58-59.
31- نامـــي:نقوش نشرت بواسطة خليل يحيى نامي) في مجلد بعنوان "نقوش خربة معين علـــى ضـــوء مجموعة محمد توفيق "مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (1952م).
32- جـــام Jamme: نقوش نشرت باسطة عالم الساميات A. Jamme، الذي جاء إلى اليمن كأحد أعضاء البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان، التي قامت بالتنقيب في (بيحان) (قتبان) قديمًا وفي (مأرب) ونشرت نتائجها في كتاب: R. Lebaren Bowen F. Allbright B: Archeaological Discovesis in South Arabia, II, Baltimore, (1952).
33- بنـــي جرة: قبيلة سبأية أدت دورًا كبيرًا في عهد ملوك سبأ وذو ريدان، القرن (1 – 3م)، وكانت تتمركز على جبل (كنن) الواقع على بعد (04 كم) تقريبًا جنوب صنعاء، حيث تقوم قرية (نعض) الأثرية حاضرة (بني جرة).
34- الطبري، محمد بن جرير:"تاريخ الأمم والملوك"، الجزء الثاني، القاهرة،(1358هـ).

35- الارياني، المرجع السابق، ص 114.
36- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 74.
37- وادي ظهر: من الأودية التاريخية المهمة، يقع على بعد حوالي (16 كم) شمال صنعاء.
38- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 123-124.
39- بيت حنبص: يقع إلى الغرب من جبل (عيبان) ضواحي صنعاء، لقد اختفت تلك الآثار التي أشار إليها الهمداني.
40- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 108.
41- معاقم: جمع (معقم) وهو العتبة.
42- الهمداني، الإكليل، ج 8، 164-165.
43- مماشق: جمع (ممشق) آلة من الحديد تمشق الأخشاب والحجارة وتجعلها منمقة.
44- أولم: ينسب معبد الإله المقه السبأي لمنطقة (أولم) وهي مربع لديار عشيرة (مرثد) السبأية التي ينحدر منها كثير من ملوك سبأ.
45- Robin, ch. And, Ryckmans, J: le sanctuaire mineen de NḲRH a Dard As- sabi, Rapport, Raydan, 5, (1988).p. 95-99.
46- أحمد فخري: رحلة أثرية إلى بلاد اليمن"، ترجمة: هنري رياض، ويوسف عبد الله مراجعة: عبد الحكيم نور الدين، الجمهورية العربية اليمنية وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب، صنعاء (1988م). ص 172.
47- بول جينيه:"ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية، مجلة دراسات يمنية، العدد 62 – 72 صنعاء (1987م). ص 109.
48- صرواح: المدينة السبئية الثانية بعد (مارب)، ويرى بعض الباحثين بأنها العاصمة الأولى للدولة السبئية، تقع على وادي (صرواح) بين (صنعاء) و(مارب) على بعد (40 كم) جنوب غرب مارب تقريبا.
49- فخري، المرجع السابق، ص 119-122.
50- نفسه، ص 146.
51- نقش النصر: من أهم النقوش الملك السبأي (كرب إل وتر) في القرن السابع قبل الميلاد يتحدث النقش عن الانتصارات التي حققها على دولة (أوسان) لهذا سمي نقش النصر).
52- Ryckmans, J: les religions, II Paris, (1960).p. 213.
53- بريتون جون فرانسوا: "معبد عثتر ذو رصف السوداء في الجوف"، مجلة دراسات يمنية، العدد (38)، صنعاء (1989)، ص 211.
54- نفسه، ص 213-214.
55- نفسه، 217-218.
56- نفسه، 218-219.

57- ويــندل فيليــبس: "كنوز مدينة بلقيس" (قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن)، تعريب، عمر الديراوي، ط 2 ، دار الحكمة صنعاء (د. ت). ص 205-208.

58- نفسه، ص، 206-207ن انظر أيضا: بريتون: معبد عثتر، ص 185.

59- سيني، المرجع السابق، ص 25-44.

60- Breton J. F: les temble de SYN D HLSM a Baqutfa - Dans, Raydan, vol, 2 (1979).p. 185.

61- شبام الغراس: يطلق عليها (شبام سخيم) نسبة إلى من سكنها من السحيميين كما تسمى (شــبام القصـــة) نظــرًا لما يتوافر فيها من مادة الجص (القصــة) وتسمى بشام (ذي مرمر) جبلها وحصنها.

62- pirenne, J, et Cl, Roux: deux tembes de Shabwa (Raport) (1975 1976).p. 14.

63- Caton Thonpson: The Tombs and Moon Temble. Of Temple of Hureida (Hadramaut). Reports of the Research committee of the society of Antiquaries of the London, oxford, (1944).p. 71.

64- باســلامة، محمد عبد الله: "شبام الغراس" مؤسسة العفيف الثقافية صنعاء (1990). ص 111.

65- Breton. J. F Wadi Dure, (Rapport) (1985).p. 140.

66- Celveland, Ray. L: An Ancient South Arabian Nicropolis Objects from the Secind Compaign (1965). P. 16.

67- Van Beek, op.-cit, p. 230.

68- أكوبيان آرلم وآخرون: "الأبحاث الأثرية في وادي دوعن"، نتائج أعمال البعثة الأثرية اليمنــية – السوفيتية (1985)، صادر عن المركز اليمني الأثرية والآثار والمتاحف (سيئون)، (1985) (ص 62 – 65).

69- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 186-190.

70- الجرو أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة، الأردن، (1996)، ص 142.

71- ويندل فيليبس: رئيس البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان التي قامت بالتنقيب في بيحان ومأرب عام 1950-1952. أنظر: ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، قصة إكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن، تعريب عمر الديراوي، دار الكلمة صنعاء، بدون تاريخ، ص، 186_187.

72- باقفــيه، محمــد عبد القادر: "آثار ونقوش العقلة، دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت"، القاهرة، (1968). ص 87. أنظر أيضا: Groom, op.- cit, p. 168

73- راجع نقش أنجرامس 1.

74- رابضـــة، أحمد صالح: معالم عدن التاريخية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، لبنان ــ بيروت، 1999م، ص، 62.

75- الهمدانــي، الحســن ابن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، ط 3، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983، ص، 94.

76- المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم، ص، 85.

77- رابضة، المرجع السابق، ص، 63.

78- سيني، المرجع السابق، ص 29.

79- Pirenne. J, Les temoins ecris de la region de Shabwa et l histoir , (fouilles de Shabwa) tome I, Paris, (1990).p. 54.

80- فخري، المرجع السابق، ص 172.

81- la muraille de Naqab al :ch. Robin, et R, Audouin:Breton, J. F Hager (Yemen du sud) Extrait de la Revue Syria tame Lxiv, (1987), Fasciules 1 2, Paris(1987). P. 120.

82- Frankincense and Myrrh A Study of the Arabian :Groom. N Incnse Trad Arab Background series, London and New York(1981). P. 241.

83- la muraille, p. 120.:ch. Robin, et R, Audouin:Breton, J. F

84- Ibid. p. 17.

85- Pirenne. j, J, Les temoins ecris, p. 31.

86- نقش حصن الغراب: من النقوش المهمة التي سجلت على قلعة (عرماوية) على ميناء (قــنا)، اهمية النقش تكمن في الأحداث التي يتطرق لها التي تتعلق بالوضع السياسي فــي اليمن في القرن السادس الميلادي وقد أرخ النقش لعام (525م) وهي السنة التي دخل فيها الأحباش اليمن.

87- بــيرن، جاكلين: 'اكتشاف جزيرة العرب' خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربــية: قــدري قلعجي، قدم له، حمد الجاسر، منشورات الفاخرية الرياض، ودار الكتاب العربي بيروت، (د . ت). ص 351.

88- port of Husn al Qurab or site of Qana Centre of :Doe Brain Ancient Archaeologcal, Bulletin 3 Aden, July, 1964, p. 9-13.

89- Ibid, p. 1-15.

90- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 150.

91- باسلامة، المرجع السابق، ص 86-89.

92- الماجل: جمع ماجل تنطق بفتح الميم، وتعني في اللغة اليمنية الصهريج.

93- جــلازر Glaser نقوش نشرت بواسطة العالم (أد وارد جلازر) من أهم كتاباته كتاب يــتحدث عن نتائج رحلاته إلى اليمن: E. Glaser: Von Hodeida nach sana "

vom 24 April bis, mai 1885, dans petermanns Mitierlungen, 32, 1886.

94- بلسلامة، المرجع السابق، ص 84.

الفصل الخامس

الصيغة الاتحادية أساس التكوين السياسي لليمن القديم

اولا : التنوع والوحدة في عصر المكارب والملوك.

ثانياً : الصيغة الاتحادية في عصر ملوك سبأ وذي ريدان.

ثالثاً : عصر الوحدة الشاملة ومراحل تطورها.

رابعاً : الوحدة والتحديات الدولية.

إن للطبـيعة الجغرافية لليمن القديم أثرا كبيرا وفعالا في طبع الحضارة اليمنية بطـابع خاص ومتميز، بل إنه ليصعب معرفة التنظيمات الاجتماعية، والتكوينات السياسية التي عرفها اليمن القديم بمعزل عن معرفة الطبيعة التضاريسية التي تميز بهـا من تراكيب جغرافية متنوعة: جبال تعيش على الأمطار الموسمية، وسهول، وأوديـة، وهضـاب ذات خصوبة عالية، ذلك التنوع انعكس ـ دون شك ـ على تنوع المناخ، وتنوع المحاصيل الزراعية، مما وفر اكتفاءً ذاتيا لسكان المنطقة. فمن خلال النقوش نستشف أن الزراعة كانت الحرفة الرئيسة لليمنيين، فقد كانوا شعوباً زراعـية بدرجة أساسية، لذلك نجد أن التنظيم الاجتماعي قام في بادئ الأمر على مجـتمع القرية (بيت) في النقوش(1)وهو مصطلح يطلق على كل الجماعة وموقع سكناها، كما يرتبط اسم تلك الجماعة في الغالب بالبيت نفسه (القرية)(2).

ويـبرز لنا شكل آخر من التنظيم الاجتماعي، هو الشعب، اما أقدم ذكر للفظة شـعب جاءت في نقش النصر(RES 3945) الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قـبل المـيلاد، يتشـكل هـذا التنظيم عادةً إمّا بفعل توحّد عدد من تلك التجمعات (البيت)، أو نتيجة لاتحاد مجموعة قبائل مكونة شعوبا، (اتحاد قبلي) كما في عبارة الشـعب (سـمعي)، مع وجود الشعب حاشد، وحاشد كما هو معروف أحد أثلاث سـمعي، والشـعب قد يكون سكان قرية، أو قبيلة، أو فئة من الفئات في المجتمع كأصحاب حرفة واحدة مثلاً كما جاء في نقش (عنان 22)،(3) فالرابطة التي تربط الشعب هي رابطة المصالح الاقتصادية المشتركة، أي رابطة مواطنة. تجمع شمل المواطن روحياً ومادياً، ونجد على رأس هذا الشعب حاكم محلي يحمل لقب ملك، فالملكـية هـنا قبلـية، وما أكثر من تلقب بلقب ملك في اليمن القديم وبالذات في المرحلة العتيقة، وهناك إله رئيس يلتف حوله الشعب بمختلف قبائله مع وجود آلهة محلية لكل قبيلة. فعندما يبرز الشعب لأسباب سياسية، واقتصادية، أو لقوة عسكرية ويحـرز هيمنة على مجموعة من الشعوب المجاورة، هذا بدوره يؤدي إلى نشوء تجمـع اجتماعـي سياسي جديد، فتأتي الحاجة إلى التمييز بين لقب الملك الأعلى، وألقاب الملوك التابعين.

علـى أساس ذلك الاتحاد (الاندماج) الطوعي أو القسري لعدة قبائل (شعوب) تنشأ المدينة (الهجر) كمركز للقبيلة أو الاتحاد، بعد أن يتوفر لذلك الهجر المنشآت الأساسية كالمعبد والقصر ومصدر المياه [4].

أولا: الصيغة الاتحادية في عصر المكارب والملوك (القرن الثامن - القرن الأول قبل الميلاد):

1-نشوء التكوينات السياسية (الممالك اليمنية القديمة):

إن نشـــوء الممالك اليمنية القديمة تم أساسا بفعل اتحاد أو شبه اتحاد سياسي - دينـــي ضـــم أكثر من تجمع (شعب) لكل شعب آلهته الخاصة به، و تمثل دولة سبأ نموذجـــا متمـــيزاً للاتحاد القبلي، ففي سبأ تشكلت نواة هذا الاتحاد منذ نهاية الألف الثانـــي قبل الميلاد تقريباً عندما ضمت إليها ثلاث قبائل رئيسة (فيشان، ونزحت، ويهبلح) (CIH601) (RES 3951) وكانت أراضي ذلك الاتحاد تمتد على طول وادي أذنـــة الغزيـــر بمياهه الممتد بين مأرب وصرواح، شمالاً حتى خربة سعود (كـــتلم) علـــى وادي (رغـــوان)، وكان الإله عثتر هو الإله الرئيس الحامي لهذا الاتحـــاد، فقد بنيت له المعابد ومواضع عبادة في مختلف مناطقهم يزورونها لأداء الطقـــوس ويـــتقربون إلـــيها بالقرابين. لقد عرف اليمنيون قديماً أشكالاً مختلفة من الطقـــوس الدينـــية التي تجسد ذلك الاتحاد بين القبائل وإقامة العهد مع الآلهة، ومن أبرزها:

- وثيقة التحالف وإقامة العهد مع الآلهة:

لقـــد عبرت النقوش عن ذلك التحالف بين القبائل والآلهة والملك بلفظة (حبلم) المشـــتقة من الجذر (حبل) الذي يعني: ميثاق،[5] فإقامة العهد مع الآلهة إنما كان مـــن الطقـــوس الدينـــية المهمة، التي ظهرت في نقوش القرن الثامن والسابع قبل المـــيلاد وتـــنص صـــيغة التحالف على العبارات التالية: "حين أقام المكرب (لتلك القبائل) وحدة حقيقية وميثاقا وعهداً مع الآلهة، والأسياد" لقد ذكرت تلك الصيغة في عـــدد من النقوش (CIH 366, CIH 366 bis, CIH 957, RES 3949) ومن الملاحـــظ أن المكـــرب هو من يأمر بكتابة الوثيقة، كما لا يذكر النقش أسماء آلهة للقبائل المختلفة الداخلة في إطار ذلك الاتحاد، بل يرمز إليه بالآلهة، ولا تحدد اسم سادة القبائل بل لفظ الأسياد.

أما في نقش (البعثة الفرنسية - الدريب 4) الذى نقش على سور مدينة كتال في الجوف فيقول:

- (كرب أل وتربن نمر علي سوّر مدينة كتلم (كتال) حين أقام وحدة حقيقية (بين القبائل) مع الإله، والسيد، وعهداً، وميثاقا). وفي نقش آخر:

- (يـــثع أمر بين بن سمه علي مكرب سبأ سور مدينة مأرب حين نظم كل قبيلة (تجمع ديني) إذ جعل لكل منها إلها وحاميا وعهداً وميثاق).

لقد ذكرت لنا النقوش ثلاثة من المكارب السبئيين الذين صاغوا وثيقة الاتحاد مع القبائل التي انضمت إليهم وإقامة العهد مع الآلهه، وهم:

1- كرب إل وتر بن ذمر علي(Ry 586/ 5-7,RES 3945/1, RES 3946/1 ، نقش البعثة الفرنسية - الدريب 4).
2- يدع إل ذريح بن سمه علي (CIH 366, CIH 957, RES 3949)
3- يثع أمر بين بن سمه علي (Garb 1973)

ويــندمج الاتحــاد الأول باتحــادات أخرى فنجد في النقوش (سبأ وجوم) (Ja 2848) أي ســبأ والاتحــاد، ويــبدو من خلال النقوش أن (جوم) مصطلح شامل لاتحاد ليس له حدود واضحة، فقد ذكر هذا المصطلح في النقوش التي سبقت عهد المكــرب (كرب إل وتر بن ذمر علي) (القرن السابع قبل الميلاد)، وهذا يعني أن الصيغة الاتحادية موجودة منذ زمن بعيد [6].

وتميز النقوش بين أبناء قبيلة سبأ وبين الاتحاد؛ أي من انضم إليهم من القبائل ففــي نقش النصر (RES 3945) السطر 6 نجد (و هــ لت و/ ول د / ال م ق هــ / وج وم / ح رهــ و/ وع ب د هــ و/ ب ن / أ ب ض ع/ ذ ا و س ن) ومعنى ذلك: وقد اصطحب معه (المقصود المكرب كرب إل) أولاد المقه والاتحاد أحــرارهم وعبــيدهم من أرض أوسان. فقد أطلق هنا على أبناء قبيلة سبأ (أولاد المقه) وشعب سبأ كما هو معروف (كهلان)، كما جاء في النقوش (Ja 735/1)،: "وشعب سبأ كهلان في مدينة مأرب وأوديتها"، أما (جوم) فيقصد بهم قبائل الاتحاد أي كــل مــن انضم إلى قبيلة سبأ من قبائل الأراضي التي تروى بواسطة الإله عثتر ذو نيبان، والمعروف أن الإله عثتر هو الإله الرئيس لذلك الاتحد.

وهــناك نقش معيني يتحدث عن (وثيقة تحالف) أقامها الملك المعيني خاليكرب صدق بن أبيدع في (رصاف) معبد الإله عثتر ذو قبض يذكر إقامة العهد والميثاق بين " عثتر شرقن وكل الآلهة والقبائل مع الآلهة والأسياد " (RES 2831/2). ويبدو أن تلك الصيغة الاتحادية ظلت سارية حتى القرون الأولى للميلاد[7].

صــيغة اتحادية كهذه تضمن الحماية والأمان والاستقرار للقبائل، وعلى الرغم مــن جهلــنا بحيثيات وأسس مثل هذه الصيغة الاتحادية، إلا أن هناك طقوساً دينية تقــامْ فــي زمن معين ومكان محدد، وغالباً ما تقام في معبد كرس للإله عثتر ذو نيبان في جبل اللوذ (جبل كوران قديماً) في الجوف، يرتاد هذا المعبد قبائل متعددة ومتنوعة من مشارب المرتفعات الغربية ومغاربها[8].

وتذكــر الــنقوش صــيغة أخرى (صيغة تجمع) وعباراتها "المكرب دعا إلى الاجتماع من أجل الإله عثتر ذو نيبان" ولعل هذا النوع من التجمع يخضع للتنظيم الخــاص بالجماعــات الدينية ويستخلص من عبارات الاجتماع من أجل (عثتر ذو نيبان) الدور البارز لهذا الإله كمؤسس لهذا التجمع القبلي المتحد الذي كان الأساس

لقيام نظام الدولة، كما توضح أكثر من ذلك مكانة المكرب "كحاكم بأمر الإله" فهو يدعو إلى الاجتماع ليس انطلاقا من قوته ونفوذه المستمدين من مكانته الدينية والسياسية والاجتماعية، وإنما تنفيذاً لأمر الإله عثتر[9].

- ومع تطور البنية الاجتماعية والسياسية تتطور الصيغة الاتحادية للقبائل، ففي نقش النصر (RES 3945/1) الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد أطلق على ذلك الاتحاد القبلي (معشرة سبأ)، وبعد ذلك التوسع نجد إله القمر (المقه) يحتل المكان البارز ويصبح هو الإله القومي الرئيس لقبائل سبأ، إلى جانب آلهة أخرى (عثتر، والمقه، و ذات حميم، وذات بعدن) ثم أضيفت الالهة هوبس في المرتبة الثانية.

- ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد بدأ التكوين السياسي الوحدوي للدولة السبئية في التبلور فتحول ذلك الاتحاد إلى دولة توافرت لها كل المقومات، كظهور الملكية الخاصة وتعدد أشكالها، وبناء المدن (العواصم)، والمعابد، ومنشآت الري العظيمة، والكتابات النقشية، والقوى العسكرية، التي تهيأت لها الظروف لتبرهن على قدرتها الفعالة، كما أخذت القيادة السياسية لنفسها لقبا جديداً يتلاءم وتوسعاتها حيث تلقب الملك بلقب (المكرب) من أصل للفعل (كرب) التي تعني الموحد أو (المجمع)[10] فكان بمثابة الرئيس الأعلى والموحد للقبائل، كما وحدت عبادة الإله المقه القبائل السبئية في الهضبة الغربية[11]. لقد وصل تأثير سبأ أيضا إلى اتحاد قبائل سمعي التي كانت تحتل إقليم شمال الرحبة حتى مدينة كانظ شمالاً، فقد حدثتنا النقوش عن علاقة ودية كانت قائمة بين ملوك سمعي ومكارب سبأ وبشكل خاص مع (كرب إل وتر) فقد كانوا يتلقون من سبأ الاقطاعيات خارج نطاق أراضيهم صنعاء وما يجاورها (CIH 37)[12]. لقد تحقق لـ (كرب إل وتر) سطوة ونفوذ كبيرين عندما قام بتوسيع رقعته بشكل سلمي من خلال اتحادات وتحالفات مع شعوب المنطقة المجاورة وشعوب الهضبة الغربية، وبشكل قسري من خلال حملات عسكرية عنيفة على مناطق متفرقة من اليمن.

1- كرب إل وتر موحد اليمن في القرن السابع قبل الميلاد:

إلى جانب اتحاد قبائل سبأ تبرز في هذه المرحلة على الساحة السياسية قبيلة كبيرة منافسة لسبأ هي قبيلة أوسان، والتي على وادي مرخة (إلى الجنوب الشرقي من وادي بيحان)، تشكلت أوسان أساساً بفعل تحالف قبائل كحد ودهس (يافع) وتبنو (وادي تبن) وكحد ذ سوطم، وكحد ذ حضنم (اقليم دثينة والمرتفعات الشمالية الشرقية)، ذلك بالإضافة إلى (عودم) العود، وهو دون شك جبل العود جنوب غرب النادرة (كور العوائل وعرمه) .

بلغـــت أوسان شأنا رفيعا من التقدم والازدهار في القرن الثامن – السابع قبل الميــلاد، بسبب ما كان لها من نشاطات تجارية، وما هيأته لها طبيعتها الجغرافية مــن موانـــئ بحــرية علـــى امتداد سواحلها الجنوبية، تمكنت من الاستفادة منها واســتغلالها أيمـــا استغلال، حتى قويت شوكتها، واتسعت حدودها في عهد ملكها (مــرتع)، حيــث امتد نفوذها إلى الاودية الشرقية عبدان وميفعه وحجر وعرمه ضـــراء شرقا، لتشمل الشريط الساحلي الجنوبي؛ بل ولامتد نشاطها التجاري حتى وصل إلى الساحل الأفريقي حيث أطلق عليه (الساحل الأوساني)،[13] فكانت لأوسان بتوســعها هــذا قــد غــدت تشكل خطراً داهماً ومباشراً، ليس فقط على جارتيها حضـــرموت وقتـبان، وإنما على دولة سبأ التي هي الأخرى استثيرت غضباً من تضـــرر مصـــالحها؛ وفـــي خضـــم تلـــك الأجواء المشتعلة بنيران المعارك بين الأوســـانيين والســـبئيين راح (كـــرب إل وتر) يشن هجوما على أوسان وحلفائها، وتمكّـــن بـــالفعل مـــن الانتصار، بعد سلسلة من المعارك الدامية، بمساندة كل من حضـــرموت وقتبان والقبائل المتحالفة معه؛ بعد ذلك لامتد نفوذ كرب إل من نجران شـــمالاً، وإلـــى المدن الساحلية في البحر العربي جنوبً، ومن المعافر غربا حتى هضـــبة الســـوط (الجـــول) شرقا. فخضعت له اليمن من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها.

لقـــد صـــبغت حروب (كرب إل وتر) بنوع من القدسية والشرعية فكان يشنها باســم: الإله (المقه)، والشعب (سبأ) فقد استهل نقشه بالعبارة التالية: "هذا ما أنجزه كـــرب إل وتر بن ذمر علي ـــ أثناء حكمه للمقه ولسبأ"، أما المدن والضياع فقد أحاطهـــا (كـــرب إل) بســـور وعين حدودها باسم الإله والمقه أيضا، وأما المدن المهـــزومة فقد وزعت ممتلكاتها بين الإله والملك وقبائل سبأ والحلفاء (RES 3945).

كمـــا أشار نقش النصر أيضاً إلى الحملة العسكرية التي شنها (كرب إل وتر) ضد مدينة (نشن) في الجوف (التي تعرف اليوم بالسوداء) كان يحكمها ملك يدعى (ســـمه يفـــع) هـــذا الملك أصبح يشكل تهديداً صارخا لملوك سبأ عندما مد نفوذه السياســـي إلـــى مناطق تقع إلى الغرب من صنعاء بما فيها شبام كوكبان، وحقق كرب ال على ذلك الملك انتصاراً كبيراً.

وكنتـــيجة طبيعـــية لتلك الانتصارات توسعت الرقعة الجغرافية للدولة السبئية وبلغـــت أوج ازدهارها حتى غدت كل الكيانات السياسية تدور في فلكها. ولغرض ترســـيخ دعـــائم دولته المترامية الأطراف خلق (كرب إل وتر) نوعاً من الاتحاد الداخلـــي بيـــن أركان الدولة الثلاث (الإله، والملك، والشعب) فهذه العلاقة الثلاثية نجدهـــا فـــي معظم النقوش السبئية تعبر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين أركان

الدولة: الإله والحاكم والشعب، فقد جاء في نقش (Ja 455) العبارة التالية " بإخوة المقـه ويدع إل بين وسبأ "يشير النقش إلى علاقة المؤاخاة التي تربط أركان الدولة السبئية[14] تلك الوحدة هدفها ــ دون شك ــ إيجاد نوع من التوازن الداخلي يضمن الاستقرار للكيان السياسي للدولة.

اسـتطاع كـرب إل وتر بعد التوحيد القسري الذي انتهجه، أن يشرع في خلق ظـروف سياسـية جديدة، فقد شكلت سياسته بعد ذلك وحدة تحالفية بين كل القبائل التـي ناصرته في حربه، لقد تجسد ذلك الشكل الفدرالي في نقشه الذي يقول: "هذه هـي المدن والأقاليم التي ملكها كرب إل وتر بن ذمر علي مكرب سبأ في فترة حكمه- للإله المقه ولسبأ عندما نظم كل قبيلة فجعل لكل منها إلها وحاميا وميثاقا وعهـدا، وذبح للإله عثتر الذبائح (كقربان)، وأنار موضع (ترح)، وعندما نظم معاشـرة سـبأ لكـي يتحدوا ويقوموا بأمرهم وشؤونهم كرجل واحد بنية صادقة، ويـنهض كل إنسان لحماية أملاكه .ويوم حقق الإله عثتر والإله المقه وعديهما فيجري مياه الأودية فيملأ المواقي ساقية ساقية ..."

وقدشـهدت المنطقة حالة من الانتعاش الاقتصادي والحضاري، من خلال تنفيذ المشاريع المعمارية الكبرى: كمنشآت الري، والقصور، والمعابد والمحافد والقلاع، والأسوار.

أمـا قتبان وحضرموت اللتان تشكلتا أيضا بفعل تحالف قبلي، نجدهما تدخلان فـي تحالف ومؤاخاة مع المكرب السبئي (كرب إل وتر) الذي بدوره كافأهما على مؤازرتهمـا له في حربه ضد أوسان بأن أعاد إلى كل منهما أراضيها التي كانت أوسان قد سلبتها منها كما جاء في نقش النصر (RES 3945) "وأعاد للإله (سين) إلـه حضـرموت الأكـبر و(حـول) وهو معبود حضرمي أيضا و(يدع إل) ملك حضـرموت وحضـرموت (القبيلة) مناطقها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين، وأعـاد مـناطق (عـم) و(أنبي) ــ آلهة قتبان - و(ورو إل) ملك قتبان، وقتبان (القبيلة) أراضيها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين لأن (أهل) حضرموت وقتبان قـد آخوا (أي تحالفوا مع) المقه (الإله القومي لسبأ) وكرب إل (مكرب سبأ) وسبأ (القبـيلة) . فقد تجسدت فكرة الدولة بأركانها الثلاثة الإله، والملك، والشعب، فهذه العلاقة الثلاثية نجدها في معظم النقوش السبئية تعبر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين هذه الأركان، التي تهدف ــ دون شك ــ إلى ترسيخ دعائم الدولة.

بعـد عصر المكارب يأتي عصر الملوك عندها نجد مصطلح سبأ يأخذ معنىً واسـعا،[15] فقد توحدت عبادة الإله المقه بانضمام قبائل الهضبة الغربية (الرحبة) إلى سبأ، فكانت آنذاك مقسمة بين شعوبها (قبائلها) الأصلية التي انتشر بين حكامها لقب ملك ؛ أما أراضيها فعبارة عن (أشعب) قبائل تتمتع بالاستقلال الداخلي ضمن

صيغة اتحادية فدرالية، يجمعها الولاء لملوك سبأ، والإله الوطني لسبأ (المقه)؛ في الوقـت ذاتـه نجـد هناك ممالك مستقلة ترتبط مع دولة سبأ بمواثيق تؤمن السلام والاستقرار. ويظهر في النقوش مصطلح (سبأ والقبائل) (Ja 550)، ثم نجد (سبأ وقبائلها) (CIH 601/9)، ثم (القبائل وسبأ) (RES 3951/2).

فـي القرن الرابع قبل الميلاد برزت دولة معين في الجوف بفضل اتحاد ثلاثي لـثلاث تجمعـات إقليمـية قرناو (معين)، ينل (براقش)، ونشن (السوداء)، وقد فرضـت الظـروف الاقتصـادية للإقليم وجوب مثل ذلك التحالف. لقد أخذت تلك المـناطق تتوحد لتصبح قوة سياسية في المنطقة، تمكنت بعدها من إخضاع مدن الجوف جميعاً لنفوذها، فشكلت بذلك دولة جديدة لم يكن لها ذكر من قبل هي دولة معين التي اتخذت من قرناو عاصمة لها.

أمـا قتبان في هذه المرحلة من تاريخها فراحت تتحرّر نهائياً من التحالف مع السبئيين، وغدت تضم كل قبائل أوسان، وكحد، ودهس، وتبنو، وعودم، ونبحان ذ حمرر،وردمان، والملك، ويحر، ومضحي،) جميع تلك القبائل كانت تعبد إلها رئيسا هـو إله القمر (عم) ويطلقون على أنفسهم (أولاد عم) (RES 3675) إلى جانب عبادة آلهة أخرى، هذه الأقاليم توضح المساحة التي امتدت إليها الأراضي القتبانية، ووصـل نفوذهـا حـتى البحر الأحمر غربا وخليج عدن جنوبا). وقد تجسّد ذلك التحالف القبلي في تسمية ملوك قتبان في تلك المرحلة حيث تلقبوا بـ (ملوك قتبان، وكل كل أولاد عم، وأوسان، وكحد، ودهسم (يافع) وتبنو "تبن" ويبدو واضحا من طـول هـذا اللقـب أن قتبان قد آلت إليها أراضي أوسان برمتها، فكانت منذ ذلك التاريخ الوريث الوحيد للأقاليم الأوسانية بعيد انهيار دولة الأوسانيين، لقد جاء ذلك التوسـع ــ دون شـك ــ على حساب دولة سبأ، وهذا ما أكدته تطورات الأحداث اللاحقـة التـي شـهدتها المنطقة على المستوى السياسي ، والمتمثلة في الصراع السـبئي ــ القتبانـي؛ فقد دخلت سبأ في حرب طاحنة مع قتبان لمدة خمسة أعوام وانتهت بالسلام بين الطرفين (Ja 550).

حضـرموت (القبـيلة) تكونت ــ كما أشرنا آنفا ــ بفعل تحالف قبلي، شغلت حضـرموت مساحة جغرافية واسعة، تلك المساحة سمحت لها بالتحكم في المنافذ الـبرية والبحرية للتجارة، فقد امتد نفوذ حضرموت شرقا إلى منطقة (خورروري) شـرق صلالة. حينها حظيت حضرموت بأهمية فريدة، كمنطقة تنتج أجود وأثمن أنواع البخور، وكانت (شبوة) العاصمة بمثابة مركزا رئيسيا لتجميع البخور ومن ثم تصـديره؛ وبحكـم تلـك الامتيازات الاقتصادية نجدها تدخل في تحالف منذ عهد

المكـارب مـع سبأ. أما في العهد الملكي فقد كانت لها علاقة متميزة مع (معين) الدولة المصدرة لتلك الأنواع من السلع الثمينة (اللبان والمر)[16].

2- التنوع والوحدة:

نظام الحكم:

لقـد كانت الصيغة الاتحادية بين القبائل هي أساس التكوين السياسي للممالك اليمنـية القديمة ـ كما أشرنا سابقاً ـ تلك الصيغة أملت نظام حكم متميز وفريد، فتنوع القبائل فرض وجود نظام نيابي؛ أو نظام المشاركة السياسية يكون فيه تمثيل للقبائل في مجلس القبيلة أو مجلس المدينة. سمي هذا المجلس في النقوش (م س و د) (مسـود)، يضم سادة القوم وذوي الرأي من رجال الدولة ؛ يتمتع هذا المجلس بصـلاحيات واسـعة، فهو المرجع الأول والأخير في الدولة فلم يكن للملك مطلق السـلطات والقوانيـن، وإنما كان يتخذ القرارات بالتشاور مع هذا المجلس. (Gl 1150) فـبالرغم من أن التشريعات تسنّ باسم الملك (مكرب) ، إلا أنها توقع من قـبل شـهود من المجلس النيابي نفسه، أما مهمة الملك فتنحصر في أخذ المبادرة لإقامة الأعمال العامة الكبرى، كبناء المدن وتسويرها، منشآت الري، بناء المعابد والـتأكد من أن قوانين المجلس التشريعي قد نفذت، ومن ثمّ معاقبة كل من يخرق مـثل تلـك المراسـيم والقوانيـن، كما كان يقوم بوظيفة المسجل والناشر لقوانين المجلـس، فضلاً عن أنه كان هو القائد الأعلى في أوقات الحرب.(Gl 1155) وفي تنظـيم الطقـوس الدينـية، وإبرام وثيقة الاتحاد. وثمة مجالس نيابية أخرى تساهم في إدارة المجتمع إلى جانب مجلس الشوري السابق الذكر منها:

(أ) مجالس القبيلة التي تمثل الشعب تمثيلاً نيابياً، وتبلغ القبائل بالقرارات.

(ب) مجالس المدن: وتعني بدراسة شؤون المدينة في السلم والحرب.

ولذلـك كانـت جملة من النظم التشريعية الرفيعة المستوى تصدر عن المجلس النيابـي باسم الملك لإبراز حقوق المواطن وحقوق الدولة فكانت تنقش على أبواب المعـابد، وأسـوار المـدن، حتى يتسنى لكل فرد من أفراد الشعب الاطلاع عليها بصـورة دائمة، وبالرغم من أن هذه التشريعات والنظم تحمل طابعاً مدنياً، إلا أن الدين كان من مرتكزاتها الأساسية، فهي تمثل إرادة الآلهة ومشيئتها فالمخالف لهذه التشـريعات يعاقب بعقوبتين: العقوبة المنصوص عليها في القوانين، والعقوبة التي تفرضها الآلهة على البشر من الإصابة بالمرض، أو الآفات الزراعية ..

-الدين:

عــبد اليمنيون، كغيرهم من الشعوب السامية آلهة تجسدها أجرام سماوية، تتمثل فــي: القمر، والشمس، والزهرة مضيفين إليها أسماءً ونعوتاً وألقابا محلية متعددة، كــان الناس يتقربون ويتوددون إليها بالنذور، والقرابين، والهبات، وقد كشفت لنا الـنقوش أعداداً كبيرة من أسماء ونعوت الآلهة، لم تتم حتى الآن معرفة تفسيراتها واشتقاقاتها ... ومهما اختلفت نعوت تلك الآلهة ومناطق انتشارها، إلا أنه بالإمكان إدراجها تحت أحد أجزاء الثالوث الفلكي.[17]

لقــد كــان للعقــيدة الدينــية أثر بالغ الأهمية في حياة اليمنيين قديما: المادية والروحــية، كما كانت لها بصمات على شتى مجالات الحياة، فهم يرون في الآلهة مــن الخــوارق ممّا كان يجعلهم يتجهون لعبادتها، والتقرب إليها من خلال قيامهم بطقــوس شــعائرية مخــتلفة، فــيقدمون لها القرابين، بل ويقدمون لها حصونهم وأبــراجهم ، ومــنازلهم وأراضيهم وأنفسهم وحيواناتهم، رغبة في كسب حظوتها ورضاها، وطلبا لحمايتها ووقايتها، فما يفعله الإنسان من خير أو شر يكون عقابه فــي الدنــيا، والآلهة هي التي تثيب وتعاقب، تثيب المتقي والمتعبد والمتقرب إليها بالــنذور وتقديس المعابد فتعطيه رزقاً وفيراً وتبارك له في نفسه وفي أهله وتعطيه ذريــة صالحة ذكوراً، وتنجيه من البلايا والآفات ومن الأوبئة والأمراض وترجعه ســالما غانمــا مــن الحــروب؛ أما العقوبة فتكون بإنزال البلاء لمن يستحق من الخارجيــن علــى أوامــر الآلهة، المارقين على النظام، المخالفين لسلوك المجتمع المتجاوزيــن علــى حقــوق غيرهم. كل ذلك حمل الناس على التقرب إلى الآلهة للحصــول علــى حظوة ورضى الآلهة، فكل نشاط إنشائي، من نحو: بناء عام أو منشأة ري أو بناء منزل يوضع له نقش يوكله إلى حماية إلهية، فهذا الورع الديني العميق لم يتوغل في نفوس الأفراد فحسب، بل وفي حياة الشعب بأسره، فلا يمكن الفصــل بين الدين والتعبيرات المختلفة للطاعة عند الفرد والمجتمع والدولة، فعلى المستوى السياسي نجد للعقيدة الدينية دوراً بارزاً في ترسيخ دعائم الدولة، فأركان الدولــة تتمثل في علاقة ثلاثية قوامها (الإله، والحاكم، والشعب) بحيث نجدها في معظــم النصــوص النقشية، تعبِّر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين أركان الدو· هــذه، كمــا جاء في أحد النقوش السبئية، (Ja 455) فالدولة تعطي لنفسها ولملكه ولشــعبها نوعــا من القدسية، وأنه لا فرق بينها وبين الإله! فأي تمرد على الدولة يعتــبر تمــرداً على الإله الرئيس للدولة نقش (Ja 577) يحكي، لنا قصة تمرد

إحدى الشخصيات الكبيرة من قبيلة (خولان الجديدة) خولان صعدة، فقد اعتبر ذلك التمرد موجهاً ضد سلطان إله الدولة السبئية (المقه)، وكان الملوك – حين يحاربون أعداءهم ويهزمونهم – يقتسمون الغنائم بما فيها الأسرى مع الآلهة والشعب، كما لا فرق بين للدولة والإله فالتحالف مع سبأ يعني تحالف مع الإله الوطني المقه (RES 3945) السطر 8، (لوسان ذ أخو المقه وسبأ) "لوسان في نهاية المطاف دخلت في تحالف مع المقه وسبأ" السطر 13 من نفس النقش يتحدث عن المؤاخاة التي تمت بين حضرموت وقتبان من جانب والمقه وكرب إل وسبأ من جانب آخر (... بنت أخو حضرموت وقتبان المقه وكرب إل وسبا).[18]

وتشير الشواهد النقشية إلى أن للإنسان قداسة، ولحقوقه قداسة، فهو ابن الإله. وكل أفراد الشعب يعتبرون أيضا أبناءً للإله: فشعب (قتبان) يسمى أولاد (عم) الإله القومي لهم، وملكهم يسمى كبير (أولاد عم)، كذلك الشعب السبئي يسمون أنفسهم بأولاد (المقه)، وملوك أوسان يعتبرون أولاد (ود) معبودهم الوطني، هنا نجد القبائل تتوحد حول إله واحد.

أمّا الملك فهو وكيل الإله على الأرض، فهناك نقش من نقوش الاعتراف، يتضمن مخالفة ارتكبها شخص، مما وجب عليه أن يبرئ نفسه أمام الإله والملك، ويلاحظ اشتراك الملك مع الإله في قبول التبرئة، له دلالة خاصة باعتبار أن الملك خليفة الإله على الأرض والحاكم باسمه (Ja 557).

وبالرغم من أن لكل قبيلة آلهتها الخاصة بها إلا أنها لا بد من أن تؤدّي فريضة الحج للإله القومي لسبأ (المقه)، فنقش (RES 4176) عبارة عن مرسوم صادر عن الإله (تألب ريام) إله اتحاد قبائل (سمعي) يأمرهم بضرورة الاشتراك في مراسيم الحج السنوي التي تقام في معبد الإله (المقه) خارج مدينة مأرب، فهذا النقش يؤكد تبعية اتحاد قبائل (سمعي) رسمياً للدولة السبئية.

ج- التنوع في الفن:

ـ فن العمارة:

كشفت لنا التنقيبات الأثرية عن فن معماري بديع ذي طابع فريد من حيث التخطيط الهندسي للمدن ومنشآتها، ومن حيث أسلوب البناء ذاته، فهناك أنواع من البناء : الديني، والمدني، والعسكري، والاقتصادي ... كما أن مادة البناء المتوافرة في المنطقة قد أثرت بشكل كبير في أسلوب الهندسة، والمعروف أن مادة البناء تختلف من منطقة إلى أخرى وذلك حسب تكويناتها الصخرية، ففي حضرموت نجد

مادتـــي اللبـــن النـــي والأخشاب المتوافرة كمادة بناء أساسية، أما الحجر فيقتصر اســـتخدامه عل بناء الأساسات وجدران المعابد، أما في المناطق الجبلية فقد شيدت المباني بأحجار رخامية كبيرة، قطعت وشذبت لتصبح متساوية، ثم بني بها بطريقة لا نكاد نتبين منها تعدد الأحجار وإرساءها إلى جانب بعضها بعضا، ونجدها أحياناً تتماســك عــن طــريق بعض الأوتاد المعدنية المصهورة أو النحاس المصهور. وبالرغم ذلك التنوع الذي فرضته الطبيعة التضاريبسة نجد أن هناك سمات مشتركة للفن المعماري في كل المنطقة تتمثل في :

- أســاس المبانــي: في الغالب حجري يبنى على عمق بضعة أمتار في الأرض ويصب فيه الرصاص أحيانا، إمعاناً في تدعيم البناء وتثبيته.

-الحيطان: غير عمودية بل تميل إلى خلف الحائط كلما ارتفعنا بالحائط إلى أعلى إذ أن الجدران العمودية أسهل تحطيماً من غيرها.

وبعــد أن ينتهــي البــناءون مــن أعمالهم الإنشائية يهتم الفنانون بالزخرفة، فــتزخرف الأســقف والحــيطان والأبواب، كما تطعم بالحجارة الكريمة، أما تلك الزخرفة فتكون على شكل رسومات نباتية وحيوانية وأشكال هندسية تبرز بوضوح دقــة تفكير الفنان ومهارته وبراعته في الرسم والنحت، وعند الانتهاء من كل تلك الأعمـــال يسجل نقش عليه اسم صاحب البناء ومن عاون فيه، ثم يودع في حماية الإله الخاص والآلهة العامة[19].

كمـــا نجد التشابه الكبير في خصائص البناء الديني؛ فقد أقام اليمنيون الأقدمون لآلهــتهم المعــابد الكثــيرة، ومواضع العبادة الوفيرة في شتى الديار من مناطقهم المخــتلفة؛ وكــان للمعبد ــ في إطار المؤسسة الدينية ــ وظيفة قدسية ذات شأن عظــيم فـــي بنية المجتمع، ولا ريب في أن المعبد راح مع الأيام يتطور في بنيانه وتصــميمه الهندســـي حتى غدا مقدساً ذا هيبة ورهبة، يؤمه الناس للعبادة وإقامة الشـــعائر الدينية، وتقديم الهبات والقرابين للآلهة، ولذلك كان قد أطلق على المعبد قديماً كما جاء في النقوش، الاسم (حرم) أو (محرم)، الذي هو بمعنى المقدس. لقد كشــفت لـــنا بعثات الآثار عن عدد من المعابد الفخمة والمتكاملة البناء بأسوارها، وأروقــتها، وســلالمها ومحافدها وما لها من سعة في باحاتها ومساحاتها ... في مخــتلف المـــناطق اليمنـــية، وبالإضــافة إلى ذلك تخبرنا النقوش عن جملة من المصطلحات الاسمية الخاصة بأجزاء المعبد وأقسامه الداخلية من نحو : (مختن)، و(صرح)، و(مسأل)، و(محراب)، و(مذبح)، و(مطهر) فكل من هذه المصطلحات

نجدهــا مشتركة في كل المعابد اليمنية، وإنما تعبر عن الوظيفة الدينية التي يؤديها هذا القسم أو ذاك في سياق ممارسة الشعائر الدينية المختلفة.

د- اللغة. الكتابة:

ظهــرت منذ القرن العاشر قبل الميلاد، واشتركت كل الممالك في الكتابة وإن اختلفــت فــي بعض خصائصها، إلا أن لها سمات واحدة، وخطا واحداً، وعناصر ثقافية واحدة.

تمــيزت اللغة السبئية عن غيرها فإلى جانب انتشارها في المناطق السبئية، فقد كتــب بها الأعراب (البدو) أيضاً في الجوف وفي نجران، وفي قرية الفاو(وادي الدواســر) عاصمة دولة كندة حيث عثر على نقوش يعود تاريخها من القرن الثاني قــبل الميلاد إلى القرن الثاني بعده و نقوش أخرى يعود تاريخها من القرن الأول قــبل المــيلاد إلى القرن السادس الميلادي،[20] وفي أثيوبيا تم العثور على نقوش ســبئية (أقدمها يعود إلى عهد مكارب سبأ) فمن من خلال اللغة وانتشارها يمكن أن نحدد الاطار العام للدولة السبئية .

ثانــيا: الصــيغة الاتحادية في عصر ملوك سبأ وذي ريدان (القرن الأول-القرن الثالث الميلادي)

1- أبرز الأحداث السياسية:

باقتراب عصر الميلاد وخاصة في القرن الأول قبله، شهد العالم تطورات خطيرة كانت السبب المباشر في تغيير موازين القوى في اليمن ، ومن أبرز تلك الأحداث:

- الحملة الرومانية على اليمن: في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد تمكن الــرومان بــزعامة الإمــبراطور (أغسطس) من السيطرة الكلية على مصر وبلاد الشــام، وبــدأت أنظــارهم تتجه صوب الجزيرة العربية لاحتلالها، وبالفعل كلف الإمبراطور نائبه الروماني على مصر آنذاك (إليوس جالوس) بغزو جنوب الجزيرة العربــية، وكــان الهدف من ذلك الغزو السيطرة على البحر الأحمر وتحويله إلى بحيرة رومانية، وإذا ماتم لهم ذلك سيتحقق لهم نصر عسكري وسياسي واقتصادي كبير في وجه عدوهم التقليدي : الإمبراطورية الفارسية ؛ كما أن من أبرز الدوافع السيطرة على طريق البخور من بدايته في الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وحتى نهايته في شواطئ البحر المتوسط. لتلك الأسباب جاءت فكرة غزو العرب، إمــا لإرهابهم أو لاحتلال أرضهم، وتحويلهم ــ بعد ذلك ــ إلى حلفاء طائعين أو مهزومين خاضعين للضريبة والسخرة. لقد نفذ الرومان الحملة في عام 24 ق.م.

والتـي لـم يكتـب لها النجاح ففشلت في تحقيق غايتها وعاد الرومان من جنوب الجزيرة العربية يجرون أذيال العار والهزيمة.[21]

- **قيام دولـة بنـي ذي ريدان (حمير):** زادت في هذا القرن حركة التجارة البحرية، التي أكسبت الموانئ اليمنية ازدهارا ملحوظا، ومن بين تلك الموانئ : ميناء موزع، وعـدن، شـمال وجنوب غرب باب المندب، وسرعان ما برز الريدانيون (بنو ذو ريـدان) فـي تلـك الـبقعة، الأذواء الحميريون، أصحاب القصر ريدان، بمدينة ظفـار(غـرب مدينة يريم)، لقد توافرت للكيان السياسي الجديد مقومات الازدهار والـنمو، مستفيدة من موقعها الإستراتيجي المهم والذي يتحكم في المنافذ البحرية، كما نجدها قد قامت فوق مرتفعات ذات تربة خصبة تعيش على الأمطار الموسمية.

كانـت قـبائل حمير في الأساس جزءا لا يتجزأ من قبائل دولة قتبان بل كانوا أذواء يدورون في فلك الدولة القتبانية، وأصبحت لهم شعوب عديدة تتبعهم (اشعب حمـير) كمـا جاء في النقوش، وكان اتحاد قبائل ذي ريدان أو حمير يتكون من: ردمـان، وخـولان، ومضـحي، ويحصب، والمعافر ... فقد رافق ظهورهم بداية التقويم الحميري110 ق. م. ومنذ تأسيسها كدولة كتب الحميريون نقوشهم باللغة السـبئية، ولـتحديد النطاق الجغرافي لدولة حمير فهي تقع إلى الغرب من قتبان، وتشـمل مـرتفعات يـافع (دهس) وإقليم (ذمار) و(يريم) وامتدت دولة حمير في الـثلاثة القـرون الأولـى للميلاد إلى منطقة (ضاف) الواقعة شمال (قاع جهران) جنوب نقيل يسلح. إلا أن طموح حمير في أن ترث سبأ ربما كان الدافع الاساسي لأن يـتخذ ملوكها اللقب المزدوج (ملوك سبأ وذي ريدان) فقد حققوا بالفعل تحالفا سياسـيا مـع سبأ في القرن الأول الميلادي، ووحدة شاملة منذ نهاية القرن الثالث الميلادي(22).

ج – الأوضاع السياسية للكيانات التقليدية: لم يبق على الساحة في هذه المرحلة سـوى ثلاثة كيانات هي سبأ، وحضرموت، وحمير. في سبأ نلمس تغيرا واضحا علـى البنـية الاجتماعية، وعلى السلطة السياسية للدولة المبئية، بسبب تعرضها لهجمـات القـبائل البدوية القادمة من الصحراء الشمالية، خاصة بعد أن فقدت تلك القبائل مواردها الاقتصادية التي كانت تجنيها من الطريق البري (طريق القوافل)، ممـا دفع بالدولة المبئية إلى البحث عن مكان أكثر أمانا ؛ فاتجهت قبائلها صوب المـرتفعات الغربية، فأستوطنت قبائل مأرب (سبأ وفيشان) في الهضبة الغربية، صنعاء وشعوب، وشبام كوكبان، أما قبائل الهضبة نفسها فنجدهم يدخلون طواعية

في إطار الدولة السبئية، وبشكل تدريجي مكونين معها وحدة سياسية، ودينية قوية، لـم تـنقطع أواصـرها بالرغم من كل المتغيرات السياسية الخطيرة التي شهدتها الساحة اليمنية.

لم يأت القرن الأول الميلادي إلا ونجد أغلب قبائل الهضبة الغربية قد اندمجت فـي إطار الدولة السبئية، واصبحت تتقرب للإله القومي السبئي (المقه ثهوان بعل أولم) في معبده الذي يبعد حوالي 7 كم جنوب شرق القرية القديمة مأرب.

وكنتـيجة طبيعية للأوضاع السياسية ولتشعب الحروب، تغيرت البنية الداخلية للقبائل فتحولت إلى قبائل إقليمية، فالأقيال (النبلاء) في المرتفعات كانوا بمثابة حكام محليين يتمتعون بالاستقلال الداخلي ضمن صيغة اتحادية يجمعها الولاء لملوك سبأ[23] بـل واصبحوا يناصبون السلطة، فكان كل قيل ينشد أن يكون ملكاً على سبأ. و من أبرز إتحادات الهضبة السبئية: اتحاد قبائل سمعي الذي يضم في الأساس ثلاث قبائل هي : همدان ومركزها (ناعط)، وحملان ومركزها (حاز)، ويرسم ومركزها (هجـر) أو (شبام سخيم)، ويشكل كل شعب من تلك الشعوب (ثلثا) من سمعي[24] تقـع أراضـي ذلك الاتحاد بين (خولان صرواح) من الشرق، وبكيل القديمة من الغـرب، قبائل بكيل شمال صنعاء، بتكويناتها الثلاث (ذو سخيم، ذو عمران، وذو ريـدة)، وهـناك قبائل أخرى ارتبطت بالدولة السبئية منها قبيلة (مرثد)، في شبام أقيان، وقبيلة بني جرة ومركزها (كنن)،قبائل ذمري (سمهر، قشم)، و قبيلة غيمان فـي الجنوب، (مازالت عدد من تلك القبائل القديمة موجودة حتى الآن تقطن في الأقليم نفسه الذي كانت تسكنه قديماً نذكر منها: بكيل، وحاشد، وخولان، وسنحان.

فـي تلك المرحلة تبرز صنعاء عاصمة جديدة للدولة السبئية إلى جانب مأرب، وقـد تمثلـت وحدة السلطة في وحدة القصرين سلحين وغمدان، حينها كان قصر سـلحين رمز السلطة في مأرب، وغمدان رمزها في صنعاء ولتأكيد وحدة السلطة تذكر النقوش القصرين كقصر واحد، (بصيغة المفرد) سلحين وغمدان، للتأكيد على أن غمدان ليس سوى امتداد لسلحين في صنعاء.(نامي، نقوش عربية جنوبية 12).

أمـا حضرموت فقد بلغت ذروة ازدهارها، وقد كانت مظاهر ذلك الازدهار تتمثل في ما يلي:

1- اقتسـامها الـنفوذ السياسـي – في المنطقة – مع أعظم مملكتين من الممالك اليمنية، هما (سبأ) الدولة الكبرى، و(حمير) الدولة الفتية.

2- في الوقت الذي ظل فيه السبئيون في صراع مرير مع للدولة الجديدة (حمير)؛ فإن حضرموت – في المقابل – استمرت تتحكم في إنتاج الطيوب وتصديرها.

3- احتكارها عملية "الترانزيت" وقيامها بوظيفتها؛ مستفيدة من موانئها الساحلية.

4- أمــتد نفوذها شرقاً إلى (ظفار) شرق صلالة أغنى الأقاليم المنتجة للبان والمر وأنشــا ملــوك حضــرموت ميــناء سمهرم (خورروري حالياً) كما احكموا ســيطرتهم علــى جزيرة سقطرى الواقعة على مشارف الساحل الأفريقي التي يرتادها التجار من كل حدب وصوب.

5- امــتداد نفوذها السياسي إلى وادي بيحان في أعماق دولة قتبان، وذلك بعد أن دب الضعف في الأخيرة، وأخذت تتجاذبها مطامع الأقوياء من الدول اليمنية.

د – دخول الأحباش طرفاً في النزاع القائم في اليمن:

مــنذ القرن الأول للميلاد برزت دولة (أكسوم) كياناً سياسياً قوياً، ينافس دولة حمــير الناشئة في الجهة الأخرى من الشاطئ المقابل، وكانت تلك المنافسة تهدف إلــى الســيطرة علــى البحر الأحمر، الذي كان آنذاك من أكثر الشواطئ انتعاشاً، وبحكــم تلك المنافسة نجد حكام (أكسوم) يدخلون مع ملوك اليمن في صراع تارة وتحــالف تارة أخرى، حسب ما تقتضيه الظروف، إلا أنهم يتطلعون بعين الطامع صوب اليمن، ويترقبون أي خلل سياسي ليتسللوا على أثره، إلى المناطق اليمنية.

هـــ – الأعراب:

لعــب الأعــراب دوراً مؤثراً في الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة منذ القــرن الأول المــيلادي، فقــد بدأ ظهورهم على الساحة في بداية الأمر كعناصر مشاكســة تغير على أطراف الأودية الزراعية، وبالذات المراكز الحضارية حول رملــة السبعتين، قادمة من أطراف الربع الخالي؛ أو نجدها تتسلل من جبال السراة وتهامة. في تلك الأثناء نجد دولة سبأ تعمل كل ما بوسعها لصد الهجمات البدوية، والحــيلولة دون توغــل الأعراب في أراضيها،[25] فهل عجل تردي الأوضاع في سبأ والغارات المتكررة للأعراب بقيام وحدة بين الكيانين السبئي والريداني؟

2- اتحاد سبأ وذي ريدان:

طيلة القرن الأول الميلادي نجد سبأ وذي ريدان (حمير) متحدتين تحت قيادة واحدة، أي أن اللقب الملكي سبأ وذي ريدان يعني أن هناك اتحاداً أو تحالفاً تم بين الكيانيين بشكل سلمي نتج عنه وجود قيادة سياسية واحدة للكيانين المتحدين ــ سبأ وذي ريــدان أو (حمــير) ــ وقد أشار كتاب الطواف إلى أن ظفار عاصمة الملك

(كـرب إل) الملك الشرعي للقبيلتين، حمير. وجيرانهم سبأ، أما أخر الملوك الذين حكموا ذلك الاتحاد فهو: عمدان بين يهقبض الذي حكم في نهاية القرن الأول،[26] وقد رمزت نقوش تلك المرحلة إلى ذلك الاتحاد بالمونجرام الشهير الذي يشبه نخلة زخرفية لها ساق وغصنان وما يشبه الثمر(-) زينت به العملات المضروبة باسم القصـر ريـدان، كمـا زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقيالهم مثل بيت ضبعان (الاريانـي 40) فهذا الشكل يرمز إلى سبأ وحمير معاً، وما يؤكد ذلك الإضافات التي لحقت به بعد توسع الاتحاد وبعد أن دخلت إلى اللقب الملكي إضافات جديدة.

ملوك سبأ وذي ريدان من القرن الأول حتى القرن الثالث الميلادي:

بداية الميلاد — سمه علي ذريح

50 م — نمر علي وتر يهنعم

(نمر علي بين)

85-90 م — كرب إل وتر يهنعم

هلك أمر

نمر علي ذريح

كرب إل بين

100م — نشأ كرب يهأمن يهقم

عمدان بين يهقبض

(ود إل)

ملوك ذو ريدان / حمير

<u>ملوك سبأ</u>

ياسر ياسريهصدق

إلي شرح يحضب الأول

لعزم — شمر

وتر يهنعم

ربشمس نمران ؟

147-146 — سعد شمس أسرع

مرثد يهحمد

نمر علي يهبر

ثاران يعوب يهنعم

وهب إل يحوز *

لنمار يهامن *
180-190م

كرب إل وتر يهنعم الثاني*

يريم أيمن *
علهان نهفان .*

218-223م
شعراوتر حي عثتر يضع

لحيعثت يرخم

لعزيز يهنيف يهصدق فارع ينهب

شمر يهحمد

إلي شرح يحضب الثاني

يازل بين
253م كرب إل ايفع
272-273م نشاكرب
يهامن يهرحب

ياسر يهنعم
شمريهرعش

- (*) ملوك حملوا لقب ملك سبأ فقط.

3: انفصال سبأ عن ذي ريدان والحرب الطاحنة (القرنين الثاني والثالث الميلاديين):

تتسم هذه المرحلة التاريخية بالصراعات السياسية الدامية، التي شهدتها المنطقة، فقد دب الاضطراب والضعف في أوصال الدولة السبئية، فنجد سبأ تترك مشروع الوحدة مع حمير، فيتلقب ملوكها بملوك سبأ فقط، وكنتيجة لتردي الأوضاع الداخلية يحتدم الصراع بين الأقيال فتسقط الأسرة التقليدية الحاكمة في مأرب، ويتربع على عرش الدولة السبئية أقيال تطلع بعض منهم إلى تحقيق الطموح التوحيدي بين الكيانيين، فشهدت المنطقة حروبا متشعبة شملت كل الكيانات السياسية ودخل الأحباش طرفا فيها كما أشرنا آنفا، وتمكنوا بعدها من احتلال بعض المناطق على الشريط الساحلي الغربي. في هذه الأثناء، كان لمعبد الإله المقه بمأرب (معبد أولم) شأن عظيم، أما ملوك حمير فلم يتخلوا عن اللقب المزدوج.

دخلت سبأ مع حضرموت في تحالف سياسي توج بالمصاهرة (Ja 923)، في حين أن وامتد نفوذ حضرموت إلى ردمان (قبيلة هامة تضم أراضيها كل من: قيفة، ورداع، والسوادية اليوم) بعد أن آلت إليها كل الأراضي القتبانية، مما سمح لها أن تكون على خط التماس مع كل من سبأ وحمير .إلا أن تلك المصاهرة تحولت إلى عداوة) كان ذلك في عام (230م تقريبا) ودخل ملك سبأ آنذاك شعر أوتر مع حضرموت في حرب مدمرة (إرياني ، 13)، [27]لقد جاءت حرب شعر أوتر لحضرموت بعد أن عزز موقفه مع الحميريين وأصبح لديه خميسان (الجيشين) السبئي، والحميري (CIH 334/3, Ja 633) "وخمسيهو / سبأ / وحميرم".

وقد وصفت النقوش التحالف بين الكيانين بأنه (جزم) أي عهد موثق بالإيمان (Ja 5763)[28]. فالفصل هنا بين الخميسين في إطار التحالف يؤكد الخصوصية المحلية واللامركزية العسكرية.

4-التحالفات السياسية وطموح الوحدة يظهر في الأفق من جديد:

ساءت العلاقة بين سبأ وحمير من جديد ودخلت المنطقة برمتها في حروب متشعبة، ففي ظل تلك الأوضاع السياسية المتردية برزت عدة أشكال من التحالفات :

1- التحالف مع الأعراب: مر بنا أن الأعراب، منذ مطلع الميلاد، كانوا يشكلون خطرا داهما على الكيانات السياسية بشكل عام، فلم تجد تلك الكيانات سوى انتهاج سياسة تحالف بدلاً من سياسة العداء التي غدت غير مجدية، فقد جاء ذلك التحالف: لدرء خطر الأعراب الذين كانوا يشكلون قوة تهدد أمن واستقرار الدويلات بين

الفيـــنة والأخـــرى، وللاســـتفادة من تلك القوة، لتكون قوة مساندة ورديفة للقوات النظامية للدولة، ولتفادي تحرشات الأعراب المتكررة في الجوف ومأرب والتي تتم بدافـــع مـــن الأحباش، (Ja 560/10-11)، فمنذ القرن الثاني الميلادي بدأت دولة حضـــرموت باســـتنهاج سياسة جديدة تجاه الأعراب، تلك السياسة التي تقوم على الدمـــج، عـــندها نجـــد الأعـــراب يـــبرزون كمقاتلين في صفوف الجيش النظامي الحضـــرمي، فقـــد ذكـــر أحـــد النقوش أن للجيش الحضرمي كان يضم قوة بدوية يتزعمها قائد يوصف بـــ (س و د/ ع ر ب ن) سيد الأعراب. بعد ذلك انتهجت سبأ السياســـة نفســـها، سياســـة الدمـــج. ففي نهاية القرن الثالث الميلادي نجد الجيش النظامـــي السبئي يعزز بقوات من الأعراب، وقد كان لتلك السياسة فضل كبير في تشـــكيل ممـــالك في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، كما نجدهم لاحقاً يقومون بدور مهم في ترسيخ وتثبيت دعائم الدولة المركزية في اليمن[29].

2- طموح الوحدة: ساءت العلاقة بين سبأ وحمير وتحدثنا النقوش عن تحالف بين حمـــير والأحباش (Ja 577) لمواجهة سبأ، إلا أن هذا العداء بين الكيانيين السبئي والحمـــيري لـــم يستمر طويلاً عندما عبر الطرفان عن رغبتهما بوجود شكل من أشـــكال التوحد من جديد بين سبأ وذي ريدان (حمير) في عهد (إلي شرح يحضب وأخـــيه يـــأزل بيـــن) ملكـــي سبأ وذي ريدان (240 – 250م تقريباً)، كانا حينها معاصرين للملك الحميري (شمر يهحمد) ملك سبأ وذي ريدان أو (شمر ذو ريدان) كمـــا كانت تطلق عليه النقوش السبئية، (CIH 314, 954, Ja 576, 577) ونقش (إريانـــي 69)، لقد كشفت لنا النقوش الخاصة بهذه المرحلة، عن الخصومة الكبيرة التـــي كانـــت ســـائدة بينهما، فكل منهما يطمح في التفرد بالسلطة، وتحقيق الوحدة السياســـية، ويـــبدو أنهمـــا كانا متكافئين في القوة والمكانة، بدليل أن أحداً منهما لم يتمكـــن من تحقيق النصر على الآخر، وتكشف لنا النقوش عن رغبة الطرفين في التوقيع على هدنة، يستطيعون خلالها التقاط أنفاسهما، وإعادة ترتيب صفوفهما، إلا أن الهدنـــة لـــم تدم طويلاً، وبعد معارك جديدة، يتفق الطرفان على إيجاد نوع من الـــتوحد عبرت عنه النقوش بأنه (تآخ) مؤاخاة بينهما و(حشك) أي اتحاد حميم بين القصرين السبئي (سلحين) والحميري (ريدان) رمز السلطتين في كيان واحد مربوط بـــرباط لا انفصال فيه (إرياني 69)، ويبدو أن تلك الرغبة في التوحد قد تحققت ونتج عنها:

- توحيد القوتين العسكريتين السبئية والحميرية.

- وقوف القوة الموحدة في وجه الأعداء الخارجيين ؛ وبالذات الأحباش وعملائهم.

لما على الواقع العملي فقد قاما الملكان بتشكيل قوة قوامها (سبئي – حميري)، وتزعماها ضد بقايا الأحباش في تهامة، وأعوانهم المحليين من قبائل (سهرة)، وغيرهم من الموالين للأحباش في سهول المناطق الشمالية من تهامة[30].

ثالثاً: عصر الوحدة الشاملة ومراحل تطورها (القرن الرابع – الخامس الميلادي):

1- الوحدة السياسية وتطور اللقب الملكي:

تمكن ملوك حمير من تحقيق الوحدة السياسية بين الكيانيين السبئي والحميري بتراضي الطرفين (ارياني 14) و(Ja 646-648) ذلك بوصول الملكين ياسر يهنعم وابنه شمريهرعش إلى سدة الحكم في مأرب العاصمة السبئية، وبذلك النصر تحقق الحلم التاريخي لملوك اليمن وأصبح لقب ملك سبأ وذي ريدان لقبا حقيقيا.

بعد عشرين عاما تقريبا من وحدة سبأ وذي ريدان، نجد الجزء الجنوبي والشرقي لليمن القديم يتوحد تحت راية الملك شمريهرعش بضم حضرموت ويمنت، والمقصود بيمت المناطق الجنوبية لحمير الممتدة بين عدن وحضرموت، وليس الشريط الساحلي لحضرموت كما ذهب بعض العلماء[31].

بعد ذلك الانتصار نجد شمريهرعش يلقب نفسه بـ (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) تم ذلك في شهر مارس من عام 300م (يمن، 11/13– 13).

في القرن الخامس الميلادي تمكن الملك الحميري (أبيكرب أسعد) وابنه (حسان يهأمن) من استمرار سياسة التوحيد مع قبائل وسط الجزيرة ومنها قبائل معد (Ry 506) بذلك التوسع أصبح اللقب الملكي (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وينت وأعرابهم في الطود والتهائم) كان ذلك في عام (454م).

في مطلع القرن السادس الميلادي نجد اللقب الملكي يأخذ طابعاً أكثر شمولية، فالملك الحميري يوسف أسار أثار(ذي نواس) في المصادر الإسلامية، الذي اعتنق الديانة اليهودية يلقب نفسه بلقب (ملك كل الشعوب). لقد انتهج يوسف سياسة مغايرة لسلفه الذي تولى الحكم كما جاء في بعض المصادر بمساندة الأحباش المسيحين، وأخذ يؤلب القبائل ويجمع شملها، استعداداً استعداداً لتحرير المناطق اليمنية من النفوذ الحبشي والمصالح البيزنطية.

أ- الوحدة الدينية:

أول عمل قام به الملكان الحميريان (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) عند وصولهما إلى مأرب هو إظهار الولاء للإله القومي لسبأ إله المقه[32]، وذلك المسلك السياسي يعني الاعتراف بالإله القومي لسبأ إله المقه لصبح اصبح لاحقاً الإله القومي للدولة الجديدة ورمزاً لتركيز السلطة السياسية وسبباً رئيساً في ترسيخ دعائمها،(إرياني 14، وشرف الدين 35) .

ظل معبد المقه بمأرب يرتاد من قبل القبائل السبئية والحميرية (Ja 661) وبعض القبائل العربية من وسط الجزيرة (إرياني 16) على حد سواء حتى القرن الرابع الميلادي، زمايوكد ذلك آخر نقش نذري عثر عليه في معبد يعود الى هذا القرن ، وكان على سدة الحكم انذاك الملك ثأران يهنعم وابنه ملكيكرب يهنعم (Ja 669-671)، والظريف ان ابناءه ملكيكرب: أبيكرب أسعد مو وذرأ لمرأيمن هما اول من سطر أول نقش توحيدي (يهودي) يعود تاريخه إلى شهر يناير من علم 384م هو نقش (بيت الأشول 2) بعد التوحد السبئي الحميري بحوالي مائة علم .

لقد كان لتوسع المد الحميري وظهور الديانات التوحيدية في المنطقة سبباً مباشراً في ضعف مأرب ومركزها الديني (معبد أولم)، ففي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي اختفت عبادة الإله المقه، بعد أن توقف الناس عن التقرب إلى الآلهة الوثنية بشكل عام. وظهر في النقوش عبادة لإله يدعى رب السماء، ثم رب السماء والأرض، وأصبحت الديانة التوحيدية هي السائدة، ففي هذه الفترة وصلت بعثة مسيحية تبشيرية إلى جزيرة سقطرى، بعدها انتشرت الديانة المسيحية في مناطق متفرقة من اليمن وبنيت كنيسة في عدن، وأخرى في العاصمة الحميرية ظفار، إلا أن الديانة اليهودية غدت الديانة الرسمية للدولة المركزية الحميرية بعد ان اعتنقها ملوك حمير منذ ذلك القرن وحتى مطلع القرن السادس الميلادي، وبدخول الأحباش اليمن عادت المسيحية من جديد وفرضت كديانة رسمية للدولة.

ب- وحدة التقويم:

منذ أن توحدت القوتان السياسيتان السبئية والحميرية اختفى التقويم المحلي للكيانات السياسية المختلفة الذي كان قائماً على نسق التاريخ بأسماء الأشخاص وألقابهم، ليحل محله التاريخ والتقويم الحميري الذي يبدأ من 115 ق. م، هو التقويم الذي ساد منذ مطلع القرن الرابع للميلاد[33].

ج- وحدة الكتابة:

الوحدة السياسية لا زمتها وحدة اللغة، فمنذ مطلع القرن الرابع للميلاد أصبحت كل المنطقة الخاضعة للنفوذ الحميري تكتب باللهجة السبئية، فجميع النقوش التي كتبت في تلك المرحلة كتبت باللهجة السبئية.

د- توحيد الأعراب والاستعانة بهم كقوة مرادفة للجيش النظامي للدولة الموحدة:

مثل الأعراب قوة لا يستهان بها في صفوف الجيوش النظامية للدولة الحميرية وقد انتهج ملوك حمير سياسة مماثلة لتلك التي انتهجها ملوك سبأ في القرون الأولى للميلاد تجاه القبائل العربية وسط الجزيرة حيث كان لهذه السياسة نتائج إيجابية عززت الوجود الحميري وسط وشمال الجزيرة، وكان لهم فضل كبير في توسيع نفوذ الدولة المركزية، وقد عين الحميريون على تلك القوات قائداً جدنياً (من قبيلة ذي جدن) اسمه (سعد تألب يتلف الجدني)، لقب بكبير الأعراب (كبير أعراب كندة، ومذحج، وحرمم، وباهل، وزيد إل، وأعراب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) كما جاء في نقش إرياني (32) فإذا كانت بعض القبائل الوارد اسمها في النقوش لم يبق لها أثر اليوم ، فالمهم أن قبيلتي (كندة) و(مذحج) كانتا في مقدمة القبائل التي انتظمت في صفوف الجيش الحميري، كما أن هذه القبائل جميعها شاركت متحدة في معارك عسكرية - لإخضاع قبائل وسط الجزيرة العربية، خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وتحقق لها النصر (Ja 665/1-4)، ونجد بعض النقوش مثل: (Ry 509/7) تقدم لنا - كشفا - بالجماعات التي شاركت إلى جانب جيش الأعراب في العمليات العسكرية في وسط الجزيرة (... ومع قبائلهم حضرموت، وسبأ، وأبناء مارب) وفي النقش (Ry 510/6) يتحدث الكاتب عن مشاركة (قبائل سبأ، وحمير، ورحبتن (قبائل الرحبة) وحضرموت، ويمنت). إن تلك الأعمال الجليلة التي قدمها جيش الأعراب لملوك اليمن، سمحت لهم بالتغلغل في أوساط اليمنيين، وخلق نوع من التعايش، الذي تنامى مع مرور الزمن؛ فهناك مؤشرات نقشية تؤكد ذلك التعايش والاندماج.

5 - رمز الوحدة:

تتفق مع الرأي القائل بأن اللقب الملكي (سبأ وذي ريدان) قد تم على أساس حلف أو اتحاد حيث اتخذ رمزاً خلدته لنا العملات والنقوش رمزاً يشبه نخلة زخرفية لها ساق وغصنان وما يشبه الثمر (᧐) زينت به العملات المضروبة في ريدان، كما زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقيالهم، مثل نقش بيت ضبعان (إرياني

40)، الــذي يرمــز إلــى سبأ وحمير معا ويشير إلى القصرين السبئي (سلحين)، والحميري (ريدان).

لقــد كانــت تلك الوحدة السياسية التي قامت بين سبأ وحمير في ظل بني ذي ريــدان، قاعدة الانطلاق نحو إضافات جديدة، فقد تمكن شمريهرعش من الوصول إلــى القصــر الملكــي (شقير) بشبوة عاصمة حضرموت في مطلع القرن الرابع الميلادي (Ja 662)، ولقب نفسه بلقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)، وقــد عثر على خاتم ملوك حمير الذي ختمت به نقوشهم بعد ضم حضرموت، فهو يتكون من ثلاثة مونجرامات متعاقبة:

1- جمع حروف كلمة بحلف وتعني: المعاهدة على التعاضد والتآزر والاتفاق.
2- رمز دولة سبأ وذي ريدان.
3- كلمة (شقر) والمقصود القصر الملكي بشبوة.

بذلك يمكن قراءة الخاتم كما يلي: "بحلف سبأ وحمير وحضرموت" أي بالحلف الذي آخى بين تلك القبائل المرموز إليها في المونجرام فهذا يعد تعبيراً – دون أدنى شك – عن الصيغة الاتحادية للدولة الحميرية[34].

6-الأعمال العمرانية وتجسيد الوحدة:

عرفت الحضارة اليمنية القديمة مظاهر التكاتف والتعاون الجماعي، على أسس طوعــية متكافئة، ومعززة بروح الواجب والمسؤولية المشتركة التي تفرضها قوى الطبــيعة القاسية، وضرورات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ومن أجل ذلك سخر اليمنــيون الأقدمون – على اختلاف قبائلهم، وفئاتهم – طاقاتهم الذهنية والجسدية للتغلــب علــى المعضــلات الطبيعية القاسية فنجدهم يهبون لبناء وترميم المنشآت الزراعية المختلفة وأبرزها السدود، التي ينتفع بها بشكل جماعي، وأبرز مثال على ذلــك ترمــيم ســد مأرب العظيم، يذكر الملك الحميري (شرحبيل يعفر) في نقشه المحفــور على سد مأرب (CIH 540) السطر(64-72) القبائل التي اشتركت في ترمــيم السد، وهي قبائل حمير، وحضرموت إلى جانب القبائل السبئية دون شك، كمــا شمل النقش على الرموز الثلاثة – السابق ذكرها – التي تشير إلى التحالف والاتحــاد بين سبأ وذي ريدان وحضرموت، حذا أبرهة الحبشي الذي حكم اليمن، حــذو الملــك (شرحبيل يعفر) فقام بترميم السد عندما تعرض للانهيار من جديد، ولورد القــبائل التــي شــاركت فــي الترمــيم، لقب نفسه بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهائم، كما أورد الرموز الثلاثة كرمز

للوحــدة بين الكيانات السياسية في شرق وغرب اليمن. مثل تلك الأعمال تجسد ــ دون شــك – الوحــدة الحقيقية التي رسخها ملوك حمير منذ أواخر القرن الثالث الميلادي.

رابعا: الوحدة والتحديات الدولية:

تلك الوحدة وذلك الاستقرار لم يرق للكثير من دول العالم فالتحالفات الحميرية مــع قـبائل وســط وشمال الجزيرة العربية أصبحت تشكل خطراً على المصالح البيزنطــية فــي المنطقة، وقبل الولوج في حيثيات الأحداث ينبغي أن نلقي نظرة شــاملة علــى الأوضاع الدولية وتأثيرها على اليمن، فمنذ الربع الأول من القرن الثالــث الميلادي أخلى (البرث)مكانهم في إيران للأسرة الساسانية الفارسية حوالي 225م؛ وفــي إمبرطورية البحر المتوسط أصبحت القسطنطينية العاصمة بدلاً من روما (330م).[35] تلك التطورات السياسية عملت ــ دون شك ــ على تفاقم حدة الصــراع بيــن الامبراطوريتين العظيمتين (فارس، وبيزنطة)، فدخلتا في صراع حربي مرير من أجل السيطرة على الطرق التجارية الاستراتيجية:

1- الطريق القادمة من المحيط الهندي وسواحله عبر الخليج إلى الفرات فبادية الشام.
2- طريق البحر الأحمر المتجه صوب مصر وجنوب فلسطين.
3- طريق القوافل البري في غرب شبه الجزيرة العربية.

لقــد كانــت بيزنطة تعمل كل ما بوسعها لتعزيز موقفها بين النهرين، ولتأمين تجارتهــا، إلا أن تلــك الطريق يتعذر عليها كلما اشتد الصراع بينها وبين فارس، وكــان منطقــياً لبــيزنطة أن تجد بديلاً آمناً، وبخاصة طريق البحر الأحمر، أما الفرس بالمقابل فقد كانوا يتطلعون برغبة عارمة للسيطرة على سوريا ومصر أي السيطرة على الطريق البري القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية، هذا بالإضافة إلــى احتكارهم لطريق الحرير بين الصين والفرات،[36] في جنوب شبه الجزيرة العربية قامت دولة مركزية موحدة منذ نهاية القرن الثالث الميلادي، كان لها تأثير مباشــر علــى القبائل العربية في وسط وشمال شبه الجزيرة، كما كان لها اقتصاد مســتقل، في الجهة الأخرى من البحر الأحمر كانت دولة أكسوم تزداد قوة ونفوذاً بدعم علني من بيزنطة. في خضم تلك الأجواء الدولية، نجد الظروف مهيأة لامتداد ذلك الصراع إلى جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) الذي اتخذ في جوهره بعــداً سياســياً واقتصــادياً، وفي شكله بعداً دينياً، فاليمن يتحكم بطريقين من تلك الطرق التي يتمحور حولها الصراع.

لقد استخدمت بيزنطة العقيدة المسيحية لتحقيق أغراضها التجارية، فيما كانت اليهودية معقلاً للنفوذ السياسي الفارسي هناك، "فقد حاولت كل من الديانتين المسيحية واليهودية أن تتغلغلا في الجزيرة العربية وكانتا متصلتين بالصراع السياسي، إذ بدت كل منهما حليفة لإحدى الدولتين الطامعتين " [37] ففيما كانت بيزنطة منذ مطلع القرن السادس تحالف الأحباش وتساند نفوذها ونفوذ المسيحيين في اليمن، كان الفرس يفضلون التعامل مع اليهود والمذاهب المسيحية المناهضة للروم[38].

وجد الأحباش من بيزنطة الضوء الأخضر للتحرشات بين وقت وآخر حتى وصلوا في إحدى غزواتهم إلى ظفار العاصمة الحميرية ذاتها، وليس هناك من سبيل لملوك حمير سوى انتهاج سياسة معادية للأحباش وحلفائهم البيزنطيين، وضرب مصالحهم في المنطقة، وأصبحت منطقة جنوب الجزيرة العربية تحت المجهر، بل بمثابة القنبلة الموقوتة،، فتصويب الأنظار صوب اليمن شئ حتمي، ويبقى السؤال: أي من الإمبراطوريتين سباقة بالاستحواذ على تلك المنطقة؟

ولتسوية ذلك التقسيم عقد مؤتمر بين الإمبراطوريتين في أرض عربية، دولة المناذرة في منطقة تدعى الرملة (جنوب شرق الحيرة)، كان ذلك في شهر فبراير من عام (524م) . وكانت أهداف المؤتمر تتمثل في:

1- عقد معاهدة سلام بين الإمبراطوريتين على أن تكف بيزنطة عن أطماعها فيما بين النهرين، وترك التجارة البرية والبحرية بين الصين والغرب بيد الفرس.

2- رفع الفرس أيديهم عن جنوب الجزيرة العربية، لتدخل ضمن النفوذ البيزنطي، وغض الطرف عن الأسلوب الذي يمكن أن تنتهجه بيزنطة لتأديب الملك الحميري اليهودي العقيدة الذي أصبح يشكل خطراً على مصالحها في المنطقة.

3- إطلاق سراح أسيرين رومانيين سبق أن احتجزهم الفرس بعد غارة شنوها على أراضي الروم

أسفرت المهمة عن نجاح المفاوضات في وضع معاهدة سلام في فبراير 524 م. وفي إطلاق سراح الأسيرين الرومانيين المرموقين لقاء فدية كبيرة، مع تعهد المنذر بأن يعامل المسيحيين اليعاقبة وغيرهم معاملة حسنة، لقد كانت المسافة بين بيزنطة واليمن شاسعة، وهذا يعيق تحقيق هدفها بالسيطرة على جنوب الجزيرة العربية، خاصة وأن لروما تجربة فاشلة في ذلك المضمار، وليس أمامها من سبيل سوى البحث عن حليف يقوم مقامها بتلك المهمة، فوجدت في العقيدة الدينية

مبـــتغاها، عــندما عــززت تحالفهـــا مع الأحباش، الدولة المجاورة ذات الأطماع التاريخـــية فـــي اليمـــن، متسترين بحجة الدفاع عن أخوتهم في العقيدة. لقد حققت الدبلوماســية البيزنطية هدفها المرجو من مؤتمر الرملة، خاصة عندما تخلى ملك الفــرس وملك الحيرة عن مساعدة ملك اليمن عندما طلب نجدته، في الوقت الذي كـــان فيه (يوسف) أو (ذي نواس) بأمس الحاجة لمثل ذلك الدعم، بل كان يرى في (فارس) العدو التاريخي لبيزنطة، والسند الدولي لسياسته، لكن بيزنطة تمكنت من عزل الملك اليمني عن القوى الوحيدة المؤثرة والتي كانت بالمكان أن تسانده.

رتبـــت بيزنطة للهجوم ونفذه.الأحباش فليس هناك أي تكافئ بين القوتين، دخل الأحباش اليمن في 525م، وأصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة.

ولم يأت القرن السادس الميلادي إلا وشهد العالم متغيرات جوهرية ، فقد تمكن الأحباش عام 525 م من السيطرة على اليمن بدعم عسكري من بيزنطة، وبسقوط الدولـــة المركـــزية اليمنـــية ينهار النظام الحضاري ، ويعيش اليمن في ظل الحكم الحبشي حالة من التمزق والتشتت لم يشهد له مثيل من ذي قبل .

وفي الختام يمكن ان نجمل القول بان الحكم في اليمن القديم عرف بالنظام النيابي ، وهو اسلوب املته طبيعة التركيبة المتنوعة للقبائل في الإقليم الواحد، الذي يفرض وجود تمثيل نيابي لكل قبيلة، نستطيع التأكد بأن اللامركزية كانت سمة من سمات الحكم عبر المراحل التاريخية المختلفة.

- النزوع إلى الوحدة والاتحاد كان سمة أساسية أيضا فرضتها ضرورات الطبيعة الجغرافـــية والتضاريسية للبلاد، تلك الطبيعة التي لم تسمح في ظروف ذلك العصر بوجود وحدة مركزية مباشرة، حتى مع وجود قوى ذات وزن كقوة سبأ مثلاً، فنجد مكـــارب ســـبأ أنفســـهم يعطون حق الاستقلالية لشعوبهم كما جاء في نقش النصر للمكرب السبئي (كرب إل) يقول النقش "... عندما نظم (يقصد كرب إل) كل قبيلة وجعـــل لكل منها إلها وحاميا وميثاقا وعهدا " وأصبح بالفعل لكل قبيلة حاكم محلي يلقب بلقب ملك، وإله خاص بها.

- توســـعت الـــتحالفات الداخلية بين القبائل لتشمل اتحادات لأقاليم مختلفة، وإن بعدت جغرافيا، فقد فرضت المصالح الاقتصادية والسياسية مثل تلك التحالفات أو الاتحـــادات، فكلمـــا اهتز المنطقة بالصراعات الداخلية تعود في النهاية إلى الهدوء والاستقرار بناءً على صيغة تحالفية ودية تعقد بها مواثيق وعهود.

– تدرج الصيغة الاتحادية في سبأ كما جاء في النقوش:

سبا وجوم (w^m): سبا والاتحاد.
معشرة سبا.
سبأ والقبائل.
سبا وقبائلها.
القبائل وسبا.
سبأ وذي ريدان.
سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت.
سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهائم.

<u>مصطلحات وردت في عدد من النقوش دخلت في إطار الاتحاد والتحالف</u>

1- أتم: اتفاق/ عهد CIH 131/2, 155/3

2- مؤلخـاة: لخي: تحالف، إخاء: حلف CIH 455/ 2, 308/ 11 (القاموس السبئي 4)

3- جزم: حلف يمينا، قطع عهدا CIH 308/12(المعجم السبئي52)

4- جوم: الاتحاد CIH 967

5- حبل: ميثاق/ حلف Ja 2856/3 (المعجم السبئي، 65)

6- حشك: قربى، تقارب/ تزلوج (المعجم السبئي، 72).

7- حمر: حلف بين جماعات، (المعجم السبئي، 68)

8- كرب: موحد/ مجمع CIH 366

المراجع والهوامش:

1- بيســتون، الفــرد وريكمنز، جاك والغول، محمود ومولر، والتر: المعجم السبئي، بيروت، مكتبة لبنان، (1982)، ص 34.

2- بيســتون، الفــرد: "طبــيعة النظام الملكي في الحضــارة اليمنية القديمة"، تعريب وتلخــيص: ســلطان ناجي، مجلة الحكمة العدد (34) السنة الرابعة، إتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، عدن،(1974)، ص، 21.

3- المرجع نفسه، ص 22.

4- الشــيبة، عبدالله حسن، "الهجر– المدينة في يمن القديم" مجلة دراسات يمنية، العدد (40) (1990)، ص، 24.

5- بيستون وآخرون، المعجم السبئي، ص، 65.

6- - Robin. Ch. - SHEBA dans les iscriptions d Arabie du Sud, dans Suppl ment au dictionnaire de la Bible, Paris, (1996), p. 1180.

7- Ibid, p. 1181

8- Robin. Chr. & Breton. J. Fr. Le sanctuaire pr islamique du abal al- Lawd , dans Acad mie des Inscriptions et belles Lettres-, comptes rendus des s ances de l ann e (1982.), p.598.

9- - H fner. M. " Eine S darabische Handelsinschrift in Forchunger, und Fortschritte x, (1934). P. 339-340.

10- بيستون وآخرون، المعجم السبئي، ص، 78.

11- - Robin. Ch. - SHEBA, p. 1181.

12- بافقــيه، محمــد عبدالقادر، "الرحبة وصنعاء في استراتيجية بناء الدولة السبئية"، دراســات يمنية، العدد (33)، (1988)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (ص، 245).

13- commentary- The Periplus of the Erythaean Sea . (trans and Schoff, Wilfed. H), Longman, Green, New York, (1912), sec, 14.

14- الصليحي، عبد القوي علي: "الكيان السياسي الديني في اليمن القديم، الدولة السبئية"، مجلة دراسات يمنية، العدد (38)، صنعاء، (1989)، ص(222).

15- بافقــيه، محمد عبدالقادر : في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة"، ج 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، (1987م)، ص 59.

16- الجـرو أسـمهان سـعيد: موجز التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم)" مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، (1996)، ص، 109.

17- الصـلوي، ابراهـيم: " أعلام يمنية قديمة مركبة " دراسة عامة في دلالاتها اللغوية والدينية، مجلة دراسات يمنية، العدد (38)(1989)، صنعاء ص، 124.

18- الجرو أسمهان سعيد: "الفكر الديني عند عرب جنوب الجزيرة العربية (الألف الأول قـبل المـيلاد وحتى القرن الرابع الميلادي"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسـانية والاجتماعـية، العدد الأول، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، (1998م)، ص، 240

19- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 25.

20- Robin. Ch. - SHEBA, p. 1105.

21- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 195-201.

22- نفسه، ص، 206-210.

23- بافقيه، المسعيدة، ص، 57.

24- Robin, Ch.-— Les hautes-terres du nord-Y m n avant l Islam , tome 1, Istanbul,(1982). P. 41-45.

25- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 248-251.

26- Robin. Ch. - SHEBA, p. 1135.

27- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 223.

28- بافقيه، المسعيدة، ص، 128.

29- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 249-250.

30- الإرياني، مطهر علي: في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990). ص، 345.

31- بافقيه، المسعيدة، ص، 198.

32- الصليحي، المرجع السابق، ص، 149.

33- Robin. Ch. - SHEBA, p. 1181

34- . بافقيه، المسعيدة، ص، 40.

35- حوراني، جورج فضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة، يعقوب بكر، وتصـدير، يحي الخشاب، مكتبة الانجلو ــ المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص، 90

36- سـحاب، فيكـتور: "إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف" المركز الثقافي العربي، بيروت، (1992). ص، 107.

37- - الـــدوري، عبد العزيز: "مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي"، دار الطليعة، ط 4، بيروت (1982)، ص، 9.

38- سحاب، المرجع السابق، ص، 127.

المصادر والمراجع العربية :

المصادر :

1- القرآن الكريم.

2- التوراة : الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، ترجم عن اللغات الأصلية، جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، بيروت، 1966.

3- الأندلسي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (ت :685 هـ /1286-1287م). "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب"، ج1، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، 1982.

4- ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المغربي : "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، المجلد الأول، الفصل الأول من الباب الثاني من المقدمة، دار الكتاب اللبناني، 1956م.

5- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر(ت :204 هـ/ 821م) "الأصنام"، تحقيق : أحمد زكي، المكتبة العربية، القاهرة، 1965.

6- البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي (ت : 245هـ/ = 809م) "المحبر"، تحقيق : إيلزة ليختن شتيتر، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1361هـ = 1942م.

7- الطبري، محمد بن جرير (ت : 310هـ/ 923م) "تاريخ الأمم والملوك"، الجزء الثاني، القاهرة، (1358هـ).

8- المسعودي، أبو الحسن (ت 346هـ/ 1441م) " مروج الذهب ومعادن الجوهر "، جـ2 ، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1966م.

9- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت : 360هـ / 970م)

- "الاكليل، الجزء الثامن، " في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات"، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة، 1979.

- صفة جزيرة العرب " تحقيق ، محمد بن علي الاكوع الحوالي، الرياض (1394هـ-1974م).

- " الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تحقيق (كريستوف تول) لوبسلا (1968).

المراجع :

1- الارياني، مطهر علي : " في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليمات، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء (1990).

2- الأشعب، خالص : " اليمن ، دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ، بغداد ، 1982.

3- الافغاني ، سعيد :" أسواق العرب في الجاهلية والاسلام "، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1937.

4- أحمد فخري : " رحلة أثرية إلى اليمن " ترجمة : هنري رياض ، يوسف عبد الله، مراجعة : عبدالحليم نور الدين ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية اليمنية ، (مشروع الكتاب2/21) صنعاء ، 1988.

5- أكوبيان أرام وآخرون : "الأبحاث الأثرية في وادي دوعن"، نتائج أعمال البعثة الأثرية اليمنية – السوفيتية (1985)، صادر عن المركز اليمني الأثرية والآثار والمتاحف (سيئون)، (1985) (ص 62 – 65).

6- أورلي برونر : " الري واستخدامات الأرض في منطقة مارب "، ترجمة أحمد نعمان المدحجي، مجلة دراسات يمنية ، العدد(28)، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ،1987، ص139ـ 150.

7- باسلامه، محمد عبد الله : شبام الغراس، مؤسسة دار العفيف الثقافية، صنعاء، 1990

8- بافقيه، محمد عبد القادر:

- مملكة مأذن .. شواهد وفرضيات ..، مجلة دراسات يمنية، العدد (34) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1988، (ص، 20ـ 29).
- لمحات من أعمال الصيانة في اليمن القديم، مجلة دراسات يمنية، العدد (36)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، (ص، 52ـ 67).
- في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة"، ج 1، 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، (1987م).-
- " لغز الرسوم الصخرية من يتوف بوادي جردان " ، مجلة ريدان ، العدد الأول ، لوفان ، 1978م ، القسم العربي ، (ص 65-67).
- " الرحبة وصنعاء في استراتيجية بناء الدولة السبئية"، دراسات يمنية، العدد (33)، (1988)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (ص، 245ـ 258).

- "آثار ونقوش العقلة، دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت"، القاهرة، (1968).
9- بافقيه، محمد عبد القادر & ك. روبان : من نقوش محرم بلقيس، مجلة (ريدان) العدد (1)، لوفان، 1978، (القسم العربي)،(ص، 11-56).
10-بافقـيه، محمـد عبدالقادر ، الفريد بيستون ، كريستيان روبان ، ومحمود الغول : " مخـتارات مـن الـنقوش اليمنية " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1985.
11-مولـر والـتر : " اللـبان " الموسوعة اليمنية ، مجلد 2 ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، 1992، ص 739.
12-بتروفسكي : " اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة ، القرن الرابع حتى القرن العاشر الهجري " ، تعريب : محمد الشعيبي ، دار العودة ، بيروت 1987.
13-بريتون، جان فرانسوا :
- " وادي ضـــراء " تقرير أولي، البعثة الفرنسية 1985، المركز اليمني للآثار والمتاحف، عدن. 1985.
- تقريـــر أولي عن معبد ــ ذو رصف ــ مدينة السوداء، مجلة دراسات يمنية العـــدد (38)، تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1989، (ص 211-219).
- " البيت الشاهق والبيت ذو الفناء في اليمن القديم والمعاصر". مجلة دراسات يمنية، العدد (45) صنعاء (1992م)، (ص 263-280).
14- بريتون، جان فرانسوا وريمي أدوان، وليلى بدر، وجاك سيني :
- "وادي حضـــرموت تنقيـــبات (1978-1979) " المركز اليمني للأبحاث الثقافية ةالآثار والمتاحف (عدن) تقرير بيروت 1980.
15-بلفقــية، عــيدروس علوي : " جغرافية اليمن " دراسة إقليمية ، جـــ 1 (دراسة قيد النشر).
16-بــول جينــيه : "ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية، مجلة دراسات يمنية، العدد (27) صنعاء (1987م). ص (109-138).
17-بيرن، جاكلين : "اكتشاف جزيرة العرب" خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربـــية : قـــدري قلعجي، قدم له، حمد الجاسر، منشورات الفاخرية الرياض، ودار الكتاب العربي بيروت، (د . ت).
- " شبوة " مجلة الثقافة الجديدة ، العدد 615 ، يونيو 1976 ، ص 33 .

18-بيســتون، أ. ف. ل : " طبيعة النظام الملكي في الحضارة اليمنية القديمة "، تعريب وتلخــيص : ســلطان ناجــي، مجلة الحكمة العدد (34) السنة الرابعة، إتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، عدن،(1974)، ص، 21.
19-بيســتون أ . ف . ل ، وريكمــنز جاك ، والغول محمود ، ومولر والتر : المعجم السبئي (بالانجليزية و الفرنسية والعربية) منشورات جامعة صنعاء ، دار نشريات بيترز ، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان ، بيروت 1982.
20-الجــرو، اســمهان سعيد : " تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية " ، مجلة سبأ (تصدر عن قسم التاريخ) كليتي الآداب و التربية ، جامعة عدن ، العدد (4) 1988 ، (ص 94-122).
- " الفكــر الدينــي عند عرب جنوب الجزيرة العربية (الألف الأول قبل المــيلاد وحتى القرن الرابع الميلادي "، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلــوم الانســانية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، (1998م)، (ص، 219ـــ 250).
- موجــز الــتاريخ السياســي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، 1996.
21-جــواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، جــ5 ، دار العلم للملايين بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد (1976).
- المفصل في تاريخ العرب، ج 6، بغداد، (1978).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، بغداد (1971).
22-حمور، عرفان :" أسواق العرب " دار الشورى، بيروت، 1979.
23-الحمصــي، محمــد حســن : " مفردات القرآن : تفسير وبيان، دار الرشيد، دمشق- بيروت).
24-حوراني، جورج فضلو : العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة ، يعقوب بكر، وتصدير، يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو ــ المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.
25-الــدوري، عبد العزيز : " مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي"، دار الطليعة، ط 4، بيروت (1982).
26-رابضة، أحمد صالح : معالم عدن التاريخية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، لبنان ــ بيروت، 1999م.
27-رلوح، عــبد الوهاب : تأثير اليمنيين في الديانة السامية، مجلة دراسات يمنية، العدد (25)، صنعاء، 1986، (ص، 108ـــ 115).

28-رودوكاناكيس نيكولوس : " الحياة العامة للدول العربية الجنوبية " الفصل الثالث من كــتاب " التاريخ العربي القديم " ديتلف نلسون ، وفرتز هومل، ول، رودوكاناكيس، وادولــف جرومان، ترجمة، فؤاد حسنين علي، مراجعة، زكي محمد حسن، القاهرة 1993م.

29-ريكمنز ، جاك : " حضارة قبل الاسلام "، ترجمة ، علي محمد زيد ، مجلة دراسات يمنية، العدد (28) ابريل، مايو، يونيو، 1987م، ص (111-137).

30-زريق، قسطنطين : في معركة الحضارة، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت،1973.

31-ستيفنســون ج . هــ :" تجارة العالم القديم والبحر المتوسط "، ترجمة : محمد بكير خلــيل ، الفصــل الحادي والخمسون من تاريخ العالم، المجلد الثالث، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، د.ت ص (147-172).

32-سحاب، فيكتور : " ايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف " كمبيو نشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م.

33-السـقاف، حمود محمد جعفر: أول نقش يذكر مكرب أوسان، مجلة ريدان العدد (6) (القسم العربي)، لوفن، بلجيكا، 1994،(ص، 111ـ120).

34-سـيني جـاك : "الفن المعماري الديني"، كتاب وادي حضرموت تنقيبـــات(87 – 1979م)، لمجموعــة مــن أعضاء البعثة الفرنسية المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن (1980م)، (ص 20-27).

35-شــرف الدين ، أحمد حسين : " تاريخ اليمن الثقافي "مجـ3، مطبعة السنة المحمدية 1967.

36-شهاب، حسن صالح : " أضواء على تاريخ اليمن البحري "، دار العودة بيــروت، (1981).

37- الشــيبه ، عـبدالله حسن : " اسهام عرب الجنوب في قيام وتطور اكسوم " مجلة الاكلــيل ، وزارة الـثقافة والاعلام ، العدد الرابع السنة السابعة، 1989 ، صنعاء، 1989، ص (31-34).

- "الهجــر – المدينة في اليمن القديم، مدجلة دراسات يمنية، العدد (40) صنعاء، (1990م) (ص 20ـ35).

38-صــدقة، إبراهيم صالح : آلهة سبأ كما ترد في نقوش محرم بلقيس،جامعة اليرموك، (رسالة ماجستير لم تنشر).

39- الصــلوي : إبراهيم :" قصة أصحاب الأخدود "، الجامعة اللبنانية، بيروت (1979) (رسالة ماجستير لم تنشر).

- أعلام يمنية قديمة مركبة، دراسة عامة في دلالاتها اللغوية والدينية، دراسات يمنية، العدد(38)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، ص، 128.
- نقش جديد من نقوش الاعتراف، مجلة التاريخ والآثار، العدد (1) صنعاء، 1993، ص، 63.

40-الصليحي، عبد القوي علي : الكيان السياسي الديني في اليمن القديم، الدولة السبئية، مجلة دراسات يمنية العدد (38)، صنعاء، 1989، (ص، 220ـ222).

41-عبد الحليم نور الدين :" مقدمة في الآثار اليمنية " منشورات جامعة صنعاء، 1985.

42-عبد العزيز صالح : " تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة " مكتبة الانجلو – مصرية القاهرة 1988.

43- علي أسعد: ظاهرة التذكير المجازي في العربية، (بحث قيد النشر).
- ظاهرة التأنيث في العربية (دراسة تطبيقية في بعض مناحي القرآن الكريم) (بحث قيد النشر).

44-العمري، حسين عبدالله والارياني مطهر علي ، ويوسف محمد عبدالله : " في صفة بلاد اليمن عبر العصور ، من القرن السابع قبل الميلاد، حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، دار الفكر المعاصر، بيروت 1995.

45-علي عقيل بن يحى : " نموذج من نظام الري في وادي حضرموت "، مجلة التراث ، العدد الأول، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف ، عدن 1977 ، ص 215 .

46- غريا زنفسكي : " تاريخ حضرموت وحضارتها " ، قضايا دراستها والبحوث الأخيرة ، الفصل السادس من كتاب " الجديد حول الشرق القديم " ، لمجموعة من المستشرقين السوفيت ، ترجمة : جابر أبي جابر ، دار التقدم ، موسكو ، 1988 ، (ص 232-233).

47-فريا ستارك : " البوابات الجنوبية لبلاد العرب "، ترجمة : علي محمد باحشوان مجلة (اليمن) مركز البحوث والدراسات، جامعة عدن، العدد الثاني، 1990 ص (127-164).

48-فخري ، أحمد :" رحلة أثرية الى اليمن ، ترجمة : هنري رياض ، ويوسف محمد عبدالله، مراجعه : عبدالحليم نور الدين ، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية اليمنية، (مشروع الكتاب 2/21) صنعاء 1988م.

49-فيليـبس، ويـندل : كنوز مدينة بلقيس " قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن"، تعريب : عمر الديراوي، ط2، دار الكلمة، صنعاء، (د.ت).
50-ل . ك .شيليك : " طرق الري القديمة في شعب مرلوح "، نتائج أعمال البعثة اليمنية - السوفيتية، 1986، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1986
51-محمد توفيق : " آثار معين في جوف اليمن "، نقوش خربة معين، القاهرة، 1952.
52-نامـي، خلـيل يحيى : نقوش خربة معين على ضوء مجموعة محمد توفيق "مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (1952م).
53-نـاهض عـبد الـرزاق :" المسكوكات وكتابة التاريخ " هيئة كتابة التاريخ ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1988.
54-نعـيم زكـي فهمي : " طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1973).
55-نيلسـن، ديـتلف، وآخـرون : التاريخ العربي القديم، ترجمة : فؤاد حسنين علي، القاهرة 1993.
56-ولفنسون، إسرائيل : تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، لبنان، 1980.
57-ويـندل فيليـبس : كـنوز مدينة بلقيس، قصة إكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن، تعريب عمر الديراوي، دار الكلمة صنعاء، بدون تاريخ.
58- يوسف محمد عبد الله : " مدونة النقوش اليمنية " مجلة دراسات يمنية ، العدد (3،2) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1979.
59-مديـنة السـوا في كتاب الطواف حول البحر الأرتيري، مجلة دراسات يمنية، العدد (34)، صنعاء، 1988(ص 30ـ49).
60-" أوراق فـي تاريخ اليمن وآثاره " ، بحوث ومقالات جـ1 ،منشورة وزارة الأعلام والـثقافة ، الجمهورية اليمنية ، صنعاء ، ط1 ، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت (1406 هـ - 1985).

مراجع باللغة الاجنبية:

1. Albright, F. P: Exploration Dhofar Oman , Antiquity 113, 1955.

- " The Himyarites Temples at khor Rory " Orientalia , XXII, 1953.

2. of Albright , Willim. F. : the chronology, first campaign of Excaption in Qataban , Arcient South Arabia in the Light of dans , BASOR 119 , (1950) , pp. 8-15 .

3. Bafaqih, M.A: l-unification du Y men la lutte entre Saba- Himyar, et le Hadramaut , du 1eme au III Siecle de l re chretienne , Paris , 1990.

4. Beeston , Alfred.F.L : The Mercantile Code of Qataban, part, of Qahtan Studies in old South Arabian Epigraphy , London , (1959) .

Arabian - " The Ritual Hunt, a Study in the old south— Religion pratice ", 1948.

" Note on Old South Arabian ", Lexicography, 1975.

-" Sabaean Inscriptions, Oxford, 1939."

-Sabaic Grammar", JSS, Belgium, 1984. p. 15.- ----

"Some Features of Social Structure in Saba," Studies in the –History of Arabia , vol 1, part 1, 1979. p. 115 -116.

Miscellanous Epigraphic Notell, Dans Raydan, 5, (1988), p. 5-10.

5. - Bowen , Richard le Baron Jr : Irrigation in Ancient Qataban (Baihan) dans , Bowen , R , le B , and ALBIGHT , pp. 35-42 Archaeological Discoveries in South Arabia , , 43-131 .

6. Bowen , R.Le Baron , and F. P.Albright , : Archaeological Discoveries in South Arabia , publication of the American Foundation for the Study of man , Baltimor (1958).

7. Brcton Jean. Fran ois. : Wadi Dwra" , Rapport de la mission fran aise au Y men , Aden, 1985 .
Urbanisme et Architecture a abwa dans, Raydān, I, Louvain (1978), pp. 145-146.
Le ch teau royal de shabwa, note d histoire , extrait de la revue SYRIA, tome LxvIII, 1991, Paris (1991), p.209- 227.
-" les temble de SYN D HLSM a Baqutfa ", Dans, Raydan, vol, 2 (1979).p. 185-202.

8. Breton, J. F : ch. Robin, et R, Audouin : la muraille de Naqab al Hager (Y men du sud) Extrait de la Revue Syria tame Lxiv, (1987), Fasciules 1 2, Paris(1987).

9. Bron, F : memorial Mohmud al-Ghul, Inscriptions sud - arabiques, Paris, 1992.

10. Brounner, Von Ueli :" Die Erforschuny des antiken Oase von Merib mit Hilfe geomorpho Logischer unteruchung methoden" . Verlag philipp van zeberm Mainz am Rhein (1983) , p. 149

11. Caton Thompson. G : The Tombs and Moon Temple of Hureida (Hadramaut) (Reports of the Research committe of the Society of Antiquaries of London n XIII) Oxford 1944.

12. Celveland, Ray. L : An Ancient South Arabian Necropolis, Objects from the Second Campaign (1951) in Timna[c] Centery (Publication of the American Foundation for the study of man, vol IV). Baltimore, (1965).

13. De Maigret A, & ch. Robin : les fouilles Itali nnes de Yalā' (Y men) nouvelles donn es sur la chronologie de l Arabie du sud pr islamque, Academie des inscripions de belles-lettres, 1989 Avril Juin, Paris (1989).

14. Diodurus Siculus : The library of History ,loeb classical library (trans : OLDFATHER , Heienemann , London , 1935 .

15. Doe Brian , Southern Arabia (New Aspects of Antiquity) London , 1971.
- Port of Husn al Qurān or Site of Qanā, Center of Ancient Archaeological Bulletinn 3, Aden , July 1964. .

Genttelle Pierre : L irrigation antique a abwa , dans abwa , Tome II , Paris , 1992 , p. 1-51 . .16

Glaser, E: " Von Hodeida nach Sanᶜā' vom 24 April bis I, mai 1885, dans petermanns Mitteilungen, 32, 1886. .17

Groom . Nigel St. J : Frankincense and Myrrh A Study of The Arabian Incense Trade (Arab Background Series) London and New York (1981).. .18

H fner. M. " Eine S darabische Handelsinschrift in Forchunger, und Fortschritte x, (1934). .19

Jamme, Albert : "The Gat golde Hawkum ". Dans, al-Hudhud, Festschript Maria H fner, Groz, 1981. .20

Majeed M. A : Conservation and Restoration of Aden Cisterus Saharg al - Tawila, Haydarabad , 1984 . .21

-Philips, w : " Unkown Oman ",. London, 1966. .22

Philby , H . St . John : The Land of Sheba , in Geographie Journal , vol XCLL , July , 1938. .23

Pirenne , Jacqueline : Prosp ction historique dans la r gion du royaume de Awsān , dans , Raydān vol (3) , Louvain , 1980 , p.213- 255. .24

- Ce que trois campagnes de fauilles nous ont d j apris sur abwa , Capitale de Hadramaut dans Raydān , vol , I , 1978 , p. 136.

- -" Les t moins crits de la r gion de Shabwa et l'histoire " (fouilles de shabwa) , tome I , Paris , 1990.

- - Premi re mission Archeologique Fran aise au Hadramout , dans CRAT , 1975. .

- A la d scovert de l Arabie "(cinq si cle de science et l'aventure), Paris , 1958.

- -" Deuxieme mission Archeologique francaise au Hadramaut Yemen de sud, december , 1975, a fevriere letters), -1976, (Academie des inscriptions et belles Paris 1977, p. 412-426.

Chronique d arachaeologie sud - arabe, " , 1955-1956 , - dans, Annales D'ethiopie, II, 1957.

" la Greca et Saba a, une nouvelle base pour la arabe, - dans, memoires presentes par savants a l academie des inscriptions et Belles-Lettres , Paris (1955)..

-" le royaume Sud-arabe de Qataban, et a datation , - louvain , 1961.

deux tembes de Shabwa (Raport) (1975 1976). -

"la rinceau dans l-evelution de l art Sud-Arabe , dans , - SYRIA , tome XXVIV , 1957 , pp. 99-126 .

.25 Pliny. Natural History Loeb Classical, (trans, Rackam M.), Library, Heinemann, London, and Harvard University Press, 1945, Book xii, ch 32, Sec 63.

.26 The Periplus of the Erythaean Sea . (trans and commentary- Schoff,

.27 Rathjens and von wissmann : Voristamische Altertum , Bd , I Hambrug , 1932 .

.28 Robin , Christian : Les hautes-terres du nord Y men avant l Islam , vol I , recherches sur la geographie tribale - et r ligieuses de Hawlan , Quda a et du Hamdan , Istanbul , 1982.

SHEBA dans les iscriptions d Arabie du Sud, dans - Suppl ment au dictionnaire de la Bible, Paris, (1996).

Les plantes aromatiques que brulaient les Sabeens , dans - Saba , Parfumes d Arabie N I , 1994 , pp 25-30 .

premiere mention de Tyr chez les Mineen d Arabic du - Sud , dans , SEMITICA XXXIX, 1990, Hommages a Maurice Szny cer , 11, Paris , 1990. .

" Egypte dans les inscriptions de l Arabic meridian de - pre-islamiqque, dans , Hommages a Jeaule clant (volume 4) biblio theque d etude , 106/4 , 1994, pp. 286-301.

- du paganisme au monotheisme dans, Robin : L Arabie antique de (Karab il) , (Mohmet), Paris , 1992. p. 143-144 -

.29 Robin. Ch. & Ryckmans, J :

- l attribution d un basin une divinil en Arabie du Sud antique, Rayd n, (1), Lovain,1978.

- Robin, ch. And, Ryckmans, J: le sanctuaire mineen de NKRH a Dard As- sabi, Rapport, Raydan, 5, (1988).p. 95-99.

.30 Robin. Ch.& Breton & Ryckmans, J : le sanctuaire Mineen NKRH A DARB AS-SABI, Rayd n, vol, 5, Aden, 1988, p. 90-92.

.31 Robin. Chr. & Breton. J. Fr. Le sanctuaire pr islamique du abal al- Lawd , dans Acad mie des Inscriptions et belles Lettres-, comptes rendus des s ances de l ann e (1982.), p.598.

.32 Rodinson , Maxime , : Mahomet , 3 eme e dition , Paris , 1979 .

.33 Rossini, C : Chrestomathia arabica meridionatis epigraphica, Rome, 1951.

.34 Ryckmans, G : les religion arabes pr -islamique, extrait de l histoire g n rale des religions II, Paris, 1960.

- Ryckmans,J, Ritual Meals in the Ancient South Arabian Religion , PSAS, 6, p. 36-37.

- Ryckmans, J : un rite d' istisqa au temple sabeen de Marib 1973.

- Ryckmans, J : The old south Arabian Religion, Yemen, 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix, edited by Werner Daum, p. 108-109.

.35 Segall Berta : Sculpture from Arabia felix the Hellenistie Period , American Journal of Archaeology 59 , (1955).

Strabo: The Geography of Strabo ,trans ,Jones H . L ,loeb classical library London , 1930 . .36

Schoff , wilfed . H: The Periplus of the Erythraen Sea (trans and commentary) Longman , Green, New York , (1912) . .37

Stuart Munro-Hay : The al-Madhariba Hoard of Gold Aksumite and Roman late Coins: , dans , le Numismatic chronicle (1989). .38

" Van Beek, Recovering the Ancient Civilization of Arabia, dans the biblical and the Archaeologist, vol, xv, Baltimore (1952). .39

Walkar, J : The Mon-God on Coin of Hadramaut , dans BSOAS , XIV, 1952. .40

A New Katabanian Coin from South Arabia , Israel - Exploration Society Journal , Jerusalem (1963).

Wissmann, Von: Himyar Ancient history , le maseon , 77, 3-4, 19- 64, p.- 144... .41

قائمة الرموز والإصطلاحات

- إرياني : نقوش نشرها وعلق عليها مطهر الإرياني في كتابه " في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات ...".
- شرف الدين : نقوش نشرها أحمد شرف الدين في كتابه " تاريخ اليمن الثقافي ".
- يمن : يوسف مدونة النقوش، نقوش نشرت بواسطة يوسف محمد عبد الله.
- CIH : Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars quatra, Inscriptions himyariticas et sabaeas continens, Tome I, II, III, Paris, (1889-1932). يطلق عليها : مدونة النقوش السامية.
- GL : Glaser نقوش جمعت بواسطة المستشرق (جلازر)

Halvey : نقوش نشرت بواسطة جوزيف هاليفي

- Ja : A. Jamme نقوش نشرت بواسطة إلبرت جام
- RES : Rep rotoire d pigraphie s mitique.
- مدونة النقوش السامية، نشرت بواسطة الأكاديمية الفرنسية للنقوش والفنون الجميلة، النقوش اليمنية نشرت في ثلاثة أجزاء، الجزء الخامس صدر علم 1929، الجزء السادس صدر عام 1935م، الجزء الثامن صدر علم 1950.
- Ry : Ryckmans.
- نقوش نشرت بواسطة جونزاك ريكمنز، وقد بدأ بنشرها منذ علم 1927م وحتى عام 1965، بلغت حلقاتها (22) حلقة جميعها نشرت في مجلة (Le Museon).

محتويات الكتاب

الفصل الثاني

الحياة التجارية في اليمن القديم

الفصل الثالث

الفكر الديني عند قدماء اليمنيين 127

